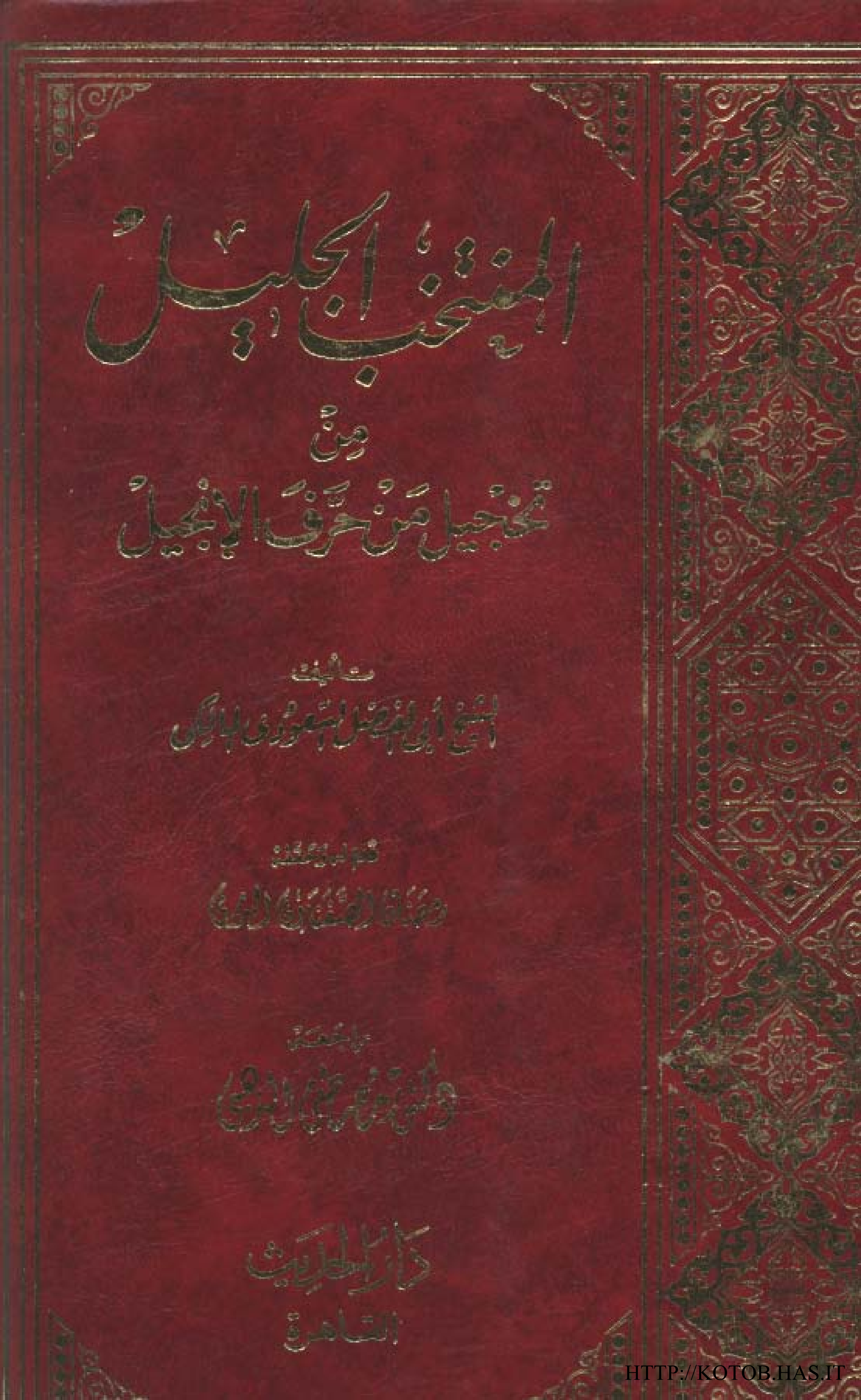

المنتخب الجليل
من
تخجيل من حرف الإنجيل
تأليف
الشيخ أبي الفضل السعودي المالكي
قدم له وحققه
مراجعة
دار الحديث
القاهرة

المنتخب الجليل

من

تخجيل من حرّف الإنجيل

تأليف

الشيخ أبي الفضل السعودي المالكي

قدم له وحققه

رمضان الصفناوي البدري

راجعه

دكتور مصطفى الذهبي

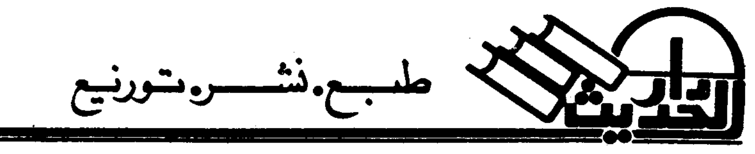
دار الحديث

القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

رقم الإيداع ٧٣٢٥ / ٩٧
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-5227-98-4



١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر

تليفون : ٥٩١٨٧١٩ - ٥٩١٩٦٩٧ - ٥١١٣٠٣٦ فاكس : ٥٩١٩٦٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية دراسة علم مقارنة الأديان

قد يتبادر إلى الذهن تساؤل : لماذا نعكف على دراسة الملل والأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية ونحن فى أمس الحاجة إلى أمور ديننا؟

فنقول: إن دراسة علم مقارنة الأديان بات الآن مهمًا للغاية؛ لأن الحملات الصليبية زحفت إلى حياتنا بشكل مخيف ومساير للغة العصر، تلك التى أصبحت تتردد كثيرًا فى كل مكان.

لغة العصر قد تبدو لك فى غلاف مجلة شوهاء تثير غرائزك الجنسية بحجة أنها نوع من الأدب أو الثقافة الواردة من بلاد الغرب.

لغة العصر تبدو لك فى التلفاز، بداية من فتيات الإعلان التى تفسد عليك بيتك وأولادك حتى نهاية الإرسال، متمثلة فى كل ما هو مزرى ووضيع، اللهم إلا من قليل من البرامج الهادفة.

والمسلم الذى يدرس علم مقارنة الأديان يجعل من نفسه وعقله سلاحًا فتاكًا ضد ألاعيب المبشرين؛ لأنهم عجزوا عن الدخول إلينا وإلى عقولنا مباشرة لتنصيرنا؛ تسللوا إلينا من زوايا أخرى كالأدب والفنون والمسرح والصحافة وعالم الكتب الرحب.

فعلم مقارنة الأديان فضلاً على أنه يَشُد فى عضدك ـ أيها القارئ ـ فهو يُعرِّفك سماحة دينك الحنيف، وكل ما عليك هو أن تجلس وبين يديك نسخة من الكتاب المقدس وتتصفحه بتأنٍّ وروِّية وسوف ترى بنفسك مدى الأسلوب الداعر الخرافى الذى يأبى أن يقبله العقل السوى.

وقد ألَّف المبشرون النصارى العديد من الكتب للهجوم على الدين الإسلامى والنيل من سيرة النبى محمد ﷺ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ كتاب «ميزان الحق» الذى ألفه القسيس «فندر» رئيس البعثة التبشيرية فى الهند.

٢ ـ «البرهان الجليل فى صحة الأناجيل» وتوزعه الجمعيات التبشيرية فى لبنان.

٣ ـ «دعوة المسلمين إلى مطالعة الكتاب المقدس الثمين».

وقد عثرت حديثًا على كتاب غاية فى الخطورة، ويوزعه خدام الكنيسة، وهو كتاب «مَنْ يفوز» الذى وُزِّعَ بين المدرجات فى الدورة الأفريقية الخامسة التى أُقيمَت بالقاهرة.

٤ ـ «أدلة قرآنية على صحة الديانة النصرانية».

بيد أن الغربيين قد ألفوا مراجع وكتب غاية فى الحَيْدة والموضوعية، وكلها لا تنقد المسيحية فقط بل تهدمها من جذورها على أساس علمى صحيح تمامًا، ونذكر منها:

(1) Honest to God: by: J. Robinson, SCM Press, London, 1964.

ومؤلف الكتاب يشغل وظيفة أسقف الكنيسة الإنجليكانية ، ويحمل درجة الدكتوراة فى اللاهوت.

والكتاب الثانى هو:

(2) Thy Myth of God Incarnate

وقد ألفه وحرره وعلَّق عليه ستة من أساتذة اللاهوت وعلماء الدين المسيحى وهم:

عميد كلية عَمَّا نويل اللاهوتية فى كيمبردج	1 - Gupitt
عضو هيئة تدريس بجامعة برمنجهام	2 - M. Goulder
محاضر فى الأناجيل بجامعة لندن	3- L. Hovlden
مدير كلية كيبل بأكسفورد	4 - D. Nineham
أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس فى كلية المسيح بأكسفورد	5 - M. Wiles
محاضر فى الأناجيل ودراستها بجامعة برمنجهام	6 - F. Young

وقد كان للعلماء المسلمين اليد الطولى فى إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من

المؤلفات لهذ الفن من الجدل ونذكر منهم:

العالم البيرونى فى كتابه القيم: «الآثار الباقية من القرون الخالية».

والإمام «أبو محمد بن حزم الظاهرى» فله موسوعته الشيقة: «الفصل فى الملل والأهواء والنحل».

والشهرستانى فى كتابه: «الملل والنحل».

أما إمام الحرمين الجوينى فله رسالة صغيرة عظيمة الفائدة هى: «شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل».

وللشيخ الإمام «أحمد بن تيمية» كتابه الضخم: «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح».

ولا نغفل المؤلفات التى كُتِبَت فى المغرب الأقصى مثل كتاب أبى عُبيدة الخزرجى «مقامع هامات الصُلبان ومدائح روضات الإيمان».

كما أن هناك القُسس والأحبار الذين تشرفوا بدين الإسلام وفضحوا زيف العقيدة المسيحية ونقدوها، نذكر منهم:

كتاب «إفحام اليهود» لليهودى المهتدى السموأل بن يحيى المغربى.

وكتاب «النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية» لنصر بن يحيى المتطيب.

ولا ننسى من المحدثين الدكتور محمد فؤاد الهاشمى ومُؤَلَّفُه «الأديان فى كفة الميزان».

والدكتور المهتدى إبراهيم خليل أحمد الذى كان راعيًا لكنيسة بأسيوط وأستاذًا لمادة مقارنة الأديان بالكلية الإكليركية وله إنتاج وفير يقدر بحوالى عشرة كتب بين التأليف والترجمة.

ولا ننسى المستشار محمد مجدى مرجان صاحب كتب «محمد نبى الحب»، و«الله واحد أم ثالوث».

ويتربع على عرش المناظرات والمجادلات الآن العملاق الهندى المولد، الأفريقى إقامةً، الشيخ العلامة أحمد ديدات الذى تَرْجَمْتُ له حوالى خمسة عشر كتابًا هى بالترتيب:

١ ـ لماذا محمد هو الأعظم؟

٢ ـ المناظرة الكبرى (ديدات وأنيس شورروش).

٣ ـ إسرائيل والعرب نزاع أم مصالحة؟

٤ ـ خمسون ألف خطأ فى الكتاب المقدس.

٥ ـ محمد ﷺ الخليفة الطبيعى للمسيح.

٦ ـ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم.

٧ ـ المناظرة الثانية المعلنة (ديدات والباستور ستانلى).

٨ ـ المناظرة (ديدات وچيمس سواجارت).

٩ ـ الصلاة عبادة المسلمين.

١٠ ـ حوار مع ديدات فى باكستان.

١١ ـ عُدّة البصير فى مقاومة التنصير.

١٢ ـ ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟

١٣ ـ الإله الذى لم يكن.

١٤ ـ ما هى آية يونان؟

١٥ ـ قضية قيامة المسيح.

وقد تلقى القراء هذه المؤلفات بقبول حسن، وأحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات.

ولنشرع الآن فى العمل الذى بين أيدينا سائلين الله العون والقوة، إنه على ما يشاء قدير.

الجمعة ٢٦ من المحرم ١٤١٤هـ
الموافق ١٦ من يونيو ١٩٩٣ م

المحقق
رمضان محمد على الصفناوى

وصف المخطوط

لتحقيق أية مخطوط لا بد من عدة مـراحل يفعلها المحقق لتخرج إلى النور فى ثوب قشيب.

أولاها: هو طلب الميكروفـيلم المعنون عليـه اسم المخطوط، وكـان لهذا عـدة صولات وجولات بين البريد المسجل تارة وبين البريد السريع تارات أخر.

فقد أرسلنا إلى مكتـبة أيا صوفيا الملحقة بالمـكتبة السليمانية بتركـيا للبحث عن هذا المخطوط فـأرسلوا إلينا كتـابًا يحمل رقم (أ. د. د ١٦٦٦١) وليس عليـه اسم وعنوان الكتـاب ولكنه يبدأ بالافـتتـاحية وهـى: «الحمد لله الذى أظهـر من زوايا الإنجيل. . .» وكانت هذه هى النسخة الأولى.

ثم طلبنا نسـخة أخرى مـن مكتبة أحـمد الثـالث بتركـيا، فجـاءتنا تحت رقم ١٧٦٥، وعدد صفـحاتها ١٣٤ ورقة، ومقاسـها ٢٣ × ١٥سم، وعدد أسطر كل صفحة ١٩ سطر، وعدد كلمات كل سطر يتراوح ما بين ١٠ ـ ١٢ كلمة تقريبًا.

وهى نسخة جيدة مكتوبة بخط نسخ جميل، مشكول أحيانًا، وفى أولها زخرفة إسلامية، وهى ذات إطار جميل، وتاريخ نسخها ٩٨٩ هـ.

أما النسخة الـثالثة التى اعتمدنا عليـه ورمزنا لها بالرمز (خ) فهى نسخـة معهد المخطوطات العربية وبيانها كالآتى:

الرقم: ١٣٦ توحيد غير مفهرس.

المقاس: ٢٠ × ١٤ سم.

عدد الصفحات: ١٣٠ صفحة.

تاريخ النسخ: ١٢٧٠ هـ.

عـدد الأسطر: ١٦ سطرًا فى كل سطر من ١٣ إلى ١٥ كـلمة، وهى نـسخـة مكتوبة بخط الرقعة، وبها بعض الأخطاء البسيطة.

والنسخة الأخـيرة مطبوعة بمطبعة الـتمدن عام ١٣٢٢، ونشرتها مكتـبة الشيخ

أحمد على المليجى، وهى محفوظة بمكتبة مجلس مدينة المنيا ـ من صعيد مصر ـ، وهى نسخة جيدة من حيث الطباعة ، غير أن بها بعض الزيادات ، والتى كان المفروض فيها أنها حواشى وتعليقات فاختلطت بالمتن.

ملاحظات عامة على المخطوط:

قد لوحظ أثناء التحقيق عدة نقاط وجب التنبيه عليها للأمانة العلمية:

(أ) جهل الناسخ ببعض الشخصيات المسيحية الشهيرة فهو يكتب بولس «فولس».

(ب) الناسخ لا يعرف جيدًا نصوص الكتاب المقدس فهو يقول على سفر التكوين: السفر الأول من التوراة.

(جـ) قد سقطت بعض الكلمات من الناسخ وقد وضعناها بين حاصرتين [ ].

* * *

شخصية المؤلف ومنهجه فى الكتاب

بعد بحث مضنى لم نعثر على ترجمة ـ ولو قصيرة ـ لمؤلف الكتاب، إذ لم نجد له ذكرًا إلا فى موضعين:

أولهما: ورد اسمه فى موسوعة حاجى خليفة: «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون» فى الجزء الأول ص ٣٧٩ هكذا: «تخجيل مَن حرَّف الإنجيل» للشيخ الإمام أبى البقاء صالح بن حسين الجعفرى، ومنتخبه للشيخ أبى الفضل المالكى السعودى، فرغ من تأليفه فى شوال سنة (٩٤٢) اثنين وأربعين وتسعمائة، أول الأصل: الحمد لله الواحد الذى لا يتكثر بالأعداد. . . إلخ، وهو عشرة أبواب» اهـ.

وثانيهما: فى «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحّالة، الجزء الثامن ص ٦٨ هكذا:

«أبو الفضل المالكى السعودى: فقيه مشارك فى بعض العلوم، من آثاره: تخجيل من حَرَّف الإنجيل، وفرغ منه عام ١٥٣٥ ميلادية الموافق ٩٤٢ هـ» اهـ.

ومن سمات الشيخ الظاهرة حبه للشعر، إذ لا تخلو صفحة إلا ويستشهد فيها ببيت أو بيتين أو أكثر ويستشهد أحيانًا بأبيات من بردة البوصيرى.

كما أن الغالب على كتابه هذا فى سياقه العام السجع، فمثلاً يقول: «واعتمد على الحفيظ الحسيب، فصرف عنه كيد البعيد والقريب، فصار فى كلاءة الله وحفظه، آمنًا من كيد الشيطان وحزبه، فى سِلمِه وحَرْبه. . .».

ولكن الشيخ ـ جزاه الله خير الجزاء ـ لم ينبه على أماكن نصوص الكتاب المقدس، وكان أحيانًا يأتى بمعنى النص، وكان هذا بالنسبة لنا كمن يبحث عن إبرة فى كومة من القش فمثلاً يقول:

«وقد أخبر يوحنا الإنجيلى فى الفصل الثانى من الرسالة الأولى: أن إطلاق البنوة إنما هى مجرد تسمية».

وفى كثير من المواضع لا يشير إلى رقم الإصحاح أو الآية، وقد بحثنا واستعنا

بالله على تحقيق تلك النصوص ومثال على ذلك، يقول:

وجه آخر لكذبهم: قال مرقس: «خرج يسوع وتلاميذه. . .» إلخ النص.

وفى موضع آخر يقول: «نوع آخر، قال لوقا: كان كل من له مريض يأتى به إلى يسوع. . .».

وهذا فى رأى أساتذة التحقيق أمثال أستاذنا العلامة الدكتو محمد عبد الله الشرقاوى ينافى الأمانة العلمية فى النقل، وخاصة النصوص منها لأنها ليست مجالاً للاجتهادات الشخصية، وقد دفعنا هذا إلى بذل الكثير من الجهد فى إثبات النص وإرجاعه إلى أصله.

والنقطة الأخرى ـ وهى عندما تَعرَّض المؤلف لموضوع البشارات بالنبى محمد ﷺ ـ: أتى بنصوص مذكور فيها صراحة اسم النبى محمد، وهذا غير موجود نهائيًا؛ لأنهم قد حذفوا اسم النبى واستعاضوا عنه بمسميات أخرى، كلفظ «الفارقليط» أو «المنحمنا» أو «كله مشتهيات» أو «شَيْلُون» إلى آخر هذه المسميات.

ومثال ذلك يقول الشيخ فى البشرى الثامنة: قال داود فى مزمور له: «إن ربنا عظيم محمود جدًا وفى قرية إلهنا قدوس ومحمد قد عَمّ الأرض كلها فرحًا».

وبالطبع لم نعرف عن أى مزمور يتحدث داود عن هذا من مجموع مزاميره المائة وخمسين، فضلاً عن أن هذا الوصف غير موجود بالمرة، وكان الأجدر أن يتحرى الشيخ الدقة المتناهية فى نقله للنصوص فهذا أدعى للأمانة.

ومن الأشياء الهامة أن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد ذكر بعض الفرق، مثل المنوية والثنوية دون التعرض لها بشىء من البيان والتعريف مما أضفى عليها غموضًا شديدًا؛ لأن السواد الأعظم لا يعرف شيئًا عن هذه الفرق.

وإجمالاً فإن الكتاب يُعّد من المراجع الهامة فى هذا المضمار، والتى كان يشار إليها فى حواشى السابقين.

والله تعالى أسأل العون والسداد، ورحم الله امرأً رأى فيه خللاً فأصلحه فلست من المعصومين.

* * *

منهج التحقيق

١ ـ وصف المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق.

٢ ـ التعريف بالمؤلف وإثبات نِسْبَة الكتاب إليه.

٣ ـ تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٤ ـ تخريج أرقام الإصحاحات وأسمائها من الكتاب المقدس.

٥ ـ التعريف بالشخصيات البارزة والفرق الواردة فى ثنايا الكتاب.

٦ ـ التعريف بالبلدان والأماكن الوارد ذكرها فى الكتاب.

٧ ـ توضيح المعجم من الألفاظ.

٨ ـ عمل فهارس موضوعية للكتاب.

* * *

جدول اختصارات الكتاب المقدس التى وردت فى ثنايا الكتاب

م	اسم السفر	اختصاره
١	سفر الخروج	خر
٢	إنجيل متى	مت
٣	إنجيل يوحنا	يو
٤	سفر التكوين	تك
٥	سفر أعمال الرسل	أع
٦	إنجيل لوقا	لو
٧	سفر إشعياء	إش
٨	إنجيل مرقس	مر
٩	سفر العدد	عد
١٠	كورنتوس الأولى	١ كو
١١	غلاطية	غل
١٢	سفر المزامير	مز
١٣	تيموتاوس الأولى	١ تيمو
١٤	أفسس	أف
١٥	رسالة يوحنا الأولى	١ يو
١٦	كولوسى الأولى	١ كو
١٧	سفر التثنية	تث
١٨	سفر اللاويين	لا
١٩	سفر حبقوق	حب
٢٠	سفر صفنيا	صف
٢١	سفر إرميا	إر
٢٢	سفر دنيال	دا

هذا الكتاب المسمى تخجيل من حرف

الانجيل للفاضل ابو الفضل المالكي

السعودي

فيا من دهاه الدهر كل ملمة وعنه لقد صح قياس التقية

فلا تركنن الا الى الحبيب ولا بد من شكوى الى ذي مروءة

يواسيك او يسليك او يتوجع

صورة لعنوان الكتاب

مكتبة سعيد الديجوى ـ الموصل



واخلاقهم اللينة مما زين لهم الشيطان من اقوال في اناجيلهم ليت محمول على
ظاهرها اذ حملها عليه وسيلة لا باطيلهم بل يجري باطلاقها اصطلاح
في تلك الازمنة عام بين الانام لمعنى لا يبق للخاص والعام مما ياتي ذكره
في المقدمة وتلوح نشوه فيتبين للسالك المحجة ويحق القول على الذين
ظلموا والله الحجة فاجتنب ابدا الحق بنسبة العبودية للمسيح من المنقول
عندهم المرضية من اناجيلهم الاربعة التي هي الان بايديهم وعليها المعول
لديهم ومن اسفار التورية وشرايع النبوات من اشعيا وزكريا ودانيال
ودانيال وغيرهم من اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. فمتى من اثني
عشر الحواريين بشر بانجيله باللغة السريانية بارض فلسطين
بعد صعود المسيح الى السماء بثماني سنين وعدة اصحاحاته ثمانية
وستون اصحاحا وثانيهم مرقس وهو من السبعين وبشر بانجيله
باللغة الفرنجية بمدينة رومية بعد صعود المسيح باثني عشرة سنة
وعدة اصحاحاته ثمانية واربعون اصحاحا وثالثهم لوقا وهو من
السبعين بشر بانجيله بالاسكندرية باللغة اليونانية وعدة اصحاحاته
ثلاثة وثمانون اصحاحا ورابعهم يوحنا وهو حبيب المسيح بشر بانجيله
بمدينة افسس من بلاد رومية بعد صعود المسيح بثلاثين سنة وعدة
اصحاحاته في النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون اصحاحا وكان
التلاميذ كلهم عبرانيين الا لوقا والله اعلم فشرعت هذا الكتاب
على مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة فالمقدمة تشتمل على ثلاثة ابواب

صورة لصفحتين من المخطوط

(أحمد الثالث ـ تركيا)

الفراغ من تحرير هذا في خامس عشر شوال المبارك

من شهور سنة اثنين وأربعين وتسعمية

الفراغ من تسويد هذا يوم التاسع عشر

من شهر شعبان المبارك من شهور

سنة الف ومائتين وسبعين

من هجرة من له العز والشرف

صلى الله عليه وسلم

آمين يا رب

العالمين

صورة من نهاية المخطوط

مكتبة سعيد الديجوى ـ الموصل

كتاب تخجيل من حرف الانجيل للامام الاوحد العلامة العالم الفاضل الشيخ ابو الفضل

المالكي السعودي رحمه الله تعالى وغفر له ونفعنا ببركته وعلومه [illegible] آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه [نستعين]

الحمد لله الذي اظهر من زوايا الانجيل خبايا التوحيد وفضح افكار اهل التبديل بما خفي عليهم من معاني التفريد، وانزل توحيده في كتبه المنزلة على الالسنة المرسلة بكل قول سديد احمده على جزيل النعم بما حمد به نفسه في سابق القدم، واشكره والشكر يؤذن بالمزيد، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الواحد الاحد الفرد الصمد الولي الحميد، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد السادات واشرف العبيد، صلاة وسلاما دائمين عليه لا يفنى مددهما ولا يبيد.

[وبعد] فقد تدبرت ما الفه الشيخ الامام العالم العلامة ابو البقاء صالح ابن الحسين الجعفري كتاب تخجيل من حرف الانجيل، فغصت اللجج على جواهره، واقتبست من انواره معاهد [illegible] من الى اجتنا معارفه واجتنا ازهاره، فانه المطلع على اناجيلهم والمبين حقائق اناجيلهم، فجمعت من ادلة الانجيل مما نقله من اناجيلهم، وبينه من اناجيلهم، واظهر منه ما فيه دلالة السالمة من التحريف والتبديل، الدالة على توحيد الجليل والعبودية من سائر مخلوقاته من ارضه وسماواته لا يخرج عن عبوديته ملك مقرب ولا نبي مرسل، وان زعم ابتداعهم وبدلوا ما عندهم من احكامهم السقيمة وخلافاتهم الدفينة ما زينه لهم شيطان من اقوال في اناجيلهم [illegible] محمولة على ظاهرها اذ حملوا عليه [illegible] اناجيلهم بل جرى بالعرف المصطلح في [illegible] الازمنة عام بينهم [illegible] لا يعنيه [illegible] ما ياتي ذكره في المقدمة والفصول [illegible]

صورة للمقدمة من نسخة سعيد الديجوى ـ الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله الذى أظهر من زوايا الإنجيل خبايا التوحيد، وفضح أفكار أهل التبديل بما خفى عليهم به من معانى التفريد، وأنزل توحيده فى كتبه المنزلة على الفئة المرسلة بكل قولٍ سديد، أحمده على جزيل النعم بما حَمِدَ به نفسه فى سابق القِدَم، وأشكره والشكر يؤذن بالمزيد. وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد، الفرد الصمد، الولى الحميد، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، سيد السادات، وأشرف العبيد، صلاة وسلامًا دائمين عامين لا يفنى مددهما ولا يبيد.

وبعد:

فقد تدبرت ما ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى فى كتابه: «تخجيل من حَرَّف الإنجيل»(١) فغصت اللجج على جواهره، واقتبست من أنواره ما اهتديت به إلى جنى(٢) أزهاره، فإنه المطلع على أناجيلهم، والمبين حقائق أباطيلهم. فجمعت من أدلة الإنجيل مما نقله عن أناجيلهم وبيّنه مع أباطيلهم وأظهره من الأدلة السالمة من التحريف والتبديل الدالة على توحيد الجليل والعبودية لسائر مخلوقاته من أرضه وسمواته، لا يخرج عن عبوديته مَلَك مُقرب ولا نبى مُرْسَل، وإن رَغِمَ(٣) أنف من حَرَّف وبَدَّل، مما غرهم من أفهامهم السقيمة

(١) لئلا يقع الالتباس على البعض فإن اسم الكتاب الذى نحققه الآن «المنتخب الجليل من تخجيل من حَرّف الإنجيل» أما الكتاب الأصلى فهو لصالح بن الحسين الجعفرى واسمه «تخجيل من حرف الإنجيل».

(٢) فى المخطوط: إجتناء.

(٣) رَغَمَ: الرُّغْمُ: القَسْر، قال وفى الحديث: وإن رَغَمَ أنفه. أى ذلَّ. وفى حديث معقل =

وأخلاقهم اللئيمة، مما زين لهم الشيطان من أقوال فى أناجيلهم ليست محمولة على ظاهرها، إذ حملها عليه وسيلة لأباطيلهم بل جرى بإطلاقها اصطلاح فى تلك الأزمنة عام بين الأنام، لمعنى لائق للخاص والعام، مما يأتى ذكره فى المقدمة ويفوح نشره فيتبين للسالك المحجة، ويَحِقّ القول على الذين ظلموا ولله الحجة، فأحببت أبدأ للحق بنسبة العبودية للمسيح من النقول عندهم المرضية من أناجيلهم الأربعة، التى هى الآن بأيديهم وعليها المعّول لديهم، ومن أسفار التوراة وشرائع النبوات من إشعياء[1] وزكريا[2] وأرميا[3] ودانيال[4] وغيرهم من إنجيل مَتَّى[5]

= ابن يسار: رَغَم أنفى لأمر الله. أى ذل وانقاد. [لسان العرب، باب «رغم» ص ١٦٨٣ طبعة دار المعارف].

(١) إشعياء: ومعنى الاسم «الرب يُخلّص» هو النبى العظيم الذى تنبأ فى يهوذا فى أيام عُزّيا ويوثام. ويُرجح أنه عاش إلى أن جاوز الثمانين من العمر، وامتدت مدة قيامه بالعمل النبوى إلى ما يزيد على الستين عامًا وكان اسم أبيه «آموص»، ومن الواضح أنه كان على ثقافة عالية، ويدل تاريخه على أنه كان يقطن أورشليم وأنه كان يعرف الهيكل والطقوس، وله سفر فى الكتاب المقدس يسمى باسمه. . اهـ.

(٢) زكريا: اسم عبرى معناه «يَهْوَه يذكر» أو «الرب يذكر»، وهو اسم كثير الورود فى الكتاب المقدس.

وسفر زكريا هو السفر الحادى عشر بين الأسفار التى يطلق عليها «الأنبياء الصغار» أو «الإثنى عشر» كما يسميهم اليهود.

(٣) إرميا: اسم عبرى معناه «الرب يؤسس».

وإرميا النبى: هو واحد من الأنبياء العظام لإسرائيل، ولأن الاسم كان شائع الاستعمال لذلك يدعى النبى «ابن حلقيا».

وله سفر يسمى باسمه وله مراثى إرميا، والمراثى اسم جمع أطلقه التقليد على خمس مراثٍ موجودة فى الأسفار العبرية القانونية.

(٤) دانيال: اسم عبرى معناه «الله قضى» وهو اسم أحد الأنبياء الأربعة الكبار، وكان من عائلة شريفة ويُظَن أنه ولد فى أورشليم، أما سفر دانيال فيوضع فى الكتاب المقدس باللغة العربية وكذلك فى اللغات الحديثة، الانكليزية، والفرنسية، والألمانية، ضمن الأنبياء الكبار؛ فيأتى فى الترتيب بعد حزقيال.

(٥) مَتَّى: ويُدعى لاوى بن حلفى، وكان من العشّارين - أى جباة الضرائب - فى كفر ناحوم، وقد كان من أوائل من اختارهم المسيح إذ مَرّ به وقال له: اتبعنى، فترك كل =

ومرقس[١] ولوقا[٢] ويوحنا[٣].

= شيء وقام وتبعه، ثم اختاره يسوع ضمن الإثنى عشر تلميذًا، وبعد صعود المسيح طلب إليه المؤمنون أن يكتب لهم الإنجيل باللغة الآرامية، وقد بشر فى فلسطين وفى صور وصيدا ثم انطلق إلى بلاد الحبشة وصنع بها عجائب كثيرة فآمن على يديه كثيرون، ومن ثَمّ أَطلَق الملك عليه جنوده فأمسكوه وضربوه ضربًا مبرحًا حتى مات شهيدًا.

(١) مرقس: واسمه يوحنا، وأما مرقس فلقبه، وأصله من اليهود القاطنين بالخمس مدن الغربية فى شمال أفريقيا، وقد هاجر أبواه إلى فلسطين موطن أجدادهما وأقاما فى أورشليم، وكان مرقس من أوائل الذين آمنوا بالمسيح فاختاره ضمن السبعين رسولاً وكان يتردد على بيته... وقد بشّر فى أنطاكية وآسيا الصغرى والخمس مدن الغربية، ثم قصد إلى مصر فأسس كنيستها وكان أول بطريرك لها، ثم غادرها إلى روما حيث وقع فى الأسر مع بولس، وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية، ثم عاد إلى الإسكندرية فأسس فيها أول مدرسة لاهوتيه وبنى كنيسة فى بوكاليا، وراح يدعو للإيمان بالمسيح فقام عليه الوثنيون وراحوا ينكلون به ويعذبونه حتى مات شهيداً.

(٢) لوقا: ولد فى أنطاكية ودرس الطب ونجح فى ممارسته، ولم يكن من أصل يهودى، ولقد وافق بولس أسفاره وأعماله، ويقول القس إبراهيم سعيد: «كان لوقا طبيبًا؛ وهذه المهنة لها قيمتها الخاصة لأنها تلقى على حياة لوقا نورًا ساطعًا فَتُرينا إياه الرجل العلمى المدقق المحقق الرقيق الأسلوب الجميل الديباجة «ثم يبيّن» أنه كونه طبيبًا قد سرد ولادة المسيح من غير أب سردًا طبيعيًا هادئًا ويبين أن كثيرًا من الباحثين ليسوا على يقين بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل فمن قائل : أنه أنطاكى ولد بأنطاكية ، ومن قائل : أنه رومانى ولد بإيطاليا، ومن قائل: أنه كان طبيبًا، ومن قائل: أنه كان مصورًا، وكلهم متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه.

(٣) يوحنا: هو صيغة عربية الاسم «يوحنان» فى أسفار الأبوكريفا فى العهد الجديد. ولد يوحنا سنة ٥ ق. م فى قرية عين كارم المتصلة بأورشليم فى الجنوب، ولسنا نعلم إلا القليل عن حداثته ونراه فى رجولته ناسكًا زاهدًا وهو ابن زبدى وسالومى، وأخو يعقوب، وكان يعمل هو وأخوه يعقوب مع أبيهما زبدى فى صيد السمك، وقد انفرد يوحنا فى الإنجيل بالنص على أن يسوع كان يحبه، وقد مضى يوحنا إلى بلاد آسيا الصغرى وبدأ عمله فى مدينه أفسس وكان يخرج منها إلى نواح أخرى فى آسيا لنشر الدعوة، وأسس كنائس كثيرة فى تلك البقاع،ثم حكم عليه بالنفى فى عهد الإمبراطور=

فمتَّى من الاثنى عشر الحواريين، بشر بإنجيله باللغة السريانية[1]، بأرض فلسطين بعد صعود المسيح إلى السماء بثمانى سنين، وعِدّة إصحاحاته: ثمانية وستون إصحاحًا.

وثانيهم: مرقس وهو من السبعين، وبشر بإنجيله باللغة الفرنجية، بمدينة رومية بعد صعود المسيح، وعدة إصحاحاته: ثمانية وأربعون إصحاحًا.

وثالثهم: لوقا وهو من السبعين، بشر بإنجيله بالإسكندرية، باللغة اليونانية، وعدة إصحاحاته: ثلاثة وثمانون إصحاحًا.

ورابعهم: يوحنا وهو حبيب المسيح، بشر بإنجيله بمدينة أفسس[2] من بلاد رومية بعد صعود المسيح بثلاثين عامًا، وعدة إصحاحاته فى النسخ القبطية: ثلاثة وثلاثون إصحاحًا.

وكان التلاميذ كلهم عبرانيين إلا لوقا، والله أعلم.

* * *

= «دوميتانوس» إلى جزيرة بطمس ومات وقد تجاوز المائة من عمره».. اهـ.

١ـ قاموس الكتاب المقدس ـ د. بطرس عبد الملك وآخرين.
٢ـ دائره المعارف الكتابية ـ نشر دار الثقافة.
٣ـ موسوعة تاريخ الأقباط ـ زكى شنودة المحامى.
٤ـ محاضرات فى النصرانية ـ الإمام محمد أبو زهرة.
٥ـ مقارنة الأديان ـ دكتور محمد عبد الله الشرقاوى.
٦ـ مروج الأخبار فى تراجم الأبرار للآباء اليسوعيين.
٧ـ اللآلىء النفيسة فى شرح ومعتقدات الكنيسة ـ القمص يوحنا سلامة.
٨ـ الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ـ للأب أيسيذورس.

(١) قال صاحب ذخيرة الألباب: «إن القديس متَّى كتب إنجيله باللغة المتعارفة يومئذ فى فلسطين وهى العبرانية أو السيروكلدانية» ويخالفه الدكتور جورج يوسف فى قاموسه فى أنه كتب بالعبرانية أو السريانية. «محاضرات ـ ٤٩».

(٢) أفسس: كلمة يونانية معناها «المرغوبة» وهى عاصمة المقاطعة الرومانية آسيا على الشاطىء الأيسر من نهر الكايستر، وقد بنى لها مرفأ صناعى مما جعل أفسس ميناء بحرى مهما فى العصور القديمة.. اهـ.
(انظر قاموس الكتاب المقدس).

ثم رتبت هذا الكتاب إلى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة:

فالمقدمة تشتمل على: تأويل ما ورد موهمًا من ألفاظ الإنجيل؛ كالأب، والابن، والإله، والرب، والسجود، والغفران، وغير ذلك، ومساواة المسيح غيره من الأنبياء والمرسلين السابقين فى ذلك.

الباب الأول: فيما سَلِمَ من التبديل من ألفاظ الإنجيل بما فيه الشهادة بعبودية المسيح من الأدلة الواضحة والإشارات اللائحة.

الباب الثانى: فى تعريف مواطن التحريف بما فيه تكاذب الأناجيل[1] التى بأيديهم والشهادة بالتبديل عليهم.

الباب الثالث: فى إبطال الاتحاد وذكر ما فيه من الإلحاد.

الباب الرابع: فى إبطال أمانتهم وإثبات خيانتهم التى هم بها متقربون وبألفاظها متبركون.

الباب الخامس: فى إثبات نبوته ورسالته بما أظهره من معجزاته وآياته.

الباب السادس: فى أنه ما أتى بعجيب إلا سبقه به المرسلون وأتى به من أمة نبينا السادة العارفون.

الباب السابع: فى أن المسيح وإن قُصِدَ وطُلِبَ ما قُتِلَ وما صُلِبَ.

الباب الثامن: فى الأدلة على أن المصلوب الشَبَه[2]، وأنه على قاتليه عند قتله اشتبه، والدلالة على رفعه إليه لشرفه عنده وكرامته عليه.

الباب التاسع: فى فضائح النصارى واليهود وحيل الرهبان وما رأوه من البهتان.

الباب العاشر: فى البشائر الإلهية بالنسمة المحمدية.

الخاتمة: فى ذكر معجزات منه عليه الصلاة والسلام، لم يسبق مثلها لنبى ولا رسول بل هى أعجب وأغرب شاهدة بأنه الأعز الأقرب.

---

(١) فى المخطوطة: الإنجيل: إذ أنهم أربعة أناجيل.

(٢) فى المخطوطة: اشتبه.

قال: الخاتمة ختامها مسك عاطر التتمـيم، وكأسها مترع بوصفه الكريم، مزاجه من تسنيم.

والله أسأل أن يكون جـدالنا لظالمى أهل الكتاب امتـثالاً لأمره، وتبيـين الباطل المهين، وإظهار الحق المبين، سببًا لنصره، وإخلاصًا لشكره، والله ينفع من تصدى لجدالهم وسعى فى تبيين محالهم، إن قوى إيمانه فتحقق أباطيلهم ورأى الحق حقًا فتمسك من الملة الحنيفية بالعروة الوثقى، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

* * *

المقدمة

فى تأويل ما ورد موهمًا من ألفاظ الإنجيل

كالأب، والابن، والإله، والرب، والسجود، والغفران

اعلم وفقك الله تعالى إنما دخل الخَلَل على النصارى وغيرهم ممن بضاعته فى العقول مُزجاة من جهلهم بمقتضيات الألفاظ، وعدم المعرفة بوجوه الكلام، ولقصور أفهامهم بمعانى تأويل الظواهر، فلم يحملوها [على][1] محتملاتها بالدليل وليس ذلك بصواب، بل ينبغى دراسة ما دل عليه دليل العقل الذى لا احتمال فيه، فإذا ورد لفظ عُرِض ظاهره على ما ضبطه دليل العقل، فإن لم يُنب عنه استعمل الظاهر من اللفظ ولم يؤول، وإن لم يحتمله طلب له وجه يحمل عليه ليجمع بين اللفظين، ومقتضى العقل أن الشرع فى كل ملة لا يرد بخلاف ما يقتضيه العقل، فإن العقل أصل الشرع بمعنى [أنه] شاهد بصحة النبوات والرسالات وافتقار العالم إلى ذلك، فإذا جاء الشرع بخلاف العقل فقد كذب أصله الشاهد له بالحقيقة.

وقلت فى هذا المعنى:

إذا ما النقلُ خالفَ حكم عقلٍ ... نُؤوّله ونسقطه[2] رجوعًا

لأن العقل أصل النقل مهما ... يخالف أصله سَقَطا جميعًا

واعلم أن الألفاظ التى زلّوا فيها وقدّروها نصوصًا أربعة: الأب، والابن، والإله، والرب، فإذا نحن أتينا عليها بالتأويل وبيَّنا ما تحتمله بالدليل من التوراة والإنجيل، لم يبق إلى إجرائها على الظاهر من سبيل بعد تقدير [صحتها][3] وتسليم ردودها ولو نسبناهم إلى التحريف والتصحيف[4] لأغريناهم بطغيانهم وحسمنا عنهم

(١) لم ترد فى الأصل.

(٢) فى المطبوعة: فنكسبة.

(٣) لم ترد فى الأصل.

(٤) التصحيف: هو الخطأ فى الصحيفة. (لسان العرب لابن منظور).

مادة إيمانهم؛ بل نتكلم بمقتضى اصطلاحاتهم ومنقولهم، فعسى أن تكون أقرب لعقولهم، وأما الخوض معهم فى أدلة المعقول وإن محال نسبته[١] إلى القديم وتبيين وجوه ذلك فشىء لا يحتمله قواهم ولا يلائم هواهم.

فنقول: أما لفظتا الأب والابن ففى لغتهم يسمى الولى ابنًا ويسمى المربى أبًا، ويعبرون عن ذلك بأبوة النعمة وبنوة الخدمة، وذلك مشهور فى نبوة[٢] أنبيائهم، والدليل من الكتاب العزيز قوله تعالى:

﴿وقَالَتِ اليَهُودُ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُه﴾ [المائدة:١٨].

فأجابهم الجليل جل ثناؤه بـ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨].

إن نسبة البنوة التى معناها الاستحقاق للإكرام والاستجلاب للإنعام إنما هى لأهل الاختصاص من أوليائه الكرام لا لمن تسربل[٣] بالذنوب والآثام فاستحق العذاب من رب الأرباب، فليست البنوة على ظاهرها، إن الحق متنزه عنها عقلاً[٤]

---

(١) فى (خ): نسبتهم.

(٢) فى (خ): نبيه.

(٣) سَرْبَل: كل ما لُبِسَ فهو سربال، وقيل فى قوله تعالى «سرابيل تقيكم الحر»: إنها القُمُص تقى الحر والبرد. (لسان العرب لابن منظور). مادة سربل.

(٤) جاء فى الكتاب الشيق «The riddle of trinit»
للكاتب الإسلامى الأفريقى ـAly - S - K - Jommql
هكذا عندما تعرض للكلام عن بنوة المسيح The sonship of christ:
«إنه من المدهش أن يسوع لم يَدَّعِ صراحةً فى الأناجيل إنه ابن الله بالمعنى المادى المحسوس...، فكيف أستطيع أن أجد ابنى وأبى فى واحد وفى نفس الوقت؟ فهل أنا الابن أو الأب؟ ولا أستطيع أن أكون الاثنين الآب والابن وقد انطووا فى شخص واحد، وإذا كان المسيح هو الابن the son فعندئذٍ سوف لا يكون هو الآب «الإله» « God ».
والمسيحيون عادة يستعملون اصطلاح: begotten أى المولود لله، وينسبوه للمسيح ويقولون عنه إنه الابن المتفرد الوحيد The only begotten somn.
وهكذا، فإذا كان الإله هو الوالد The Father فكيف يستطيع أن يكون مولودًا begotten ؟ وكيف يستطيع «الوالد» أن يكون «مولودًا»؟.
وإذا كان أى شخص لديه إدّعاء أفضل لأن يكون مَدْعُوًّا الله أو ابن الله، فسيكون هذا الشخص دون شك هو «مَلْكِى صَادِقًا وسوف نعقد مقارنة بينه وبين المسيح، وسوف =

ونقــلاً، وليس أحد من مــخلوقاته لهــا أهلاً، ألا ترى أنهم [لما][(١)] نسبــوا إليه بنوة عيــسى حَمْلاً على الظاهر من غيــر تأويل من الألفاظ الموهمة ولــم ينزهوا مولاهم عن صفات الحدوث المعلمة، [حَلّ][(٢)] بهم الوبال الوبيل فى معظم التنــزيل، فقال جل وعلا:

﴿ويُنذِرَ الذينَ قـالُوا اتَّخذَ الله ولَدًا مـا لَهُم به من عِلْمٍ ولا لآبائِهم كَبُرَت كَلِمـةً تخرُجُ من أفوَاهِهمْ إن يَقُولُون إلا كذبًا﴾ [الكهف: ٤].

= نرى تواً من هو المدّع الشرعى «للبنوّة» أو الألوهيه Godhof ، ومن هو صاحب المنزلة العظيمة أكثر من الثانى.

ملكى صادق: هو ملك السلام King of peace.

المسيح: هو أمير السلام Prince of peace .

ومن البديهى أن الأمير أقل رتبة من الملك.

مَلكى صَادق: ليست له بداية ولا نهاية حياة (عب ٧: ١ـ٣).

المسيح: نحن نعرف أن بدايته الولادة من العذراء مريم.

ملكى صادق: لم تكن له حياة منتهاة.

المسيح: نهايته كانت بتعليقه على الصليب On the cross.

ملكى صادق: كان بلا أب بلا أم، وبدون نسل ينحدر منه.

المسيح: على الأقل كان لديه أم تنحدر من سلالة طيبة.

فمن ندعو «ابن الله» أهو مَلْكى صَادقَ أم المسيح.. اهـ.

«ومع جميع البراهين العقلية والنقلية فإن المسيــحين متمسكون بأن يسوع له أهمية خاصة لأنهم يستعملون كلمة مولود «begotle».

وادعاء المسيحين بأن يسوع كان الابن الوحيد لله كان إثباتًا مزيفًا فى الكتاب المقدس.

وبحسب الكتاب المقدس فإن يســوع لم يدعُ نفسه ابن الله لكن لا يُنْكر أنه عَنِىَ أنه كان ابن لله بنفس المغزى ككل البشر وأنهم أولاده.

وقد قُررت هذه العلاقة البنوية فى مجمع نيقيه عام ٣٢٥.. اهـ.

(نقــلا عن كــتاب «لــغز الثــالوث» للكاتــب الإسلامى الأفــريقى على خــان جــومّال، وترجمتنا).

(١) لم ترد بالأصل.

(٢) لم ترد بالأصل.

وفى آية أخرى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرنَ منه وتَنشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجبالُ هدّاً * أن دَعَوا للرَّحمن ولَداً * وما يَنبَغي للرَّحمَنِ أن يَتَخذَ ولَداً * إن كُلّ مَنْ فى السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلا آتِى الرَّحمَن عبداً * لَقَد أحْصَاهُم وعَدّهُم عَدّاً * وكُلُّهُم آتِيه يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً﴾ [مريم: ٩٠ - ٩٥].

﴿ومَا قَدَرُوا اللهَ حَقّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

إذ كلٌ تحت قهره وأمره، وقال سبحانه فيمن نَسَب أهل الضلال الألوهية إليه: ﴿إنْ هُوَ إلا عَبْد أنْعَمنا عَلَيه وجَعَلناهُ مثلاً﴾ [الزخرف: ٥٩] وأما غير هذه الصفات فلا.

وقلت:

تعالى تقدَّس عن قولهم ... تنزَّه سبحانه عن ولدْ
وليس شبيهًا بمخلوقه ... وليس له كفوءًا من أحدْ
وقد شَهِدَتْ كتب المرسلين ... جميعًا بتوحيد ذات الصَّمَدْ
وعيسى وموسى ومن قبلهم ... ومن بعدُ كلٌّ له قَدْ عَبَدْ
وكلٌّ تجلى بوصف العبيد ... وكلٌّ لعزته قَدْ سَجَدْ

كل يأكل ويشرب، ويجوع ويسخب[1]، ويمشى ويركب، ويرتاح ويتعب، ويخاف ويرهب، وفى شأن الحوادث يتقلب، فبنوا ما نسبوه إلى بارئهم على فساد معتقدهم، فأضلهم الله على علمهم، وغفلوا عن تبديل ما فى الإنجيل من[2] عبودية المسيح فى النقل الصحيح.

وقلت فى هذا المعنى شعرًا:

أعماهمُ مولاهمُ فاغتدوا ... يحرفون القول عن[3] موضعهْ

(١) يسخب: السخب والصخب بمعنى الصياح، والصاد والسين يجوز فى كل كلمة فيها خاء، والسخب لغة فى الصخب.. اهـ. (انظر لسان العرب مادة سخب).

(٢) فى (خ): عن.

(٣) فى (خ): من موضعه.

لو يعلموا أن الذى أغفلوا من كتبهم ينبئ عن مرجعه

ينبئ بعض الحق عن بعضه هلا استبانوا الحق من منبعه؟!

والدليل على ذلك من التوراة أيضًا، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: «اذهب إلى فرعون وقل له: يقول لك الرب: إسرائيل ابنى بكرى أرسله يعبدنى، فإن أبيت أن ترسل ابنى بكرى قتلت ابنك بكرك»[1].

قالت التوراة: فلما لم يرسل فرعون بنى إسرائيل كما قال الله تعالى، قتل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس على السرير إلى الأتونى من أولاد الآدميين إلى ولد الحيوان البهيم[2].

فهذه التوراة تسمى بنى إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره، وتسمى أبناء «أهل مصر» أولاد فرعون، وتسمى سجال[3] الحيوان أولادًا لمالك الحيوان، ألا ترى إلى قوله تعالى: «أرسله يعبدنى» فعبر عن المطيع المتمثل بالابن، قال فى المزامير: «أنت ابنى سلنى أعطيك»[4] أمره بالتذلل والمسأله، وكقول المسيح: «إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم»[5]، وقوله: «إذا صليتم قولوا: يا أبانا الذى فى السموات قدوس اسمك افعل بنا»[6] كذا وكذا من باب السؤال والدعاء، وإذا

---

(١) النص الصحيح من ترجمة البروتستانت لعام ١٩٨٥ طبعه دار الكتاب المقدس هكذا:
«فنقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابنى البكر، فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر» (خر ٤: ٢٢).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحى، وكل بكر بهيمة» (خر١١: ٥).

(٣) سجال: جمع سَجْل، وهو الدلو العظيمة، والنصيب من الشىء. (المعجم الوجيز).

(٤) لم أعثر فى فهارس الكتاب المقدس (سفر المزامير) إلا عن هذا النص «... قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك» (مز٢: ٧).

(٥) النص الصحيح هكذا:
«... إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (يو ٢٠: ١٧).

(٦) النص الصحيح هكذا:
«فصلوا أنتم هكذا، أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن =

إسرائيل ابن الله وبكره فأى مَزِيّة للمسيح عليه حينئذٍ وعلى غيره.

وقال أيضًا فى قصة الطوفان: «إنه لما نظر بنو الله إلى بنات الناس وهنَّ حِسَان جدًا شغفوا بهنَّ فنكحوا منهنَّ ما أحبوا، واختاروا، فولدوا جبابرة مذكورين، فأفسدوا، فقال الله: لا تحل عنايتى على هؤلاء القوم»[1].

فالمراد بأبناء الله: أولاد هابيل، وبنات الناس: أولاد قابيل وكُنّ حسانًا جدًا فصرفن قلوبهن[2] عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الأوثان، فقد سمى أبناء الصلحاء أبناء له، فَدَلّ على أن الولى فى شرع أهل الكتاب يسمى ابنًا والمربى أبًا ومنعمًا، والدليل فى «المزامير» قول الله تعالى: «يا داود أنت ابنى وحبيبى»[3] وذلك بمساواته للمسيح إذا يقول له: «هذا ابنى الحبيب» فما ترى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بداود وإسرائيل[4] وأولاد الصلحاء.

= مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا... (مت ٦:٩ـ١٣).

(١) النص الصحيح هكذا من ترجمة البروتستانت ١٩٨٥:
«أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حَسَنات، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا.... وبعد ذلك إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذووا اسم» (تك ٦:٢ـ٤).

(٢) فى المطبوعة: (قلوبهم) وهى خطأ لغوىٌّ.

(٣) النص الصحيح هكذا: «... قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك» (مز ٢:٧).

(٤) يطلق لفظ إسرائيل كعلم على سيدنا يعقوب بن إسحاق، وههنا حكاية غاية فى الطرافة وإن دلت فهى تدل على خرافات الذين دونوا الكتاب المقدس؛ فليس من المعقول والمنطقى ولو للحظة واحدة أن يصدق إنسان ولو كان أميًا هذه الأقصوصة وسوف أسردها ليطمئن كل مسلم أنه يمتلك أطهر وأنقى كتاب على وجه الأرض وهو القرآن الكريم: «فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ـ أى الله (حاشا لله) ـ فرب حُق فخذه فانخلع حُق فخذ يعقوب فى مصارعته معه، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركنى، فقال ـ أى الله ـ له ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يُدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت،... قائلاً لأنى نظرت الله وجهًا لوجه». (تك ٣٢:٢٤ـ٣٠).

وقال فى «المزامير» لداود: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك، سلنى أعطيك».

وقال إشعياء فى نبوتـه عن الله: «تواصوا فى أبنائى وبناتى» يريد ذكور عباد الله الصالحـين وإناثهم، فالمسـيح لا يزيد على من تقدمه، فـإن لم يصح النقل[١] فلا بنوة، وإن صح فلا مزية.

والدليل أن الأبوة بمعنى التربيـة والإنعام قول المسـيح فى الإنجيل: «أبى ربانى» [فقد] فسر الأبوة بالتربية[٢].

وقال أيضًا: «أنا الكرم وأبى الفلاح»[٣] كما أن الفـلاح يسقى الكرم ويدفع عنه الأذى وينمـيه وكذلك يفـعل الأب، فإذًا لا مـعنى لإطنابهم[٤] فى بنوة المسـيح، فتخصيص التأويل بداود وإسرائيل وغيره وما إليه سبيل.

وهذه البنوة الروحـانية هى المسـتفـادة من تربيـة المشايخ والعلمـاء بالله الدالين عليه، وهى التى يصـير بها الإنسـان [إنسانًا][٥]، وذلك أن المولد الجـسمـانى يضع المولود ساذجًا عن المعـرفة خاليًا عن العـلم عاطلاً عن الأدب، وفى الآية: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا﴾ [النحل: ٧٨].

فإذا ولد الولادة [الروحانية][٦] تلاشت فى جنبها الولادة الجسـمانية، فينقل من الولادة الإنسـانية ويحـول عن صفـات الحيـوان، فتـردى بالعلم، وتحلّى بالحلم، ويشنف بالأدب، ويشرف بالزهد، ويروّض بالمعرفة، وقد قال المسيح عليه السلام: «لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين، الحق أقول لكم إن المولود من الجسد جسد، ومن الروح روح»[٧] يريد روح الحكمة التى قالت التـوراة أنها ملأت نسل

---

(١) فى المخطوطة : العقل.

(٢) فى (خ): التورية.

(٣) النص الصحيح هكذا:
«أنا الكرْمة الحقيقية وأبى الكرام» (يو ١٥ : ١).

(٤) فى (خ): فى إطنابهم.

(٥) فى (خ): ساقطة ونحن أثبتناها لإتمام المعنى.

(٦) الروحانية: ساقطة وقد أثبتناها.

(٧) النص الصحيح هو:
«المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح» (يو ٣ : ٦).

آل من سبط يهوذا.

وقال رجل للمسيح: مُرنى أن أذهب فأدفن أبى، فقال: دع الموتى يدفنون موتاهم، أمره بملازمة الأب الروحانى الذى هو سبب الحياة الدائمة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أهل القرآن هم أهل الله»[1] وذلك كله تشريف، وإلا فلا مناسبة بين القديم والحادث والخالق والمخلوق، ولأجل ما حصل من الأفهام السقيمة من الأنفس اللئيمة حَرّم الشرع هذه النسبة الكريمة حسمًا للباب ورفعًا للالتباس لما حصل من الارتياب، قال تعالى: **﴿ادْعُوهم لآبائِهِم هُوَ أقسَط عند الله﴾** [الأحزاب: ٥].

فإن أراد النصارى بالأبوة والبنوة المعنى الروحانى من التربية والتعليم لم نحاججهم فى ذلك بعد فهم المعانى التى تقول لا اختصاص للمسيح عليه السلام بهذه البنوة، والدليل على عدم اختصاصه: إذا كنا أبناؤه [فنحن] ورثته أيضًا، وقال أيضًا فيها: أن البَرِيَّة كلها تترجى ظهور أبناء الله تعالى، قال بعضهم: إن كان هذا الكلام صحيحًا فالمسلمون أحق بهذه التسمية فإنهم الذين ملأوا الأرض ونفعوا البرايا والأمم بما أرشدوهم من طاعة الله تعالى، وعلَّموهم من توحيد وشرعوا له من أحكامه، وتحقق رجاء البَرِيَّة بما أفادهم المسلمون من مصالح دينهم ودنياهم.

وقال «بولس» فى رسالته لبعض النواحى: «ألا تعلمون أنكم هَيَاكل الله تعالى، وأن روح الله حالّة فيكم، والدنيا والآخرة لكم»[2].

---

(١) النص الصحيح للحديث هكذا:

قال رسول الله ﷺ «إن لله أهلِين من الناس. قالوا: يا رسول الله، مَنْ هم؟ قال «هم أهل القرآن أهل الله وخاصته».

(قال العجلونى فى كشف الخفا: رواه النسائى، وابن ماجه، وأحمد، والدارمى، عن أنس مرفوعًا، وصححه الحاكم، وقال: إنه روى من ثلاثة أوجه عن أنس وهذا أمثلها).

(٢) لم نعثر على هذا النص بتمامه ولكن بحثنا فى سفر أعمال الرسل فوجدناه نصًا قريبًا منه وهو هكذا:

«... إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى» (أع ١٧ : ٢٤).

وقال فى رسالته الثانية: «إن الله قال: أنا أحل فيهم وأسعى معهم، وأكون لهم إلهًا، ويكونون لى بمنزلة البنات والبنين»(١) فهذا أبين.

النصارى لم تدع أن المسيح مباين لأحد(٢) من الملّة فى هذه البنوة.

وقال متى فى إنجيله: «إن جُبَاة الجزية جاءوا إلى بطرس فقالوا: ما بال معلمكم لا يؤدى الجزية؟ فقال: نعم. ثم أخبر المسيح بمقالتهم فقال: يا بطرس والبنون أيضًا يؤدون الجزية، اذهب إلى البحر فأول حوت تجده فخذ ما فيه وأدِّ عنى وعنك»(٣).

وهذه سورة زعم النصارى أن المسيح علمها تلاميذه وهى: «يا أبانا الذى فى السموات تقدس اسمك تأتى ملكوتك [تكون مشيئتك] كما فى السماء كذلك تكون على وجه الأرض، آتنا خبزنا قوتًا فى اليوم، واغفر لنا ما وجب علينا كما تحب أن نغفر لمن أخطأ إلينا، ولا تدخلنا التجارب لكن نجِنا من الشرير إذ لك المجد والقوة والملك إلى الأبد. . . آمين»(٤).

---

(١) لم أعثر على النص بلفظه أو قريبًا منه.

(٢) فى المطبوعة: أحدًا.

(٣) النص الصحيح من نسخة البروتستانت لعام ١٩٨٥ هكذا:
«ولما جاء إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا أما يوفى معلمكم الدرهمين - قال بلى، فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً ماذا تظن يا سمعان، فمن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمِنْ بنيهم أم من الأجانب، قال له بطرس من الأجانب. قال له يسوع فإذا البنون أحرار. ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألقه صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها، ومتى فتحت فاها تجد إستارًا فخذه، وأعطهم عنى وعنك» (بت ١٧: ٢٤- ٢٧).

(٤) النص الصحيح من نسخة البروتستانت ١٩٨٥ هكذا:
«أبانا الذى فى السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا فى تجربة، ولكن نجنا من الشرير. آمين» (مت ٦: ٩-١٣).
والصلاة عند النصارى لها شرطان أساسيان، لا توجد بدونهما، هما منها بمنزلة الدعامة.
=

فقوله: «يا أبانا الذى فى السموات» الأبوة متروكة الظاهر مُؤوّلة بما تقدم تقديره: يا أبانا الذى فى السموات قدوس.

قال يوسف فى التوراة لأخيه بنيامين: «يا بنى الله يترأف عليك» فقد سمى أخاه ابنه وليس ابنًا له على الحقيقة.

وقال فى التوراة لإخوته: «لستم أنتم الذين ابتعتمونى بل الله قدمنى أمامكم وجعلنى أبًا لفرعون وسيدًا لأهل الأرض»[1] يريد مدبرًا له.

وكان التلاميذ يقولون للمسيح: يا أبت؛ أى يا مدبرنا. كما قال لهم: «لا تدعوا لكم مدبرًا على وجه الأرض فإن مُدبِّركم المسيح» كما شهدت به سائر

= **الشرط الأول:** أن تقدم باسم المسيح؛ فقد جاء فى الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا: «الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمى، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً».

ويعللون ذلك بأن الإنسان بسبب خطاياه أبْعد عن رضا الله، ولكن بدم المسيح زال هذا البعد وأصبح قريبًا إليه.

الشرط الثانى: أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بما عندهم وليست للصلاة عندهم عبارات خاصة معلومه يجب أن يتلوها بل ترك لهم أن يتلوا العبارات التى يختارونها بشرط ألا تخرج عن قاعدة الصلاة التى علمهم إياها المسيح.. اهـ.

والصلاة المفروضة على جميع المسيحيين فى كل يوم سبع:

الأولى: قبل طلوع الشمس عند الانتباه.

الثانية: فى وقت الساعة الثالثة من النهار.

الثالثة: فى الساعة السادسة من النهار.

الرابعه: فى الساعة التاسعة.

الخامسة: فى الساعة الثانية عشر أو فى غروب الشمس.

السادسة: صلاة النوم.

السابعة: صلاة نصف الليل.. اهـ.

(انظر: محاضرات فى النصرانية ص ١٣٢. والعبادات المسيحية دراسة نقدية. دكتور محمود على حماية).

(١) النص الصحيح هكذا:

«فالآن ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله. وهو قد جعلنى أبًا لفرعون وسيدًا لأهل بيته، ومتسلطًا على كل أرض مصر» (تك ٤٥ :٨).

التلاميذ، وذلك بمعنى المدبر.

فإذا قال المسيح [لربه]: «يا أبت» ـ إن صح ذلك عنه ـ فهو كقول بطرس للمسيح: يا أبت، وقول التلاميذ لبطرس كذلك، وبهذا تنحل عقود النصارى فى دعوى بنوة المسيح وتنفصم عنهم، ولا يحاولون انفصالاً إلا وينعكس عليهم فى بنوة المسيح، ويقال لهم: هل أبوّة يوسف لأخيه بنيامين وللملك مصر إلا كأبوّة الله للمسيح، وهل بنوة المسيح لله إلا كبنوّة إسرائيل وداود وأولاد الشهيد من بنى آدم كما حُكى فى التوراة والكتب للقديمة.

ولما كان الأب هو المشفق العاطف ببّره، العائد بخيره، المجزل، المتفضل بامتنانه، وهذه المعانى لا تتحقق إلا من الله تعالى، والمسيح لما زكت روحانيته فلم يَر الوسائط أحسن عنده التجوّز باسم الآب عند الرب، وهذا مما يتعين حمل هذه الألفاظ عليه إن صح إطلاقها منه عليه السلام، إذ القديم جل وعلا مُنَزّه عن أن يشار إليه بأبوة البعضية المتخذة من الزوجية والسُرِّية، تعالى القديم عن مماسّة الحادث العديم، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، ولما كان الابن هو المهضوم الجناح، المفتقر فى سعيه إلى النجاح[1]، الخائف من دركات الهلاك، المُرَبَّى بِبره العميم، المُغَذَّى بمنّه الجسيم، لم يقبح عنده التوسع باسم الابن عن العبد.

فإن لم يؤوّلوا بهذا التأويل، فضحتهم التوراة والإنجيل، وفى المزامير ما يَدّل على ذلك، والإنجيل من فاتحته إلى خاتمته لم يخصص المسيح بهذه البنوة بل شارك فيها غيره من الصلحاء من عباد الله وأوليائه، فمن أنصف من النصارى علم صحة ما قلناه.

فقد قال يوحنا فى إنجيله: «إن المسيح كان مزمعًا أن يجمع أبناء الله فلم يقدر على ذلك»[2] فسائر بنى إسرائيل طائعهم وعاصيهم سماهم بهذا الاسم، وإذ ثبت إطلاق البنوة على يعقوب وداود، فما بال النصارى لا يقولون فى حقهم وحق

---

(١) فى المخطوطة: الجناح.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«... تنبأ أن يسوع مُزْمع أن يموت عن الأمة. وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد» (يو ١١: ٥٤).

يعقوب ابن الله بكره فله المزية على غيره من الأبناء، وكذلك داود وهو ابنه وحبيبه.

وقال لوقا فى إنجيله: «إن جبريل أخبر عن الله أن المسيح ابن داود»[1].

فهلاً نسبوه نسبته التى نسبه إليها جبريل؟! ولهجوا بذلك فى أقسامهم، وقالوا: وحق المسيح ابن داود، كيف رغبوا[2] عن تسيمة سماه الله بها قبل خلقه على لسان جبريل، أهم أعلم بما يجب له من الله لا سيما وقد مكث ثلاثين عامًا لا يُدْعَى إلا بابن داود، وسيأتى فى باب الدلالة على عبودية المسيح شواهد جمة من هذا الباب.

واعلم أن المسيح وتلاميذه كانوا معافين مما ابتلى به المتأخرون من النصارى. قال متى: «بينما يسوع جالس يتكلم عن الناس إذ قيل له: أمك وإخوتك[3] بالباب يطلبونك، فقال: من أمى ومن إخوتى؟ ثم أومأ بيده إلى تلاميذه، فقال: هؤلاء أمى وإخوتى[4]، وكل من صنع بمشيئة أبى الذى فى السموات فهو أخى وأختى وأمى»[5] فسمى المطيع لله قريبًا له فجعله أمًا وأختًا.

فإن حَمِلَ النصارى اللفظ على ذلك لزمهم ذلك فى لفظ البنوة والأبوة، فإنه كما يستحيل الحمل فى التلاميذ على الظاهر، فأولى على الله لا رجل من بنى إسرائيل يناله النفع والضرر، ما ينال غيره من البشر.

فإن قالوا: إذا لم يكن له أب فمن أبوه؟ قلنا لهم: إذا لم يكن لآدم أب فمن أبوه؟!

---

(١) النص الصحيح هكذا: «وقال لهم: كيف يقولون إن المسيح ابن داود؟» (لو ٢٠: ٤١).

(٢) فى المخطوطة: زعموا.

(٣) فى المخطوطة: أختك.

(٤) فى المخطوطة: أختى.

(٥) النص الصحيح هكذا:

«فأخبروه قائلين: أمك وإخوتك واقفون خارجًا يريدون أن يروك. فأجاب وقال لهم: أمى وإخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» (لو ٨: ٢٠-٢١).

والنص ليس فى إنجيل متَّى كما قال المؤلف ولكنه من إنجيل لوقا، وكان من الواجب أن يتحرى الدقة المتناهية عند استشهاده بالنصوص، والله أعلم بالصواب.

فإن قالوا: خلق الله آدم أعجوبة، قلنا: وكـذلك المسيح إذ خلقه من غير أب، وكم خلق الله من الحيوان من غير توالد وتناسل معروف.

وقد ابتدأ العالم بأسره من غير مثال، فأى آيات الله تنكرون؟! المسيح نُسِجَ على منوال من[١] ولم تصدر هذه اللفظة منه إلاَّ أتبعها بلفظة العبودية.

وقال إشـعياء: «إن الله تهدد بنى إسـرائيل على ذنب فعلوه، فلما خـافوا نزول العـقـوبة قالـوا فى دعائهـم: اللهم ترأف علينا وأقـبل بوجـهك إلينا ولا تصـرف رحمتك عنا فـأنت هو الرب أبونا، فأما إبراهيم وإسرائيل فلـم نعرفه، ولكن أنت أبونا، يا رب ارحمنا ونحن عبيدك»[٢].

وإنما جعل التـسمـية بالابن والأب من باب التودد والاسـتعطاف والخـدمة له، فلهذا لم يكن يضر المتقدمين الإطلاق فى ذلك، ولما جاء المتأخرون استعملوه فخرًا وتزكية وتمجيدًا لأنفسهم مع ملابستهم المعصية فقيل لهم فى الكتاب العزيز:

﴿ما اتَّخَذَ الله مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

فحرم الإطلاق سدًا للذرائع[٣].

وأما لفظتا الإله والرب:

فالرب: المربى باللطف والإحسان، العائد بالامتنان، وهاتان اللفظتان تستعملان فى حق العظيم من الآدميـين تجوزًا وتوسعًا لكن عـلى جهة التقـييد لا على جـهة الإطلاق، وهذه كتب القوم تشـهد بأن المعلم والمدبر والقيم[٤] يسمى ربًا، كما أن الرجل رب منزله وماله.

---

(١) فى المخطوطة: ما.

(٢) لم نعثر بالطبع على النص الأصلى ولكن المؤلف أتى بما يوافق مـعناه وكان هذا بالنسبة لنا كمن يبحث عن إبرة فى كومة من القش ثم وجدنا النص وهو هكذا:
«فـإنك أنت أبونا وإن لم يعـرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسـرائيل، أنت يارب أبونا، ولينا منذ الأبد اسمك» (إش ٦٣: ١٦).

(٣) الذرائع: مفردها ذريعة وهى الوسيلة، وقد تذرع فلان بذريعة أى توسل، والجمع الذرائع (لسان العرب ـ ابن منظور من ص ١٤٩٨ـ باب ذرع).

(٤) فى المخطوطة: القديم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام لرجل: «ربُّ إبلٍ أنْتَ أمْ ربُّ غَنَم؟» فقال: من كلٍّ آتانى الله فأجزل.

وقال إشعياء النبى عليه السلام: «عَرَف الثور من اقتناه، والحمار مربط ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل»[١].

وفى «التوراة» قال إبراهيم ولوط عليهما السلام: «يا رب مل إلى منزل عبيدك» ونحن والنصارى متفقون على عدم التعبد للملائكة، وإنما أرادا الإجلال فى الخطاب.

وفى الحديث: «قوموا لسيدكم».

وفى التوراة: «يقول الله لموسى: جعلتك إلهًا لفرعون»[٢] يريد مسلَّطًا عليه ومحكَّمًا فيه.

وفيها - وقد شكى لثغة فى لسانه وعُجْمة فى منطقه - فقال الله تعالى: «قد جعلتك ربًا لهارون وجعلته لك نبيًا أنا أمرتك[٣] أن تبلغه وهو مبلغ بنى إسرائيل».

ولم يقل الله للمسيح قد جعلتك ربًا وإلهًا إنما ذلك شىء يقوله النصارى، فقول بطرس للمسيح «يا رب» إن صح فهو منزّل منزلة ربوبية موسى لهارون من حيث أن المسيح مبلغ عن الله أوامره كتبليغ موسى أخاه.

قال داود فى المزمور الثانى والثمانين[٤]: «قام الله فى جماعة الآلهة وهو يعنف الأكابر من بنى إسرائيل: أنا قلت لكم إنكم آلهة، وبنى العلاء كلكم تدعون»[٥].

ولم ينكر عليها ويستدل على ذلك بقول المسيح عليه السلام: «ليس بجيد أن

---

(١) النص الصحيح هكذا.
«الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يَعْرف» (إش ١ :٣).

(٢) النص الصحيح: أنا جعلتك إلهًا لفرعون» (خر ٧ :١).

(٣) فى المطبوعة: آمرك.

(٤) فى المخطوطة: الثلاثين وهى خطأ حيث كشفنا عنها فوجدناها الثمانين.

(٥) النص الصحيح هكذا:
«الله قائم فى مجمع الله فى وسط الآلهة يقضى، أنا قلت إنكم آلهة وبنو العَلى كلكم» (مز ٨٢ :١ - ٦).

يؤخذ خبـر البنين فيعطى للكلاب» فقد سـمى الكفار كلابًا وسمى الشفـاء خبزًا، وذلك دليل على التوسع والتجوّز.

وقد تقـدم فى معنى الـرب أنه المدبر، [وأنه] يقال للعظمـاء لا سيـما فى مـقام استعطافـه لقضاء حاجـتها، ولما ظهر له ذلك منها وأنهـا مؤمنة به قضى حاجـتها، وقال مـا قال أولاً لعدم علمه بإيمـانها وهذا يدل على عدم علمـه أولاً وظهوره له ثانيًا وهذا دليل على العبودية.

وجه آخر لكذبهم: قال مرقس: «خرج يسوع وتلامـيذه إلى البحر، وتبعه جمع كثير، فـأبرأ أعلاءَهم، فجعلوا يزدحمـون عليه ويقولون: أنت هو ابن الله، فكان ينهاهم وينتهرهم»[1].

فلو كان إيمانًا من قائله لم ينهه المسيح، وكيف ينهى عنه وقد جاء لنشر الدين، وبث اليقـين، والأمر بالكتمـان، ينافى الإعلان بالإيمان، فلو كـان قولهم - وهم جمع كثيـر -: أنت ابن الله توحيدًا لم ينههم عن التوحيـد وإنما نهاهم لمخالفة نص الإنجـيل إذ قال لوقـا فـيه: «إن المسـيح هو ابن داود، وإن الرب[2] يجلسـه على كرسى أبيه داود» وذلـك بشهادة جبريل عليـه السلام فلذلك نهاهم عـما لا يحسن قوله.

فإن قـال النصارى: إنما ينهاهم خـوفًا من اليهود أن يفطنوا به إذ كـانوا يرجون قتله، قلنا: ألم تزعـموا إنما تعنَّى ونزل إلى الأرض ليُقتل إيثـارًا لكم وتخليصًا من العذاب الذى ورطكم فيـه آدم بتعاطى الخطيئـة، أفترونه ندم على ذلك فهو يسـتتر ويتوارى خوفًا من القتـل، أفتصفونه بالندم والجهل بعـواقب الأمور. لقد كاد الله هذه العقول وحاد بها عن سواء السبيل.

فإن قلت: كيف ينهاهم ونسبة البنوة كانت عندهم سابقة[3] لمن كان من عباد الله الصالحين لا سيما لمّا أبرأهم من عللهم؟ قلنا لوجـهين: إما أنه لم يفهم منهم نسبة

---

(١) لم نعثر على هذا النص، والأرجح أنه معنى للنص أما الذى عثرنا عليه فهو هكذا: «ثم خرج أيضًا إلى البحر وأتى إليه كل الجمع فعلّمهم» (مر ٢:١٣).

(٢) فى المخطوطة: الله.

(٣) فى المطبوعة: سائقه.

الخدمة وإنما فهم منهم أن هذه الأفعال لا يفعلها إلا الله تعالى، فنسبوه له نسبة حقيقية فلذلك زجرهم ونهاهم.

الوجه الثانى: سَلَّمنا أنه ما فهم [منهم] إرادة الحقيقة إنما فهم منهم التزكية والمدح فى مقابلة ما أسداه لهم فكان ذلك كالأجر على ما فعل وهو[1] لم يُردْ إلا وجه الله، لا يريد منهم جزاءً ولا شكورًا. وقال سيدنا موسى عليه السلام لابنة شعيب لَمَّا دعته إلى أبيها للضيافة فى مقابلة ما سقى: إنا لا نأخذ على اصطناع المعروف أجرًا.

نوع آخر: قال لوقا: «كان كل من له مريض يأتى به إلى يسوع فيضع يده عليه فيبرأ، فيقولون له: أنت الله، فكان ينتهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا»[2].

فالنصارى الآن مُعْرِضون عن إنجيله، سالكون غير سبيله، فقد شهد لوقا بما شهد به بطرس.

ولو كان خشية من اليهود ما أكثر من فعل الآيات وإظهار المعجزات وإشاعة فعلها فى الخاص والعام على ممر الأيام، بل إنما نهاهم لنص الإنجيل وبيان جبريل حيث يقول إنه ابن داود، وقد قال متى فى صدر إنجيله: «هذا ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم»[3] وهو الصادق عَنْدَهم فلذلك رد على زعمهم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فإن قيل: ساعدتمونا على ترك العمل بظاهره إذ سلمتم أنه مولود من غير أب، فكيف توردون علينا بنوة داود إذا كنتم لا تقولون بذلك فقد سلم لنا مرادنا؟

قلنا: النسبة نسبتان، نسبة تشريف، ونسبة تعريف. فالتعريف نسبة الإنسان إلى والده الذى هو أصله، والثانية نسبة من وَلَد والده أى هو أصل صلبه، فالمسيح

---

(١) فى المخطوطة: وهم.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«عند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سُقَماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم، وهى تصرخ وتقول: أنت المسيح ابن الله، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون. . . » (لو ٤ : ٤٠ـ٤١).

(٣) النص من إنجيل متى ١ : ١.

منسوب إلى داود النسبــة الثانية لأن مريم أم المسـيح من قبيلة[1] داود، وداود من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وإذا كان بهذه النسبة ذهب ما اجتمعتم عليه من الضلال.

فإن قــالوا: إن كــان قد ورد نهــيه لفظ البنوة فــقد قــال: «إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم» قلنا: وقد قــال بعد: «وإلهى إلهكم» وإنما النهى فى الإنجـيل عمن يعتــقد الحقيقــة لا المجاز والتوسع فالمسيح يقــول: إن الله إلهه وربه، وأنتم تقولون: بل هو الله، لقد تباعد ما بينكم وبينه.

* * *

(١) فى المطبوعة: قبيل.

الباب الأول

فيما سَلِمَ من التبديل من ألفاظ الإنجيل

مما فيه الشهادة من عبودية المسيح من الأدلة الواضحة والإشارات اللائحة بما ساوى فيه الأنبياء والمرسلين بشرائع رب العالمين

قال متى فى إنجيله: «أتى المسيح إلى يوحنا المعمدانى - يريد بذلك يحيى بن زكريا - من الأردن إلى الجليل ليتعمد[١] على يديه، فقال حين رآه: هذا الذى قلت لكم إنه يجيئ من بعدى وهو أقوى منى وأنا لا أستحق أن أقعد مجلس خفة، ثم قال للمسيح: إنى لمحتاج أن أتعمد منك، فقال يسوع: دع عنك الآن هذا فإنه ينبغى لى أن أكمل البر، فتركه فتعمد»[٢].

قلت: هذا المسيح متقيد بالعبادات؛ لأنه فى حبائل التكليف والتقييد ملزم بوظائف الخدمة قائم بما يجب ليوحنا من الخدمة. مساوٍ فى تعمده على يديه وتعبده، من هو مثله من الأمة فقَصَد للتعميد أهله لأنه قال أن يوحنا لم تلد النساء مثله، وفى ذلك شهادة عامة ونسبة للشرف تامة وذلك أدل دليل على عبوديته.

وقد صَرّح يوحنا بذلك قولاً وفعلاً، [أما قولاً] فبما ثبت عنده فى إنجيله نقلاً إذ يقول المسيح أقوى منى، والتفضيل إنما يكون بين فاضلين أحدهما أقوى، لا بين إله وآدمى فلا يصح بذلك الدعوى.

وأما فعلاً: فقد تعمد على يديه أسوة من يأتى إليه، فقد كان يوحنا فى مقام الشيخية، والمسيح فى أكمل أحواله مريدًا له أسوة [بـ] أمثاله لأنه سعى من الأردن إليه ليتعمد على يديه.

---

(١) فى المخطوطة: ليعتمد.

(٢) النص الصحيح من ترجمة البروتستانت لعام ١٩٨٥ هكذا:

«أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحل سيور حذائه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (لو ٣:١٦).

فقلت:

فلو كان ربًا كما تزعمون ... أيسعى ليحيى مِنَ الأردنِ؟!
ويحتاج للماءِ فى برّه ... ليكمل بالمورد الأحَسَنِ
ويجعل يحيى إمامًا له ... ليعمِّده فهو كالمُحْسِنِ
إليه وما كان من فعله فتمَّ ... لعيسى المقام السَّنى
فلو كان عيسى إلهًا كما[١] ... زعمتمُ لقد كان عنه غَنِى

أو كان يحسن من نبى الله وهو من أهل الحل والعقد ومن [أَجَل][٢] أهل النقد، أن يجهل ربه ولا يعرفه فيعامله معاملة المخلوقين، ويسير به سَيْر المربوبين، قصارى أمره أن تواضع على عادة السادة العارفين فقال: أنا أحق بالتعميد منك، [وإنك][٣] أقوى، فلم يقبل المسيح هذه الدعوى، فقال: جئت للتكميل، [وهل][٤] يحتاج إليه الرب الجليل؟

فهذه ألفاظه الشريفة شاهدة له وعليه بالعبودية لرب البرية، وهل أحد تواضع لله كما تواضع، وعَبّد كما عبد، وقام لمولاه بشرائط الأدب، وإن كان يحيى لما تواضع عرف أنه الإله، وأن تواضعه تسير به على من سواه فهلا نصح عباده وأرشدهم إلى معرفة باريهم وخالقهم وقام خطيبًا فى الناس فأخبرهم وقال: اعلموا رحمكم الله! أن هذا عيسى هو الذى حَلّ فى بطن مريم ثم خرج منها لخلاصكم، كما تعتقده النصارى اليوم وحاشاه من ذلك.

وقلت:

وحاشا المسيحُ النَّبىُ الكريم ... مِنَ القولِ فى أنه خالقُ
وحاشاه مِنْ هذه التُرَّهات ... وقد كان فى قوله صادقُ[٥]

(١) فى المخطوطة: له: وهى غير صحيحة فى موضعها.
(٢) فى المخطوطة: جَهْل.
(٣) فى المخطوطة: أنا.
(٤) فى المخطوطة: هو.
(٥) فى المطبوعة: وما هو إلا امرؤ.

ومِنْ قَبْلُ جاءت به أمّه وقد كان فى مهده ناطقُ[١]
بأنّى عبدٌ أتانى الكتاب وما عاقه بعد ذا عائقُ
فكيف يقول إذا ما استوى: أنا الله والخالقُ الرازقُ!

فإن قيل: إنما تعمَّد ليعلم الناس العبادة، إذ العبادة ليست هى بالأقوال بل هى[٢] بالأفعال.

قلنا: أو لم تكن الناس يعرفون [العبادة] قبله فما زادهم أن قال: تعلموا العبادة يا من هم بها عالمون، كمن[٣] يقول لحاسب ماهر: إن خمسة عشر وخمسة عشر: ثلاثون، فيقال لهم: هل جاء ليعلم الناس الأكل والشرب وصفات البشر المنزه عنها الإله؟

فإن قيل: قد قال متى فى تمام هذا الكلام: «إن يسوع لما تعمَّد وخرج من الماء انفتحت له أبواب السماء، ونظر روح الله جاءت له فى صفة حمامة، وإذا صوت من السماء: هذا ابنى الحبيب الذى سُرَّت به نفسى»[٤].

وذلك دليل لهم على ما ادعوه من ألوهيته.

قلنا: لا نُسلم صحة هذا النقل لضعفه، والدليل على أن صدور مثل هذه الآية العظيمة الآتية عند التعميد، واجتماع الغوى والرشيد سبيلها أن تنتشر، وحقها أن تشتهر حتى ينقلها الجم الغفير والخلق الكثير، فحيث لم ينقلها إلا واحد تبين بُطلان ذلك وكذب ناقله، ولما ساغ لليهود التكذيب بعد ما سمع الناس صوتًا من السماء أنه الحبيب، ولكان[٥] كل نبى سمع الصوت فاز بما فاز به الكليم، وقد

---

(١) فى المطبوعة: وفى المهد عن نفسه.

(٢) فى المطبوعة: كهى.

(٣) فى المخطوطة: كم.

(٤) النص الصحيح هكذا.

«فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيًا عليه، وصوت من السموات قائلاً: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (مت ٣: ١٦-١٧).

(٥) فى المطبوعة: ولو كان.

أثبتوا للبارى صوتًا وحرفًا يسمعه كل أحد على ما لا يخفى، وهل ذلك إلا دعوى يكذبها العقل وينبو[١] عنها السمع، ليس عليها برهان فلا يحسن بها إيمان، ولو سلمنا حصول بعض ذلك من تفتح أبواب السماء وكون الروح فى صفة طائر فليس فيه دليل للنصارى بل ذلك آية دلت على نبوته ورسالته، وقد يكون ذلك أول ابتدائها، فلا غرو أن يأتى بخارق مكذب لأعدائه اليهود مُنَزَّلٌ منزلة قوله صدق عبدى، كما هو شأن المعجزات من قبل ومن بعد، ويا عجبًا منهم يقولون إنه تجسد بروح القدس فى بطن أمه، ثم يقولون إنه عند تعمّده جاءه روح القدس فى صفة حمامة، فهل فارقت جسده بعد ما بها تجسّد؟!

وقلت:

أطارتْ عنه أم جاءتْ إليه ... فدلّونا على ما نَرْتَضيه

مقامُ المدحِ يقضى أنها قَدْ ... تجلَّت بعد تعميدٍ عليه

ويويد ذلك أنه بلغ من عمره ثلاثين سنة يُدْعَى بابن يوسف وابن داود ولم يدع بشىء مما انتحلته النصارى، وما أيد بروح القدس وسُمِّى المسيح إلا بعد التعميد كما تشهد بذلك كتبهم.

وأما الروح: فتطلق بإزاء معان، تارة تطلق على جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قل نَزَّلَه رُوح القُدُسِ مِنْ رَبِّك بالحق﴾ [النحل:١٠٢] وكان أتى لأمه عند حمله فى صفة بشر. وأتى له عند تعميده[٢] فى صفة طائر ميمون فَسُرَّ بذلك واستبشر.

---

(١) ينبو: النبأ الخبر، والجمع أنباء، وإن لفلان نبأ: أى خبرًا، وقد أنبأه إياه وبه، وحكى سيبويه أنا أنبوك على الاتباع. (لسان العرب ـ ابن منظور).

(٢) يقول الأرشيديا كون حبيب جرجس فى كتابه «أسرار الكنيسة السبعة» عند التعرض عن سر المعمودية:

«المعمودية سر مقدس به نولد ميلادًا ثانيًا بتغطيسنا فى الماء ثلاث دفعات على اسم الثالوث الأقدس: الآب، والابن، والروح القدس، ولسر المعمودية الرتبة الأولى بين الأسرار السبعة المقدسة.

وهى سر المعمودية، سر الميرون، سر الشكر أو الإفخار سبتا، سر التوبة ـ سر مسحة المرضى، سر الذبيحة، سر الكهنوت؛ لأنه بمثابة باب يدخل منه المؤمن إلى الكنيسة. =

وتارة يكون ملكًا غيره: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والملائكة صَفًّا﴾ [النبأ:٣٨].

= (ولكن) لماذا عيّن الرب الماء للمعمودية؟.
ففى سر المعمودية عين الرب لميلادنا الثانى الماء وذلك:
١ـ لأن الماء يغسل الأقذار، والمعمودية تنقى من جميع الخطايا.
٢ـ الماء يجدد وينعش الجسم، والمعمودية تحيى خواص النفوس.
٣ـ لأن بالماء قوام الحياة والمعمودية تمنح الخلاص. . اهـ.
وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها كما نفهم من الكتاب المقدس، ولما جاء يسوع تبّنى هذا الطقس وجعله فريضة فى الكنيسة المسيحية والمعمودية فى العهد الجديد تشبه الختان فى العهد القديم.
ولم يعمد المسيح أحدًا (يو ٤ : ٢) وكانت أول معمودية مسيحية فى يوم الخمسين بعد أن قبل التلاميذ معمودية الروح القدس والنار، وقد اختلفت وجهات نظر المسيحين حول المعمودية وكان الجدال الأكبر حول قضيتين: نوع المعمودية، ومعمودية الصغار والكبار.
فقد قال بعض المسيحين إن المعمودية لا تصح إلا بتغطيس الإنسان تغطيسًا كاملاً، أو بتغطيسه ثلاث مرات وليس مرة واحدة.
إلا أن أغلبية المسيحيين تكتفى برش الماء على الوجه؛ لأن المقصود من وضع الماء هو الإشارة إلى غسل الروح القدس، لذلك كانت كمية الماء غير مهمة فى الموضوع.
وقال بعض المسيحيين: إنه لا لزوم لتعميد الأطفال وأن الاعتماد للمؤمنين فقط، أى الذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد، إلا أن أغلبية المسيحيين تعتبر معمودية الصغار واجبة ما داموا أطفالاً لمؤمنين. . اهـ.
أما القس المهتدى «عبد الله الترجمان» فيقول فى كتابه «تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب»:
وصفة التغطيس: أن فى كل كنيسة حوضًا رخامًا وكيزانًا يملؤه القسيس بالماء ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل، ويرمى فيه ملحًا كثيرًا وشيئًا من دهن البلسان، فإن كان أحد يطلب أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه - بزعمهم - بين يدى الله بالتغطيس . ويقول له القسيس عند حوض الماء المتقدم ذكره: يا هذا اعلم أن التنصر أن تعتقدوا أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس، وأن ربنا عيسى ابن الله، وأنه التحم فى بطن أمه مريم فصار إنسانًا وإلهًا فهو إله من جوهر أبيه وإنسان من جوهر أمه، وأنه صُلب ومات وعاش وصار حيًا بعد ثلاثة أيام من دفنه، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الذى يحكم بين الخلق، وأنك آمنت بكل ما يؤمن به أهل=

وتارة بمعنى العلـم والحكمـة كقـول التـوراة لموسى: «يصنع لـك قبـة الزمـان بصلائل الذى ملأته روح الحكمة والعلم»[1].

وتـارة روح الآدمـى: ﴿وَيَسْأَلُونَـكَ عَنِ الـرُّوحِ قُلِ الـرُّوحُ مِـنْ أَمْرِ رَبِّـى﴾ [الإسراء: ٨٥].

وتارة كناية عن سرٍّ كقولهم: هذا روح المسألة أى سرها ولُبها، فنسبة الروح إلى الله نسبـة مُلْكٍ كقولهم فى التـوراة: «إن موسى رجل الله، وعصاه قـضيب الله، وقبـة الأبد بنيت فى النسـبة خـباء الله، وأورشليم ـ التى هى بيت المقـدس ـ بيت الله»[2].

وقول متى: «ونظر روح الله جاءت إليه» يريد مُلْكه.

والدليل على مـساواة المسـيح لغيره فـى هذه الروح والتأييـد بها قول لـوقا فى إنجيله: «قال يسوع: إن أباكم السماوى يُعْطِى روح القدس الذين يسألونه»[3].

وفى التـوراة: «قال الله لموسى: اختـر سبـعين رجـلاً من قومك حتـى أفيض عليهم من الروح التى عليك فيحملوا عنك ثقل هذا التـعب، ففعل فأفاض عليهم من روحه فثبتوا لساعتهم».

وفى التـوراة فى حق يوسف: «يقول الملـك: هل رأيتم مثل هذا الفـتى الذى روح الله عز وجل حالَّة فيه؟!».

= الكنيسة: فهل آمنت بهذا كـله؟؟ فيقول المتنصر: نعم، فحينئذ يأخذ القـسيس صحفة من مـاء ذلك الحوض ويسكبـها عليـه وهو يقـول له: وأنا أغطسك باسم الآب والابن والروح القدس، ثم يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف وقد دخل فى دين النصارى. . اهـ. (انظر: قاموس الكتـاب المقدس / د . بطرس عبد الملك وآخـرين تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب للشيخ عـبد الله الترجمان تحقـيق د. محمود على حماية . مـوسوعة تاريخ الأقباط ـ زكى شنودة).

(١) لم أعثر عليه بلفظه أو قريبًا منه.

(٢) لم أعثر عليه بلفظه أو نصًا قريبًا منه.

(٣) لم أعثر فى إنجيل لوقا على هذا النص، والنص الوحيد الذى ورد فيه لفظ السماوى هو إصحاح (٢: ١٣).

وفيها - أى فى التوراة -: «إن روح الله حلَّت على دانيال».

وفيها: إن موسى لما توفى امتلأ يوشع - خادمه - من روح القدس؛ لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه، فقد استوى المسيح مع من ذكرنا فى تشريفه بهذه الروح.

وفى حق المسلمين من الكتاب العزيز: ﴿وأَيَّدَهم بِرُوحٍ منه﴾ [المجادلة: ٢٢].

فما أجبتم به من حلول الأرواح فى هؤلاء فهو جواب لنا عن حلوله فيما تدعونه.

فإن قالوا: الروح الآتية[1] للمسيح روح الله، قلنا: الويل لكم إن كان [ما تدَّعون][2] وتقولون، فقد صارت ذات البارى ميتة لا روح فيها، وقد قال يوحنا فى المسيح: إنه خروف الله، وتارة: إنه جمل الله، فقد نسبه نسبة ملكٍ لا نِسْبَة ولد، إذ هو منزه سبحانه عن الروح والجسد، والوالد والولد، ولم يكن لَه كفوًا أحد.

قال متى فى الفصل الثانى من إنجيله: «قال الله فى بنوة إشعيا وهو يعنى - المسيح -: هذا فتاى الذى اصطفيت، وحبيبى الذى ارتاحت له نفسى، أنا واضع روحى عليه ويدعو الأمم إلى الحق»[3].

قلت: سَمّاه عبدًا مصطفى وحبيبًا مجتبى على لسان إشعياء، وبعثه مأمورًا بدعوة الأمم أسوة [بـ] غيره من الأنبياء.

أورد ذلك متى فى معرض الاستشهاد على أهل الفساد حيث نَسَبَهُ الفجار إلى يوسف النجار، فقد تضافر الإنجيل ومحكم التنزيل على عبوديته وجعله داعيًا لأمته

---

(١) فى المخطوطة: آية.

(٢) فى المطبوعة: كلمة ما تدعون ساقطة.

(٣) النص الصحيح هكذا:
«لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل: هو ذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سُرَّت به نفسى، أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق» (مت ١٢: ١٧ - ١٨).
وكان الواجب من الأمانة العلمية لدى المؤلف أن ينوه عن الإصحاح ورقمه والذى يسميه فصلاً، ولكنه أتى بالمعنى المشابه دون الرجوع إلى نسخة من نسخ الكتاب المقدس. اهـ.

كداود وموسى.

والفتى: هو العبد والخادم لا الولد، والدليل عليه من التوراة فى السفر الأول منها قول موسى: «إن إبراهيم عبا فتيانه لخلاص ابن أخيه لوط وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً، وسار فى طلب العدو الذى أسر لوط فهزمه وخلّص لوط وماشيته وجميع ماله»[١].

ومعلوم أن أولاده لم يبلغوا العدد المذكور.

وقال موسى فى السفر الرابع من التوارة[٣] فى قصة بلعام بن بعورا[٢]: «إن

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«فلما سمع أبْرَام أن أخاه سُبِىَ: جَرّ غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان، وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسّرهم وتبعهم إلى حوبة التى عن شمال دمشق واسترجع كل الأملاك، واسترجع لوطًا أخاه أيضًا وأملاكه...» (تك ١٤: ١٤-١٦).

(٢) بلعام: ومعناه «مبتلع» أو «ملتهم» وهو ابن بعور من بلدة تدعى «فتور» فى أرام النهرين وكان نبيًا عرافًا.
انظر: دائرة المعارف الكتابية ـ تحرير نخبة من رجال اللاهوت، نشر دار الثقافة ص ١٩٣.

(٣) الأسفار الخمسة معروفة باسم «بنتاتوك «pentateveh» باللغة اللاتينية، وتتكون الأسفار الخمسة والمنسوبة إلى موسى من: سفر التكوين، الخروج، اللاويين أو الأحبار، والعدد، والتثنية أو تثنية الاشتراع، وتضاف إلى هذه الأسفار أسفارًا أخرى تسمى أبوكريفا Apocrypha أى الكتب المخفية.
أما الذين ألفوا كتب الشريعة الخمسة الأولى (تكوين ـ خروج ـ لاويين ـ عدد ـ تثنية) فهم لجنة أو مجموعة من المؤلفين، ولم يؤلفها موسى كما يقول التاريخ التقليدى Traditional History ولم يبق أى من العلماء التوراتين من يقبل بنظرية تأليف موسى لهذه الأسفار.
وقد تمكن هؤلاء بعد دراسات طويلة من تحديد ثلاثة مؤلفين أو ثلاث مدارس تأليف قامت بهذه المهمة:
أ ـ المدرسة «اليهوية» نسبة إلى اسم «يهوه»، ويعود لهذه المدرسة الفضل فى تأليف القسم الذى يسيطر فيه الإله «يهوه» على الأمور، ولغة هذه المدرسة فجة واقعية غير منمقة تسمى الأشياء بأسمائها ولا ترتبك أو تستعمل اللف والدوران عند وصف الوقائع التى أضيفت على التوراة صفة الوصف الجنسى الفج مثل: =

بارق الملك أرسل إلى بلعام ليدعو على بنى إسرائيل بعد مفاوضات وصار راكبًا

= «فكان أونان إذا دخل على امرأة أخيه أفسد على الأرض لئلا يجعل نسلاً لأخيه» (تك ٩:٣٨).

ب ـ المدرسة «الإيلوهية» نسبة إلى «إيلوهيم» Elohim إله إسرائيل الثانى، ولغة هذه =
= المدرسة أكثر تهذيبًا من المدرسة «اليهوية»، ويعود إلى تلك المدرستين تحرير معظم سفرى الخروج والتكوين.

جـ ـ مدرسة الكهنوت ويعود إلى هذه المدرسة تحرير سفر العدد وبعضًا من السفرين السابقين، وصفتها المميزة كيفية تطبيق تعاليم الدين. . اهـ.

وتقول الترجمة المشرقية الصادرة عن دار المشرق لكتب الشريعة الخمسة: «أن أسفار الكتاب المقدس هى عمل مؤلفين ومحررين عُرِفوا بأنهم لسان حال الله فى وسط شعبهم».

ونختتم هذه الحاشية بما توصل إليه المؤرخ اليهودى «باروخ سبينوزا» فى كتابه القيم «رسالة فى اللاهوت والسياسة» من أن موسى ـ عليه السلام ـ ليس هو كاتب الأسفار الخمسة، ولنشرع فى تسطير ما جاء به:

«يبين ابن عزرا ويثبت أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وأن موسى كتب سِفراً مختلفًا، وللبرهنه على ذلك يذكر:

١ـ أن موسى لم يكتب مقدمة سفر التثنية لأنه لَم يَعْبُر نهر الأردن.

٢ـ نُقِشَ سفر موسى كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد (انظر تث ٢٧، يش ٨: ٣٢) ويتكون من إثنى عشر حجراً حسب عدد الأحبار.

٣ـ كذلك يؤكد أنه قد ورد فى تث ٣١: ٩ : «وكتب موسى هذه التوراة» ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك، بل لابد أن يكون قائلها كاتبًا آخر يروى أقوال موسى وأعماله.

ثم يُكمل سبينوزا تحليله الرائع بقوله:

ولكن يبدو أن ابن عزرا، قد فاته أن يذكر أهم الأمور، إذن يمكن إبداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على هذه الأسفار فمثلا:

١ـ لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما يعطى عنه شهادات عديدة مثل: تحدث الله مع موسى، كان الله مع موسى وجهًا لوجه، وكان موسى رجلاً حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس «عدد ٢٥: ٤ ـ ١٦) فسخط موسى على وكلاء الجيش (عد ٣١: ١٤).

٢ـ ويجب ـ أيضًا ـ أن نذكر أن هذه الرواية لا تَقُص فقط موت موسى ودفنه وحزن =

أتانه ومعه فتيانه»[١] أى مماليكه فالفتى هو العبد كما شهدت به التوراة لا كما يخوض[٢] متأخروا النصارى فى أن الفتى هو الولد، والدليل على ذلك من الإنجيل: أن المسيح بعد قيامه وقبل رفعه مرّ على جماعة من تلاميذه وقال: «يا فيتان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزء من حوت وشيئًا من شهد العسل»[٣].

= الأيام الثلاثين للعبرانيين بل تروى ـ أيضًا ـ أنه فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده . . اهـ.

١ـ انظر كتب الشريعة الخمسة: دار المشرق ـ بيروت لبنان.

٢ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد ـ سهيل ديب ـ دار النفائس.

٣ـ رسالة فى اللاهوت ـ سبينوزا ـ ترجمه د. حسن حنفى.

(١) النص الصحيح هكذا:

«. . . وكان بالاق بين صفور ملكًا لموآب فى ذلك الزمان، فأرسل رسلاً إلى بلعام بن بعور إلى فَتُور التى على النهر فى أرض بنى شعبة ليدعوه قائلاً. . .» (عد ٢٢: ٤ ـ ٦).

(٢) فى المطبوعة: يتخرص.

(٣) النص الصحيح هكذا:

«وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءًا من سمك مشوى وشيئًا من شهد عسل» (لو ٢٤: ٤١ ـ ٤٣).

والنص السابق من ترجمة البروتستانت الصادرة عن دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط لعام ١٩٨٥.

ولنا وقفة نظهر فيها دون أجحاف ما تلعبه أيدى رجال الأكليروس من حذف مُشين بكلمة الله ـ التى هى بزعمهم ـ المقدسة.

وبداية سأسوق ما حصلت عليه من مراجع عربية وأجنبية:

إن هذه الجزئية من النص السابق وهى «شيئًا من شهر عسل» قد حذفت تمامًا من أغلبية النسخ وأثبتتها بعض النسخ الأخرى.

١ـ نسخة العهد الجديد ـ من منشورات المكتبة البولسية ـ والتى نقلها عن اليونانية الأب جورج فاخروى لعام ١٩٨٥ أوردت النص هكذا:

«. . . قال لهم «هل عندكم ههنا طعام » ؟ فقدموا له قطعة من السمك المشوى».

٢ـ نسخة العهد الجديد ـ للمطبعة الكاثوليكية لعام ١٩٨٦ أوردته هكذا: «. . . فقال لهم: «أعندكم ههنا ما يؤكل ؟» فناولوه قطعة سمك مشوى. . .».

أما النسخ الأجنبية فالنسخة المعتمدة «king james version.» أوردت النص كاملاً هكذا:

= And they gave him a piece of a broiled fish, and an hany Comb...

وفى الكتاب العزيز: ﴿وإذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاه﴾ [الكهف: ٦٠]. يعنى خادمه يوشع.

وقوله تعالى فى بنوة إشعيا: «هذا فتاى» مكذب لهم فى دعواهم ربوبيته، بل أضافه إلى نفسه إضافة الملك، فقال: هذا فتاى وحبيبى، أنا أفعل به كذا، فالله تعالى قائل والمسيح مقُول له، فهو فتى والله مالكه، وهو عبد مكرم والله سيده.

وقد حكى لوقا أيضًا فى إنجيله: إن مريم لما رأت أم يوحنا فكان مما قالته لها بعد الثناء على الله تعالى: «إن الله أشبع الجياع من الخيرات، وردَّ الأغنياء صفرًا، وعضد إسرائيل فتاه»[1].

تريد عبده، وعبوديته متفق عليها، وذلك يهدم ما تعلَّقوا به من حَمْل الفتى على الولد، وفى ذلك رد على أمانتهم وتكذيب لمشايخ دينهم إذ يقرءون فى الساعة الأولى من صلواتهم: «المسيح الإله الصالح، الطويل الروح، الكثير الرحمة، الداعى الكل إلى الخلاص».

وفى صلاة السَّحَر: «تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا».

= أما النسخ التى حذفت الجزئيه فمنها: The New English Bible

2- They offered him a piece of fish they had cooked

النسخة الموسعة أو 3 - the Amplified Bible.

They gave him a piece of broiled Fish..

أما الترجمة الفرنسية «لوى سيجو» 4 - la sainte Bible

وقد أوردت النص كاملاً ولم تحذف منه الجزئين المشار إليها.

ils loi presenterent du poisson(سمك) roti (مشوى) et un rayon de miel (قرص عسل)

أما الترجمة اليونانية/ الإنجليزية للعهد الجديد وتعتبر هى أصل كل مخطوطات العهد الجديد

فقد حذفت الجزئية بجرأه لأنها زائدة عن النص الأصلى هكذا والمسماة:

the R.s.v interlineat Greek English. N.T.

They gavehim apiece of brored fish.

وفى هذا الكفاية لمن أراد الاعتبار.

(١) النص الصحيح هكذا:
«أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين، عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمته» (لوا: ٥٣_٥٤).

وفى الساعة الثالثة من صلواتهم[1]: «يا والدة الإله مريم العذراء افتحى لنا أبواب الرحمة».

وفى تسبيحة دينهم: «المسيح الإله الحق الذى بيده اتقنت العوالم وخلق كل شىء».

وغير ذلك مما سيأتى من أقوال كفرهم وذلك زور وبهتان، فقول مَتَّى حوارى المسيح عن الله: هذا فتاى الذى اصطفيت أيهم أعلم به منه، وكونه حبيبًا ومصطفى لا يخرجه عن العبودية.

وقد قال بولس فصيح النصارى: إن المسيح عبد مخلوق.

قال فى رسالته الثانية: «انظروا إلى هذا الرسول رئيس أحبارنا يسوع المؤتمن من عند من خلقه مثل موسى فى جميع أحواله غير أنه أفضل من موسى»[2].

فإن قالوا: إنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم.

قلنا: ذلك بمعنى المُلْك لا غير، يَدُل عليه ما فى الكتاب العزيز أيضًا من خلق آدم:

﴿وبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ ونَفَخَ فيه من رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٧].

فإضافته للمسيح كإضافته لآدم إضافة مُلْك فيهما، وإلا صارت ذات البارى لا روح فيها، فكيف يقولون: هذا عبدى وهذا ابنى، فقد آل ما يَدْعُون إلى نفى ما يَدَّعُون، فكيف يقولون: هذا عبدى.

ثم يقال لهم: لم تنكرون على من زعم أن الروح الآتية ليست لعيسى بل هى لأستاذه الذى عَمّده يحيى بن زكريا لأنه بشهادة الإنجيل أفضل منه، إذ هو الذى امتلأ من روح القدس فى بطن أمه ثم نشأ سيدًا وحصورًا[3]؟

وقلتم فى إنجيلكم: أن يوحنا هذا كان لا يأكل ولا يشرب ولا يتناول خمرًا

(١) من صلواتهم: ساقطة من المطبوعة.

(٢) لم أعثر على هذا النص فى الرسالة إلى أهل رومية.

(٣) الحصور: الممتنع عن الانغماس فى الشهوات. (المعجم الوجيز ص ١٥٥).

مسكرًا ولا يلبس سوى جلود إنسان، وأنه انتـهض قبل المسيح إلى الدعاء إلى الله تعالى، وعَمَّد الخلق حتى عَمَّد المسيح فـيمن عَمَّد، وأما المسيح فلم تأته الروح فى قولكم إلا بعد الثلاثين سنة من عمره على يد يوحنا شيخه وأستاذه، بل أكل الخبز واللحم وشرب الخمـر ـ فى زعمكم ـ، وحضر الدعوات، وتـناول نفيس الطعام، وصَبّت عليه امرأة دهنًا[1] قيمته ثلثمائة مثقال فلم ينكر عليها، كل ذلك، يشهد به إنجيلكم، وإذا كان الأمر على ما وصفتم من حال الرجلين صلوات الله عليهما فلا خفاء حينئـذٍ بأنه أفضل منه، ويؤيده قول المسيح: لم تلد النساء مـثله، وقد صرح الكتـاب العزيز بسيـادته فقـال: ﴿وسَيِّدًا وحَصُورًا ونبـيًا مِنَ الـصـالحـين﴾ [آل عمران:٣٩]. وناهيك بهذا الثناء من رب العالمين.

ثم نقول أيـضًا: ألستم تزعمـون أن الروح قد جـاءت [إليه] فى صفـة حمـامة فعرف شكلها وكمـيتها وقدرها وشغلت حيزًا وفـرَّغت آخر، وتنقلت فى الجهات، وذلك صفة مخلوق يتعالى عنه القديم، ثم لفظ البنوة مغاير[2] للفظ العبودية، فقد سَمّاه الله عبـدًا واختـار له ما عنده، وسـوَّاه فى العبـودية بمن كان قبلـه ومن جاء بعده، ويـا عجبًا يقـولون مرة: أنه تجـسّد من روح القدس، ومـرة: أن الروح إنما جاءته بعد التعميد وبلوغ ثلاثين سنة من عمره، فقد كان قبل ذلك لا روح القدس فيه بل كانوا يسمونه ابن يوسف النجار وتاره ابن داود ويخبطون خبط العشواء.

﴿كَبُرَت كَلِمَةً تخـرجُ مـن أفـوَهِهم﴾ [الكهف:٥] و[جـعلوه] شريكًا لإلهـهم[3] ﴿تعالى الله عَمَّا يقولون عُلُوًا كبيرًا﴾ [الإسراء:٤٣].

دليل آخر على عبوديته وافتقاره إلى الخلاص من الشيطان وربقته[4]:

قال مَتَّى: «أخذ أبليس المسـيح وأخرجه إلى البرية ليـجربه، وقال له: إن كنت أنت ابن الله! فقل لهـذه الحجارة تصير خـبزًا، فقال المسـيح: إنه مكتوب أنه ليس

---

(١) فى المخطوطة: ذهبًا، والأصح ما أثبتناه؛ لأن الدهن هو الطيب أو العطر.

(٢) فى المطبوعة: معارض.

(٣) فى المخطوطة: كإلههم.

(٤) الربق : حبـل ذو عُرَى، أو حلقة لربط الدواب وجـمعه أرباق، ورباق ـ والـربقة من الربق يقال: حل ربقته: فرّج كربته. . اهـ. (المعجم الوجيز ص ٢٥٣).

بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكلمة تخرج من الله، فأخذه إبليس ومضى به حتى أقامه على أعلى جبل فى الأرض وأراه جميع ممالك العالم وقال: هذا كله لى وأنا أعطيكه إن سجدت لى سجدة واحدة، فقال: اغرب عنى يا شيطان فإنه مكتوب: للرب إلهك أسجد وله وحده أعبد، فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل وقال: انطرح من ههنا إلى أسفل فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجلك بحجر، فقال المسيح: ومكتوب أيضًا: لا تجرب الرب إلهك، فمضى إبليس وتركه، وجاءت ملائكة تحرسه، وصام المسيح عند ذلك ثلاثين يومًا بلياليها وجاع أخيرًا»[١].

فهذا «متَّى» الحوارى ذكر هذه [القصة][٢] وهى شاهدة على المسيح بصريح العبودية وافتقار البشرية وما ذكره من طيّه تلك الأيام، فهذا سبيل أولياء الله وأنبياءه الكرام ينقطعون إلى مَوْلاهم فى قلل[٣] الجبال ويفرغون البال بمواصلة الوصال، ألم يأتكم نبأ ابن عمران كيف طوى أربعين وفعل من الخوارق ما أربى به على المسيح فى النقل الصحيح، وسيأتى لذلك مزيد بيان.

وأعجب كل العجب كيف تجرءوا على مقامه الشريف وجعلوا إبليس يجرّه ويمتحنه فقد جعلوا للشيطان عليه سلطانًا وقد أعاذه الله وأمه من الشيطان فلا سبيل له عليهما فى زمن من الأزمان، فكيف يسومه[٤] السجود له ـ وهو فى

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرّب من إبليس، فبعد ما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا، فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزًا. فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان؛ بل بكل كلمة تخرج من فم الله. ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل. وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل؛ لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم حجر رجلك. قال له يسوع: مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك» «مت ٤ :١ـ ٨».

(٢) القصة: ساقطة من الأصل.

(٣) قلة كل شيء: قمته وأعلاه، ومنه قلل الجبال. (المعجم الوجيز ٥١٣).

(٤) المسَوّمة: أى المعلمة: وقوله تعالى: «مُسومين» قال الأخفش: يكون معلمين ويكون مرسلين. . اهـ. (مختار الصحاح: باب سوم ص ٢٨٣).

زعمهم خالق وخالق كل شيء - فيسألون عن هذا المتردد مع الشيطان والمقْوَد فى يده، والشيطان طامعٌ فى سجوده له بترده: أهو إنسان مخلوق أو إله اتحد بإنسان وسكن فى إهابه[1]؟

فإن قالوا: إنسان مخلوق فقد وافقوا شرعنا وخالفوا أمانتهم ودينهم، إذ يقولون إنه إله خالق غير مخلوق وإنه أتقن العوالم بيده.

وإن قالوا: إنه إله خالق أو إله اتحد بمخلوق[2] فهى الفضيحة والداهية الكبرى؛ وهو أن الإله الأزلى الذى بيده ملكوت كل شيء سحبه الشيطان وردّده وجرت عليه أحكامه واستولى عليه سلطانه فطمع أن يسجد له، فجعلوا الرب القديم والإله العظيم فى يد الشيطان الرجيم.

وقد ثبت أن المسيح جاع وشبع، واطمأن وجزع، وناله النفع والضرر، واعتورت[3] عليه أحوال البشر. فإن قالوا: إن هذه النقائض إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته، قلنا: لم يكن الاتحاد الذى تدعون ناسوتًا متميزًا عن لاهوت حتى يخص بهذه النقائض بل صار به شيئًا واحدًا، والشيء الواحد لا يقال جاع ولم يجع ومات ولم يمت.

وقد كان المسيح قبل الاتحاد تدركه عوارض الآدميين، فإن كان بعد الاتحاد كهو قبله فلا معنى للاتحاد بل هو مجرد تسمية ساذجة عن المعنى، وإذا ثبت أنه تناول الطعام وصلى وصام، والتزم الأحكام، فقد أربى فى العبودية على سائر الأنام، والشيطان لا يثبت مع وجود الملك فكيف يطمع فيمن يعتقد ربوبيته [أن] يجعله من الأتباع، ويأمره بالسجود له الذى هو غاية الاتضاع، ألم تسمع النصارى قوله: «ولله وحده أعبد» فقد أثبت لربه الوحدة والانفراد، ونفى عنه الأضداد.

واعلم أن يسوع مقلوب عيسى، قُلِبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها.

---

(١) الإهاب: الجلد ما لم يُدْبغ. (المختار: ٢٧).

(٢) فى المطبوعة: بإنسان.

(٣) فى المخطوطة: اعتوزت، والصحيح ما أثبتناه، وهى بمعنى اعتور الشيء: أى تداوله الناس فيما بينهم.

دليل آخر على عبوديته:

قال متَّى: «سمع هيرودس ملك اليهود خبر يسوع فقال لغلمانه: أترى يوحنا قام من بين الأموات وهذه القوى تعمل معه؟» وقد كان قتله فى السجن وأعطى رأسه لابنته هيروديا لما تمنت عليه ذلك لما رقصت فى مجلس مولود له، فجاء التلاميذ وأخبروا يسوع بمصابه، فخرج من الموضع الذى كان فيه منفردًا[1]، وقد كان المعمدانى - وهو يحيى بين زكرياء - نبيًا ابن نبى ولد بالبشرى من الله تعالى، وهو أكبر سنًا من المسيح بستة أشهر أو نحوها، وقد تولى التعميد قبل المسيح.

والتعميد: غسل[2] التائب فى الماء، يشيرون إلى انغماسه فى الطاعة والتجرد من المخالفة، ينوى ذلك عند التعميد، ومثله فى الشرع غسل الكافر عند الإسلام.

وأما هيرودس[3] فهو أحد الأربعة الذين كان يدور عليهم أمر الشام من جهة قيصر[4]، وكان قد رام نكاح ابنة أخيه - وقيل: ابنة زوجته - فحال بينه وبين ذلك

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«فى ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع. فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات، ولذلك تعمل به القوات؛ فإن هيردوس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه. وطرحه فى سجن من أجل هيروديا امرأه فيلبس أخيه؛ لأن يوحنا كان يقول له: لا يحلّ أن تكون لك » (متا ١٤: ١-٥)

(٢) فى المطبوعة: غمس.

(٣) هيرودس الكبير. وهو الابن الثانى لانتيباس، الأرومى الأصل، وكانت أمه أرومية أيضًا: لذلك لم يكن يهوديًا من ناحية الجنس مع أن الأروميين كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودى بالقوة منذ سنة ١٢٥ ق.م.
وقد ولد يسوع فى أواخر أيامه بعد أن كانت نقمة الشعب عليه وخوفه من منافسة أعدائه قد بلغت أشدها. ولذلك أسرع بالأمر بقتل جميع الأطفال فى بيت لحم حتى لا ينجو ابن داود، ولا يملك على اليهود ويتربع على عرشه (مت: ٢).
ومات فى أريحا وهو فى السبعين من عمره بعد أن ملك أربعًا وثلاثين سنة». . اهـ.
(قاموس الكتاب المقدس. ص ١٠٠٨).

(٤) قيصر: لقب رسمى للأباطرة الرومانيين، أخذ من اسم يوليوس قيصر الشهير، وقد ورد هذا اللقب نحو ٣٠ مرة فى العهد الجديد وقد ولد المسيح فى أيام أوغسطس قيصر ثم صلب فى عهد طيباريوس. . اهـ. (قاموس الكتاب المقدس. ص ٧٥٤).

يوحنا، فاعتقله ثم قتله بالتماس أم الصبية إذ رأت أنه راغم لمقصودها فلم يغض دمه مُذ وقع على الأرض حتى حرّك الله بعد ملوك بابل[1] لأخذ ثأره، فقتل مقاتلة اليهود، وسَبَى ذراريهم، وأعطى الله عهده أنه لا يكف عنهم حتى يغيض[2] الدم فلم يغض حتى كاد يستأصلهم. انتهى.

فحيث اشتبه أمر المسيح على الناس، والرب لا يقع التشابه بينه وبين خلقه، وإنما شبَّهه الناس بيوحنا لاشتراكهما فى أعلام النبوة، وأخبره التلاميذ بالقصة قبل أن يعلم، والرب يجب أن يكون عالمًا بجميع المعلومات، محيطًا بما تحت الأرضين إلى أعلى السموات ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

وخرج المسيح عقب هذه الأخبار مؤثرًا للاستتار حذرًا من الأشرار، وذلك دأب

---

(١) بابل: بكسر الباء: اسم ناحية منها: الكوفة، والحِلّة، ينسب إليها السحر والخمر، وقال أبو الحسن: بابل الكوفة؛ وقال أبو معشر: الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل فى الزمن الأول؛ ويقال: إن أول من سكنها نوح، عليه السلام، وهو أول من عَمّرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملّكوا عليهم ملوكًا، وابتنوا بها المدائن واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كَسْكَر. وحدث أبو بكر أحمد بن مروان المالكى الدينورى فى كتاب المجالس من تصنيفه: حدثنا إسماعيل بن يونس ومحمد بن مهران، قالا: حدثنا عمرو بن ناجية، وحدثنا نعيم بن سالم مولى على بن أبى طالب، عن أنس بن مالك، قال: لما حشر الله الخلائق إلى بابل، بعث إليهم ريحًا شرقية وغربية وقبلية وبحرية، فجمعهم إلى بابل، فاجتمعوا يومئذ ينظرون لِما حُشروا له ما إذ نادى منادٍ: من جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره، فاقتصد البيت الحرام بوجهه فله كلامُ أهل السماء، فقام يَعْرُب بن قحطان فقيل له: يا يَعْرُب بن قحطان بن هود أنت هو، فكان أول من تكلم بالعربية، ولم يزل المنادى ينادى: من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا، حتى افترقوا على اثنين وسبعين لسانًا، وانقطع الصوت وتبلبلت الألسن فسميت بابل.

(انظر: معجم البلدان ١/ ٣٠٩، ٣١٠ لصاحبه الشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى ـ دار صادر ـ بيروت).

(٢) غاض الماء: قَلّ ونضب، وقوله تعالى: «وما تغيض الأرحام» أى ما تنقص. وغَيّض الدمع تغيّضاً نقصه وحبسه . اهـ. (مختار الصحاح: ص ٤٢٨ باب غ ى ض).

البشر عند توقع الضرر، وهذا كله دليل علـى العبودية، وليس ذلك نقصًا فى علو مرتبته وسـموّ مقامه، ولا فى توكله واستـسلامه، ألا ترى [إلى][1] موسى حيث قال:

﴿فَفَرَرْتُ مِنـكُم لَمَّا خِفْتُكُم فَوَهَبَ لى رَبِّى حُكْمًا وجَعَلَنِى مِـنَ المُرسَلِـينَ﴾ [الشعراء: ٢١].

وما كان مـن سيرة سيـد المرسلين ﷺ حيث استتـر ورفيقه فى الغـار عن أعين الفـجار، حـيث اجتـمعـوا لقتله باتفـاقهم فى دار النَّدوة، وترصَّدوا ظهـوره من مرقـده، فظهر عليـهم ووضع على رؤسهم التراب، وكـان ـ عليه أفـضل الصلاة والسلام ـ قادرًا على إخـفاء شخصـه من غير افتقـار إلى منزل يكنّه أو غار يجنّه، ولكن ستر الحال بنوع من المحال، على سُنن من قبله من الأنبياء والمرسلين.

فإن قيل: موسى عليه السلام كـان إذا دخل على فرعون وكان هو وقومه أذلاء ويلجـئـون إليـه فى رفع مـا نزل [بهم][2] من الآيات ويتـضـرعـون تضـرع ذوى الحاجات.

قلنا: إنما ذلك حصل له لما شكا خوفه من فرعون لمولاه بقوله:

﴿إننا نَخَافُ أَنْ يَفرُطَ عَلينـا أَوْ أَنْ يَطغَى قَالَ لا تَخَافـا إنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرى﴾ [طه: ٤٥].

فكان فى مقـام الشهـود لمن يسمع ويرى فزال خـوفهمـا، بما شهـداه من كلاءة ربهما، وكان سيد المرسلين المخصـوص من مولاه بالعز والتمكين، أقام الحرس كل ليلة حول فناه [خوفًا][3] من هجوم عداه حـتى أوحى إليه مولاه: ﴿والله يَعْصِمُكَ من الناس﴾ [المائدة: ٦٧]، فصرف الحراس، واعـتمد على الحفيظ الحسـيب، فصرف عنه كيـد البعـيد والقريب، فـصار فى كلاءة الله وحـفظه، آمنًا من كيـد الشيطان وحزبه، فى سِلْمه وحَربه، لا خوف يعتـريه من أعداءه فيكون فى بحر العداة عند لقائه.

(١) فى المخطوطة: أن.
(٢) فى المخطوطة: فيهم.
(٣) ساقطة من الأصل.

ولهـذا قال على بـن أبى طالب رضى الله عنه: كنا إذا حـمى الوطيس[١] اتقينا برسول ﷺ وكان أشجعنا من كان قريبًا منه.

ثم عمم الأمان بالفضل والإحسان على أولياء الرحمن، وأنزل عليه فى محكم القرآن:

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢].

فالخـوف والأمن بَعده دلـيل على العبـودية لرب البرية، إذ لا يخـاف الإله من خليقـته إذ هو القاهر فوق عـباده: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

وقـد رويتم: أن موسى عـليه السـلام قـاتل الفراعنـة، وأباد الجبـابرة، وطهَّر الأرض، وقتل عَوجًا[٢] مبارزه، ولم يَفر من خصـمهم، وأباد فرعون وجنوده فى اليَمّ، أفكانت الروح التى مع مـوسى أعظم من الروح التى ادعيتـموها للمـسيح؟ فإذًا هو أحق بالربوبية، وكذا يوشع وداود قد قهرا الصناديد.

وقلتم: إن المسيح قـد قتلتـه اليهود، وحـاشا وكلا، ثم أردتم الاعـتذار بما هو أقبح من دعواكم قتله وصلبه أن آدم عليه السلام كان فى الجحيم لولا فداه بقتله، فقد جعلتم فى الجحيم من اجتباه مـولاه، وهو صفيّه وحبيبه وفطرته، وحاشاه ثم حاشاه.

فقد كـفرتم بهذه النسبة الذمـيمة، ووصمتم من رتبتـه عظيمة وصفتـه كريمة، فتعللتم بالمحال من الأقوال، ورجمتم ربكم بأخزى الوبال.

وقلت:

فتبًا لكم على كلٍّ حالٍ ... بحيث تعللتمُ بالمُحَالِ
فهو دليلٌ على قولكم ... بلى إنه من دليلِ الخَبَالِ

---

(١) يقال حمى الوطيس: جَدّت الحرب واشتدت. . اهـ. (المعجم الوجيز: ص ٦٧٤).

(٢) عَوج: ملك الأموريين فى باشـان، من سلالة الرفائيين وكـان عوج جبار القـامة شديد للبأس وكـان له سرير من حديد ضخم الحـجم، وما إن دخل بنو إسرائيل عليـه حتى هاجموه وتغلبوا عليه وذبحوه. اهـ. قاموس الكتاب المقدس. ص ٦٤٦.

دليل آخر على عبودية[1] المسيح:

قال بولس الرسول فى الرسالة الأولى: «وأنا أحب يا أخوتى أن تعلموا أن رأس المرأة الرجل[2]، وأن رأس كل رجل المسيح، وأن رأس المسيح لله» فقال إنه مرءوس وإن الله رئيس عليه وذلك مفسد لأمانتهم وشريعتهم.

دليل آخر:

قال متَّى: «قال رجل للمسيح: أيها المعلم الصالح، فقال: لا تقل لى صالح، لا صالح إلا الله الواحد»[3].

فأضاف إلى ربه الوحدة واعترف له بالألوهية وحده، فلو كان هناك تثليث[4]

---

(١) فى المطبوعة: عبوديته.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله» «اكو ١١ :٣».

(٣) النص الصحيح هكذا:

«... أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية، فقال له لماذا تدعونى صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله» (مت ١٩ :١٧).

(٤) إن كل جداول الضرب Multiplication tables التى تعلمناها فى المدرسة تثبت وتبرهن أنها عديمة النفع لأنها عاجزة عن تفسير الثالوث، وفى كل القواعد الرياضية فإن ثلاثة أرقام × واحد تعادل ثلاثة هكذا (٣ × ١ = ٣).

ولكن فى علم الرياضيات المسيحى فإن ثلاثة أرقام ×واحد تعادل واحد هكذا (٣×١=١). وبالطبع لا تستطيع أن تفسر هذا اللغز أبدًا، لأنه لغز ؟؟! والاقتباس الوحيد لعقيدة التثليث فى الكتاب المقدس نجده واضحًا فى الرسالة الأولى ليوحنا إصحاح (٥) عدد (٧) هكذا: «فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد...» (أيو ٥ :٧).

وهذا الإقتباس السابق لم يوجد فى أى مخطوطة يونانية قديمة لأن عقيدة التثليث لم تكن جزءًا من تعاليم الكنيسة ومن ثَمّ،فإن هذا النص قد حُذف تمامًا من النسخة القياسية المنقحة المسماه V - Standard Revised والتى طبعت عام ١٨٨١ وبما أننا نعترض على عقيدة التثليث التى تنص على الإنسان المخلوق فنحن نجد وحدانية الله « God of unity » ظاهرة فى الكتاب المقدس وفى أسطر عديدة منه إننا نجد هذا واضحًا جليًا فى العهد =

بينه لقال: لا صالح إلا الآب وأنا وروح القدس.

ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة، وفى ذلك تكذيب لهم حيث يقولون فى صلاتهم: المسيح الإله الصالح.

فإن قالوا: إنما تواضع المسيح بقوله: «لا صالح إلا الله».

= القديم هكذا:

١ ـ «أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى» (خر ٢٠: ١ ـ ٣).

٢ ـ «إسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد» (تث ٦: ٤).

٣ ـ «.... قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون» (إش ٢٣: ١٠).

٤ ـ «أنا أنا الرب وليس غيرى مخلّص» (إش ٤٣: ١١).

والعهد الجديد ليس أقل تأكيداً فى خاصية عدم التجزئة والانقسام Indivisibility لوحدانية الله.

والمسيح قد شهد وقرر أنه عديم الأهلية لوحدانية الله كما يقرر ذلك النص الآتى:

١ ـ «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ١٧: ٣).

ولاحظ أن المسيح هنا يشير إلى نفسه كنبى «مُرْسَل» من الله القادر وليس كإله God a As أو ابن إله.

وإذا كان هو الرب فكيف يخاطب نفسه؟!!!

إن هذا لجنون إلهى.

٢ ـ «ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات» (مت٢٣: ٩).

وإنه لمن الموجب للاهتمام أن تتذكر هنا أن المسيح لم يقل: «... لأن أباكم ثلاثة الذين فى السموات».

٣ ـ «... لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت٤: ١٠).

وإذا كان المسيح إلهًا وإذا كان عارفًا بشخصيته الإلهية الثالوثية فعندئذ سوف يأمر أتباعه هكذا:

«لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد فى ثلاثة أقانيم، وتعبد الآب والابن والروح القدس».. اهـ.

نقلا عن الكتاب الشيق والذى أرجو من كل مسلم أن يقتنيه «لغز الثالوث المقدس» ترجمة رمضان الصفتاوى.

قلنا: ما هكذا شأن الإله؛ لأنه إذا كان شأن العبيد التواضع والانكسار فشأن الإله العظمة والكبرياء والصفات العلى والحمد والثناء، فهل جاء فى كتاب من عند الله أو أثارةٍ[1] من علم على لسان أنبياء الله، أن الله تواضع لعبيده؟! إنما يصف نفسه بالعزة والحلم، والعفو والمغفرة والصفح، وليس ذلك من باب التواضع للعبيد بل من باب القدرة والإحسان والفضل والامتنان، فهو منزه عن صفات مخلوقاته وعن الحلول بجهة من أرضه وسمواته، فلا ينفى عن نفسه ما يليق بجلاله ويزرى بكماله.

فقول المسيح: «لا صالح إلا الله» ونفى الصلاحية عن نفسه ينافى جميع ما انتحله النصارى من أقوال كفرهم حيث يقولون فى صلاتهم: يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضيّع من خلقت بيدك. ويقولون فى أمانتهم: نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الذى بيده أتقن العوالم وخلق كل شىء، فقد تبين فساد الأمانة وجهل من ألفها.

دليل آخر:

قال مَتَّى: «مرَّ يسوع بشجرة تين وقد جاع فلم يجد فيها سوى الورق، فقال: لا تخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست الشجرة لوقتها، فعجبت التلاميذ وقالوا: كيف يبست؟ فقال: الحق أقول لكم، لو كان لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبل: تعال واسقط فى البحر لفعل، وكان كل ما سألتموه تنالوه»[2].

فقد أدركته عليه السلام عوارض البشر من الجوع والعطش، وما أكثر ما يصفه

---

(١) فى المخطوطة: إشارة.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئًا إلا ورقًا فقط. فقال لها: لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال. فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين: كيف يبست التينة فى الحال. فأجاب يسوع وقال لهم: الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر تينة فقط بل إن قلتم أيضًا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون. وكل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه» (مت ٢١: ١٩ـ٢٢).

الإنجيل بذلك، ولما سبق من علم الله تعالى ما سيدعى به من الربوبية حفظ هذه المواضع من الإنجيل وحرسها من التبديل، لتكون قارعة لذوى الأحلام عن عبادة رجل من الأنام يفتقر إلى الشراب والطعام، فيقال لهم: كيف خفى عن يسوع حال الشجرة وهو فى زعمكم غرسها، أم كيف افتقر إلى تناول الثمرة وهو الذى أينعها وأثمرها، ولِمَ دعا عليها ومن ذا الذى دعاه حتى ساق النوى إليها؟! خبرونا من هو الذى جاع؟ فإن زعمتم أنه الإله كذبكم الإنجيل، إذ يقول: إن الله لا يأكل ولا يشرب، والتوراة تقول: إن الله لا يأكل لحم العجاجيل، ولا يشرب دماء أولاد الغنم.

وإن قلتم: إن الناسوت هو الذى جاع، أبطلتم الاتحاد إذ هو عندكم صيّر الكثرة قلة وجعل الاثنين واحدًا، إذ فائدته تشريف الطبيعة الناسوتية، لا انحطاط الطبيعة اللاهوتية، فإذا كانت طبيعة الناسوت باقية على حكمها لم يحصل التشريف الذى ذكرتم فما نراها أكسبت الناسوت خيرًا، فأخبرونا أليس متَّى يقول: إن المسيح هو الذى جاع، وهو الذى يتردد مع الشيطان فى تجربته، وهو الذى واصل الصيام بسببه.

والمسيح عبارة عن الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية جميعًا، إذ طبيعة الإنسان بمجردها لا تسمى مسيحًا عندكم، وإذا كان هذا هكذا لزمكم القول بجوع الإله وعطشه، ودخول الآفات عليه، فإذا كان ذلك غير سائغ فالمسيح إذًا عبد مربوب ومخلوق مألوه، يتأذى بأسباب الأذى ويفتقر إلى الغذا.

وأما جفاف الشجرة فليس فى ذلك معتصم لدعوى الربوبية إذ لو جاز له ذلك جاز لإبراهيم عليه السلام فإنه أحيا الموتى بعد تقطيع الطيور إربًا إربًا، وموسى وإلياس[1] ودانيال[2] وخلق لا يُحصَون من هذه الأمة المحمدية، فقد أجيبت

---

(١) قال علماء النسب: هو إلياس النبى، ويقال: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون.
وقالوا: وكان إرساله إلى أهل بعلبك غربى ومشق، فدعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلاً.
(قصص الأنبياء ـ للحافظ ابن كثير ص ٤٠٦ . البداية والنهاية ـ له أيضًا). . اهـ.

(٢) دانيال: اسم عبرى معناه «الله قضى» وهو أحط الأنبياء الأربعة الكبار وكان من عائلة =

دعوتهم، وثبتت بذلك آياتهم، بأنهم عبيد مكرمون لا أرباب متألهون.

دليل آخر على عبوديته:

قال مَتَّى: «جاء المسيح مع تلاميذه إلى قرية تدعى جسيماني[1] فقال لهم: امكثوا هاهنا حتى أصلى، ثم أخذ يحزن ويكتئب ويقول: إن نفسى حزينة حتى الموت، ثم قال لبطرس وغيره: اسهروا معى هذه الليلة، ثم خَرّ على وجهه يصلى ويقول: يا أبت إن كان يستطاع فلتعبر عنى هذا الكأس وليس كإرادتى ولكن كإرادتك، ثم جاء إلى تلاميذه فوجدهم نيامًا فقال لهم: ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة، ثم مضى وصلى وقال: يا أبت إن لم تستطع أن تعبر عنى هذا الكأس حتى أشربه فلتكن مشيئتك، وجاء أيضًا فوجدهم نيامًا فقال لهم: ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة، ثم مضى وصلى وأعاد كلامه الأول»[2].

انظروا معاشر الضُّلال هل تليق هذه الخصال بصفات ذى الجلال؟! فلو لم يكن فى إنجيلهم إلا هذا الفصل لكان قائدًا للعميان، سائقًا إلى غير دين النصرانية من الأديان، إذ هذا وما شاكله من أقوى الأدلة على ضعف البشرية وعجز العبودية،

= شريفة، ويظن أنه ولد فى أورشليم، وأتى بأمر نيوخذ نصر إلى بابل مع ثلاثة فتيان من الأشراف، وتعلم هناك لغة الكلدانيين، وبعدما تعلم دانيال ثلاث سنين أعطاه الله علمه وحكمته ففسر حلمًا لنيوخذ نصر ومكافأة له على هذه الخدمة نصبّه حاكمًا على بابل ورئيسًا على جميع حكمائها.

(قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٨ ـ نشر دار الثقافة).

(١) الاسم الصحيح هو: جثسيماني: وهى كلمة أرامية معناها «معصرة الزيت» وهى مكان يصفه مَتَّى، ومرقس: بأنه كان ضيعة أى مكانًا محاطًا بسياج، وكان يقع على جبل الزيتون عبر وادى قدرون».. اهـ.

(انظر: دائرة المعارف الكتابية ـ ص ٥٠١/ مجلد ٢).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«... جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى، فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضى وأصلى هناك، ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسى حزينة جدًا حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معى إن أمكن، فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت...» (فت ٢٦: ٣٧ـ٤٠).

فسبحان من أضلَّ[١] عقولهم، وأظلم سبيلهم.

اعلموا أن الأنبياءُ الصالحين من أمة محمد ﷺ يحاشون عن هذ التردد حال الانتقال، وهذه التوراة تشهد باحتضار[٢] طائفة من الأنبياء كإبراهيم وذريته من الأنبياء والمرسلين، والأولياء المقربين، وهم راضون فرحون بانقلابهم إلى سعيهم، فنحن نعترض على من ذكر هذا التردد القبيح من السيد المسيح، لا سيما قوله: «إن لم تستطع أن تعبر عنى هذا الكأس» سحقًا وتعسًا لناقلة فقد عَجَّز قادرًا، كيف يعجز القادر على الإطلاق، ومن بيده مفاتيح الأرزاق؟!

فنسألهم ما سبب هذا الحزن: إما جزعًا من الموت أو أسفًا على بقاء الناس على كفرهم[٣]، وأما ما كان فقد تحقق عجزه، فلا يصلح مَنْ هذا حاله للربوبية، ألم ينقلوا أنه إنما جاء ليخلص الناس[٤] ويفديهم بدمه الكريم من الجحيم، فأى معنى حينئذٍ لحزنه واكتئابه.

وفى الفصل أيضًا ما يفسد أمانتهم ويدحض شريعتهم، وهو قوله: «وليس كإرادتى ولكن كإرادتك» فغاير بين الإرادتين، فبطل قولهم فى الأمانة: «المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه» فإن صححوا الإنجيل أفسدوا الأمانة إذ لو كان من جوهر أبيه كانت إرادته من جوهر إرادته وهم يطلقون على البارى لفظ الجوهر، تعالى الله عن كفرهم علوًا كبيرًا.

دليل آخر على عبودية المسيح:

قال مرقس فى إنجيله: «قال يسوع إن نفسى حزينة حتى الموت ثم خر على وجهه يصلى لله وقال: أيها الآب كل شىء بقدرتك، أخر عنى هذا الكأس، لكن كما تريد لا كما أريد، ثم خرّ على وجهه يصلى لله»[٥].

---

(١) فى المخطوطة: أطل.

(٢) فى المخطوطة: بإحضار.

(٣) فى المطبوعة: الكفر.

(٤) فى المطبوعة: الخلق.

(٥) النص الصحيح هكذا:

«فقال لهم نفسى حزينة جدًا حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا، ثم تقدم قليلاً وخَرَّ =

دليل آخر:

قال يوحنا حبيب المسيح: «وقف يسوع على بئر من آبار السمرة، فقالت له امرأة: إن آباءنا سجدوا إلى هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم - يعنى بيت المقدس - فقال لها يسوع: أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم»[١] فهذا حبيب المسيح يشهد عليه أنه معترف برب لا تجزى العبادة لغيره ولا تنبغى الربوبية لسواه، ولو كان الأمر على معتقد النصارى لقال لها: اضربى عن معتقد أسلافك واسجدى لى ولأبى وروح القدس فإنى ثالث الآلهة، لكنه أخبرها بأنه تحت رق العبودية وأنه يسجد لمستحق الربوبية.

وكان المصلى لبيت المقدس - قبلة الأنبياء - ولم يزل يُصَلِّى لها مدة إقامته إلى أن رُفِعَ فأحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة المشرق وتركوا قِبلة المسيح، فإذا عيب عليهم اعتذروا بأن صاحبهم صُلِبَ إلى تلك الجهة، قالوا: فيتعين السجود والتوجه إلى جهة الشرق حيث صُلِبَ.

[فيقال][٢] لهم: أرأيتم لو صُلِبَ إلى جهة المغرب ماذا كنتم تصنعون، وإذا تركتم قبلته فهلا توجهتم إلى الناصرة[٣] بلد ربكم أو إلى مصر التى هرب إليها

= على الأرض، فأجز عنى هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل تريد أنت» (مر ١٤: ٣٤ - ٣٦).

(١) النص الصحيح هكذا:
«قالت له المرأة ياسيد أرى أنك نبى، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم». (يو ٤: ١٩-٢٢).

(٢) فى المخطوطة: فقال.

(٣) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - ومنها اشتق اسم النصارى، وكان أهلها عيروا مريم فيزعمون أنه لا تولد بها بكر إلى هذه الغاية.. وأهل بيت المقدس يزعمون أن المسيح إنما ولد فى بيت لحم وأن آثار ذلك عندهم ظاهرة.
قال عبيد الله الفقير إليه: فأما نص الإنجيل فإن فيه أن عيسى - عليه السلام - ولد فى بيت لحم وخاف عليه يوسف زوج مريم من دهاء هاردوس ملك المجوس.
(مختصراً من كتاب معجم البلدان - لياقوت الحموى ص ٢٥١).

خوف القتل، فكيف تركتم هاتين الجهتين وتوجهتم إلى جهة ارتضاها[١] اليهود للتنكيل بإلهكم كما تزعمون[٢]؟! فلو كنتم ذوى عبرة لكانت هذه الجهة حقيقة بالمقت عندكم لأنها التى[٣] هلك فيها معبودكم.

خبرونا عن هذا[٤] التوجه لهذا المصلوب أكان راضيًا[٥] بذلك أم مكرهًا؟ فإن كان مكرهًا لم يكن لكم أن تصلوا إليها، وإن كان راضيًا فَلِمَ تلعنون اليهود الذين[٦] صلبوه وتكفروهم والذى فعلوه إعانة له فى حصول مطلوبه وقرّة عينه لا سيما وقد نهجوا لكم قِبْلة تُصلون إليها، فتحننوا على اليهود وتبركوا بهم إذ فعلوا ما هو قرّة [عين][٧] صاحبكم وقرة عينكم.

وكذلك يهوذا الإسخريوطى[٨] الذى ارتشى عليه[٩] وصوبوا فعله، فإنه وسيلة إلى خلاصكم إذ قلتم: إن أسلافكم فى دركات النيران ولا خلاص لهم من ذلك إلا بقتل ربكم وليس فى النصارى من يفعل ذلك ولا يقدرون يسمعون باسم الإسخريوطى، وهذا المؤاخذات واردة فى الأصل الفاسد الذى أصّلوه، فإن أبوا إلا لعن اليهود وقعت يهوذا فليتطيروا بجهة المشرق لكونها عمتهم بالشر وسقتهم الكأس المر، وإلا كيف يذمون اليهود ويحققوا[١٠] الجهة وكلاهما مشئوم ومذموم،

---

(١) فى المخطوطة: ارتضا.

(٢) فى المطبوعة: زعمتم.

(٣) فى المخطوطة: لأن الذى.

(٤) فى المخطوطة: بهذا.

(٥) فى المطبوعة: طائعًا.

(٦) فى المخطوطة: الذى.

(٧) ساقطة من الأصل.

(٨) يهوذا الإسخريوطى بن سمعان الإسخريوطى، والتلميذ الذى خان سيده، ولُقّب بالإسخريوطى تمييزًا له عن «يهوذا الآخر» أحد الاثنى عشر، والإسخريوطى: هو التلميذ الوحيد بين التلاميذ الذى لم يكن جليليًا، ولا نعرف عن حياته الباكرة أكثر مما نعرف عن بقية الرسل؛ وقد أصبح اسمه تعبيرًا للخيانة». اهـ.
(قاموس الكتاب المقدس - ١٠٨٩ - نشر دار الثقافة المسيحية).

(٩) فى المخطوطة: إليه.

(١٠) فى المطبوعة: يمدحون.

ويا عجبًا من إله تقتله اليهود، ما أضعفه وقد غلبته إخوان القرود[١].

وقلت:

وحاشا ربنا عن مثل ذَاكَا   وما عيسى بمصلوبٍ هُنَاكَا

ولا خلاف بين النصارى فى أن أمه ولدته فى بيت لحم فى أرض اليهود، ولفّته فى الخِرَق، ووضعته فى معلف دابة حيث نزلا، فلما تمت له ثمانية أيام سموه يسوعًا[٢]، ولما أكملوا أيام فطرهم أقاموه ليقربوا عنه زَوْجى يمام أو فَرْخى حمام كَسُنَّة الناموس، وأنها أرضعته ثديها، وفرشت له حجرها، ونشأ نشأة الآدميين، ولم يتميز عنهم فى حال من الأحوال من صغره إلى ابتداء دعوته، قد عرف طوله وقدره وهيئته، واغتذى بالطعام، وانتقل من مكان إلى مكان، وولد فى دولة هيرودس ملك اليهود.

وقد شهد الإنجيل أن مريم هربت به إلى مصر خوفًا منه، ثم أعادته إلى الشام حين هلك أعداؤه، وأقام نيفًا وثلاثين سنة يتعلم العلم ويقرأ التوراة ونبوات الأنبياء، ويركب الحمير، ويقضى الأوقات من [الأقوات][٣] باليسير، ويلجأ إلى الله فى حوائجه ومآربه، إذا أعوزته وجود مطالبه، ويفرح ويغتم، ويلبس ويعتم، ويفر من السلطان، وإذا كان هذا حاله على ما وصفناه، فقد ثبت أنه مخلوق محدث وأن إله الأنبياء إبراهيم فمن فوقه ومن دونه هو خالقه ومحدثه.

فإن تعامت النصارى وزعموا أنه هو الله أو صفة من صفاته أو أنه تعالى ساكن فى إهابه[٤]، فقد حكموا أن القديم الأزلى، ولدته امرأة حل فى بطنها بين فرث ودم، وخرج من فرجها بعد ضيق وغم، ولفتّه فى الخرق، ووضعته فى مِذْوَد ثور، ولما نشأ هربت به خوفًا من أعدائه، وأنه كان يتردد إلى اليهود يتعلم منهم، فقد أحوَجوا[٥] البارى أن يتعلم منهم، وذلك قول محال على العالم بكل معلوم،

(١) يقصد المؤلف بإخوان القرود: طائفة اليهود.

(٢) فى المخطوطة: يوسعًا وهو خطأ.

(٣) فى المخطوطة: الآقات.

(٤) الإهاب: الجلد المغلف لجسم الحيوان قبل أن يُدْبَغ. (المعجم الوجيز ص ٢٩).

(٥) فى المطبوعة: اجهلوا.

وقد قال المسيح لما رَفع رأسه إلى السماء: «إلهى أنت الحق الذى أرسلت يسوع المسيح»[١].

وقال موسى[٢] فى التوراة: «لا إله إلا إلهنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب الرب الأزلى الدائم الذى لم يزل»[٣].

وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين: المسيح رجل أظهره الله بالأيد والقوة والمعجزات.

وقال المسيح: إنى لا أقدر على عمل شىء ولا أتفكر فيه حتى يكون الله هو الذى يعمله.

وسُئِلَ عن القيامة: فقال لا يعرفها إلا الله وحده.

وهذه أقوال متواترة[٤] على أنه مربوب.

فهلموا معشر النصارى إلى عبادة ذى الجلال، وقدّسوا القديم عن التشبيه بالرجال، أما تستحيون من ذوى العقول بما أنتم تقولونه وما نحن به نقول، أن تعبدوا إنسانًا قد حملت به أمه كما تحمل النساء بالأجنة، وترددت عليه أطوار الخلق إلى أن ناهز الثلاثين من السنين، يُنسب إلى أبيه يوسف مرة وإلى داود أخرى، يغتذى بالطعام، ويتردد بين الأنام، وتعتريه العوارض، يعافى ويمرض، ويحزن ويطرب، ويعيا ويركب، ويستريح ويتعب، ويجوع ويعطش، ويأكل ويشرب، ويستتر من عدوه حيث يُطْلَب، ويُقْرَن باللصوص ـ كما زعمتم، وحاشا وكلا ـ ويُسْحَب، ويحمل صليبه فيُقْتَلُ بقولكم ويُصْلَب، ويُدْفَنُ فى المقابر فَيُبْكَى عليه ويُنْدَب.

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ١٧ : ٣).

(٢) فى المخطوطة: متى، وهى خطأ، وكان الواجب على الناسخ أن يتنبه إليه حيث أن مَتَّى من كتبه الإنجيل، أما موسى فهو نبى مُرسل.

(٣) فى المطبوعة: متوافرة.

(٤) النص الصحيح هكذا:
«. . . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت ٤ : ١٠).

قولوا جميعًا كما قال المسيح، بالنقل الصحيح فى الإنجيل: «للرب إلهك أسجد له وحده أعبد»(١)، قصم بذلك ظهر الخبيث وعرَّى أهل التثليث، وأثبت لربه الوحدة، وسجد لله وحده، ولم يعبد إلهين اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا اعتقد اتحاد الناسوت باللاهوت، ولا أقسم بصليب الصلبوت، ولا عظم الصور والصُلبان، ولا نطق بقولكم كبريا ليصان، بل عبد الله، ودعا إليه وعوّل فيما يأتيه ويدعه عليه، سماه الله فى الإنجيل فتى عبدًا وسميتموه ربًا، وقال: هذا رسولى فسمّاه نبيًا، وجعلتموه أنتم إلهًا، وقال: لا أعمل بمشيئتى، وقلتم أنتم: أنه خالق حتى كأنكم قد تبايعتم على خلافه بدليل أو على رفضه برهان ثقيل.

فاستدركوا بالغلط، وتعلقوا بزمام الإسلام فى قوله تعالى:

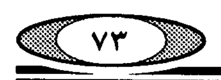
﴿مـا المَسيحُ ابنُ مَرْيَم إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأمـه صِدِّيقَة كـانا يأكُلانِ الطعام﴾ [المائدة: ٧٥].

ولا تغلوا فى دينكم بغير دليل واعتقدوا عبودية المسيح، عبدٌ من عباد الله بقوله وفحواه.

وقلت:

هو عَبْـدٌ مقرَّبٌ ونبىٌّ ورسولٌ قد خصَّه مـولاهْ
طَهَّرَ الله ذاتـه وَحَبَـاه ثم آتاه وحيـه وهـداهْ
وَبِكُنْ بدء خلقه كلمة اللـــه إلى مريم البتول براهْ
هكذا شأن ربه خالق الخلـ ـق بكن كلهم فنعم الإلهْ
والأناجيل شاهداتٌ عليـه(٢) إنما الله ربه لا سـواه
كان لله خـاضعًا(٣) مستكينًا راغـبًا راهبًا يرجى رضـاه
ليس يُحيى وليـس يَخْلُق إلا إن دعاه وقد أجاب دعاه
إنما فاعل الجميع هـو اللــه ولكن على يديه قضاه

(١) لم أعثر على هذا النص بلفظه.
(٢) فى المطبوعة: عنه.
(٣) فى المطبوعة: خاشعًا.



الباب الثانى

فى تعريف مواطن التحريف

بما فيه تكاذب الأناجيل[١] التى بأيديهم والشهادة بالتبديل عليهم

نبين فى هذا الباب تناقض الأناجيل الأربعة، ومعارضتها وتكاذبها وتهافتها ومصادمتها بعضها ببعض على ما يشهد به من وقف عليها، إنها ليست هى الأناجيل الحق المبعوث بها الرسول، المنزلة من عند الله تعالى [وأنها] من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأن نقلته أفسدوه من وجوه بحكاياتهم، وألحقوا به أمورًا غير مسموعة من المسيح ولا من أصحابه مثل ما حكوه من صورة الصلب[٢]، والقتل، واسوداد الشمس، وتغير لون القمر، وانشقاق الهيكل، وهذه أمور إنما جرت ـ فى زعم النصارى ـ بعد المسيح فكيف تُجْعَلُ من الإنجيل؟! ولم تُسْمَع من المسيح، والإنجيل الحق إنما هو الذى نطق به المسيح، وإذا كان كذلك فقد أُخْرِمت الثقة بهذا الإنجيل، وعُدِمت الطمأنينة بنقله.

ومما يُحكى أن بعض أمراء المؤمنين كان فى خدمته نصرانى، وكان معجبًا به، فأمره بالإسلام فامتنع، ثم غاب عنه ثلاثة أعوام، ثم حضر فأسلم، فقال له: ما سبب غيبتك؟ فقال: كتبت الإنجيل وألحقت به أمورًا شتى لم ينطق بها كتاب ولا يقبلها العقل، ثم جئت الرهبان فعرضته عليهم فتبركوا به ولم يردوا منه حرفًا مما اخترعته فيه، ثم عمدت إلى التوراة ففعلت فيها مثل ذلك وعرضتها على اليهود فقبلوا ذلك ولم يرّدوا علىَّ حرفًا واحدًا، ثم عمدت إلى القرآن ففعلت فيه مثل ذلك ثم عرضته على المسلمين فردوه علىَّ ومقتونى وما كدت أسلم منهم من القتل، فعلمت أنه الدين الحق المحفوظ من التبديل والتغيير، وأن الكتب التى بأيديهم رتبوها على معتقداتهم وأنه لا حقيقة لأثرها، فدخل علىّ الإسلام.

---

(١) فى المخطوطة : الإنجيل.

(٢) فى المطبوعة: الصليب.

وقد قدمنا أنه ليس إنجيلاً واحدًا بل هى أربعة أناجيل[1]، كل إنجيل منها فى قطر من الأقطار بقلم غير قلم الآخر، وتضمن كل إنجيل منها من الأقاصيص والحكايات ما أغفله الآخر، وهما: مرقس ولوقا، لم يكونا من الإثنى عشر حوارى أصحاب المسيح، وإنما أخذا عمن أخذ عن المسيح، وإذا كان الأمر كذلك فهذان الإنجيلان ليسا من عند الله إذ لم يسمعاهما[2] أحد من لفظ المسيح، والحجة إنما تقوم بكلام الله تعالى وكلام رسوله واجتماع أصحاب رسوله.

وقد صَرّح لوقا فى إنجيله بذلك وقال: «إن ناسًا راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خدامًا للكلمة، فرأيت أنا إذ

(١) إنجيل: وهى مأخوذة من الكلمة اليونانية «إفاجيليون» ومعناها بشارة أو خبر طيب، فالإنجيل إعلان عن الأخبار المفرحة. وفى المدخل إلى العهد الجديد ـ من نسخة دار المشرق ببيروت نقرأ الآتى:ـ يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفرًا مختلفة الحجم وضُعت كلها باليونانية، ولم تجر العادة أن يطلق على هذه المجموعة عبارة: العهد الجديد إلا فى أواخر القرن الثانى.
أما الأستاذ أحمد طاهر فى دراسته الشيقة الممتعة «الأناجيل دراسة مقارنة» فيقول:
«والأناجيل الرسمية الأربعة ليست الأناجيل الوحيدة التى كتبت فى القرون الأولى للمسيحية، فكانت هناك أناجيل عديدة منها: الإنجيل المعروف بإنجيل العبريين وهو عمل أرامى، أى يقوم على اللغة التى كان يتكلمها المسيح وهى الأرامية.
وفى نهاية القرن الثانى الميلادى اعترفت الكنيسة بأناجيل: مرقص، ومتى، ولوقا، ويوحنا، ورَفضت الأناجيل الأخرى واعتبرتها كفرًا وإلحادًا وزندقة.
ويشير الأستاذ دوميللو Dummelow بجامعة كمبردج فى كتابه الشهير «تفسير الكتاب المقدس» إلى هذه الحقيقة فيقول:ـ «أحيانًا يضع الناسخ ما ليس فى النص الأصلى، ولكن ما يعتقد وجوده فيه ضروريًا معتمدًا فى ذلك على ذاكرته الضعيفة المترددة، أو أن يجعل النص الذى يقوم بنسخه متمشيًا مع رأى المدرسة التى ينتمى إليها».
لمزيد من التوسع حول أسفار العهد الجديد وقانونيته يرجى الاطلاع على:
١ـ الأسفار المقدسة د. على عبد الواحد وافى ـ دار نهضة مصر.
٢ـ الأناجيل دراسة مقارنة ـ أحمد طاهر ـ دار المعارف.
٣ـ دائرة المعارف الكتابية ـ نشر دار الثقافة.
٤ـ مقارنة الأديان دكتور محمد عبد الله الشرقاوى ـ نشر دار الهداية.

(٢) فى المخطوطة: يسمعها.

كنت تابعًا أن أكتب لك أيهـا الأخ تأويلاً لتعرف حقـائق الأمر الذى وُعِظت به»[١] فكتابه إنما هو تأويلات جمعها فيما وعظه به خُدَّام الكلمة.

واعلم أن هؤلاء الأربعة تولوا النقل عن رجل واحد، فـالاختلاف إما أن يكون من قِبَل المنقول عنه أو من قِبَل الناقل، وإذا كـان المنقول عنه معـصومًا تعّين الخطأ فى الناقل.

تكاذب:

نُقِلَ فى إنجـيل متَّى أن آباء يوسف ـ خطيب مريـم إلى إبراهيم الخليل ـ تسعـة وثلاثون بشـرط دخول يوسف وإبراهيم فى العـدد، وذُكِرَ فى إنجيل لوقـا أن آباءه خمـسة وخـمسون ، واخـتلفا فى الأسـماء أيضًا ، وذلك تكاذب قبـيح ، ولعل التوريك[٢] على لوقـا لأن متَّى صحابى ولـوقا ليس بصـحابى[٣]، إلا أنه لا فـرق بينهما عند النصارى وذلك يقضى بانخرام[٤] الثقة بهما.

نوع آخر:

قال لوقـا: «قال جبريل الملك لمريم بالـناصرة: إنك ستلدين ولدًا اسمـه يسوع يجلسه الرب على كرسى أبيه داود ويملّكه على بيت يعقوب»[٥].

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«إذا كان كثيرون قـد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كـما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخـدامًا للكلمة رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتـب على التوالى إليك أيها العزيز «فاوفليس» لتعـرف صحة الكلام الذى عُلّمت به» (لو ١ : ١ـ٤).

(٢) التوريك: توريك الرجل ذَنْبَه غيره كأنه يلزمـه إياه، ووَرك فلان ذنبه على غيره توريكًا إذا أضافه إليه. (لسان العرب ـ ابن منظور ص ٤٨١٩ باب ورك).

(٣) لفظة صحابى لا تطلق إلا على صـحابة رسول الله ﷺ، أما أتباع السيـد المسيح فيطلق عليهم القرآن لقب حواريين.

(٤) انخرم: انخرام الثقة أى انشقاقها. انخرم الأمر أى فسد . (المعجم العربى الأساسى ص ٣٩٢ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ لاروس).

(٥) النص الصحيح هكذا:

«فقال لها الملاك لا تخـافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنـت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع». (لو ١ : ٣٠ـ٣٢).

وأكذبه يوحنا وغيره فقال: «حمل يسوع هذا الذى وعده الله بالملك إلى القائد فيلاطس[(١)] وقد ألبسته اليهود شهرة الثياب وتوّجوه بتاج الشوك وصفعوه وسخروا منه، فعارض فيلاطس طويلاً فلم يتكلم، فقال له: أما تعلم أن لى عليك سلطانًا إن شئت صلبتك وإن شئت أطلقتك؟ فأجابه يسوع: لولا أنك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك علىّ سلطان، ومن أجل ذلك خطيئة الذى أسلمنى إليك عظيمة»[(٢)].

وهذا تكاذب قبيح، أحدهما يقول: إنه يَمْلُك على بنى إسرائيل، والآخر يصفه بصفة ضعيف. وكيف يُعطى من السماء سلطانًا على من نزل من السماء.

موضع دليل آخر:

قال لوقا: «لما أظهر يسوع الجزع ظهر له مَلَك من السماء ليقويه، وكان يصلى متواريًا، وصار عَرَقه كعبيط الدم»[(٣)] ولم يذكر ذلك متَّى ولا مرقس ولا يوحنا، وإذا تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه، فإن كان ذلك صحيحًا فكيف يتركه الجماعة؟ وإن لم يصح لم يؤمن أن يدخل لوقا فى إنجيله أشياء أُخَر [أفظع][(٤)] من ذلك، ولعل لوقا صدق فى نقله، فإن ظهور المَلَك علامة صحيحة

---

(١) الاسم الصحيح: بيلاطس البنطى وكلمة بيلاطس تعنى «المسلح برمح» وكان الوالى الرومانى على اليهودية الذى أصدر حكم الموت بالصلب على يسوع». . اهـ.
(دائرة المعارف الكتابية ص ٣١٠ ـ ج ٢ ـ نشر دار الثقافة).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«. . . قال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه لأنى لست أجد فيه علّة. أجابه اليهود: لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله. . . فقال له بيلاطس أما تكلمنى، ألست تعلم أن لى سلطانًا أن أصلبك وسلطانًا أن أطلقك؟ أجاب يسوع لم يكن لك علىّ سلطان ألبتة، لو لم تكن قد أُعطيت من فوق لذلك الذى أسلمنى إليك له خطية أعظم» (يو١٩ : ٦ـ١٣).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجه وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض». (لو ٢٢ : ٤٣ـ٤٤).

(٤) فى المخطوط: فصح.

على رفعه وصَوْنه من الأعداء.

مناقشة:

اعلم إن [كان] المسيح عبارة عن ناسوت ولاهوت اتحدا فظهور المَلَك ليقوى [الناسوت][١] ماذا [أريد به][٢]؟ فاللاهوت لا يحتاج إلى تقوية عبده، وإن كان ليقوى الناسوت أبطلوا الاتحاد، إذ لم يبق ناسوت متميز عن لاهوت حتى يفتقر إلى التقوية والنصر، ثم إن ذلك يشعر بضعف اللاهوت عن تقوية الناسوت المتحد به يحتاج إلى التقوية والنصر وكل عباد الله، إنما قوَّتهم بالله، فلم يُفد اللاهوت عن تقوية الناسوت المتحد به حتى يحتاج إلى التقوية والنصر.

موضع آخر فى غاية الفساد:

أن يوحنا هذا قال فى الفصل الخامس عشر من إنجيله: «إن يسوع قال: لو كنت الشاهد لنفسى لكانت شهادتى باطلة ولكن غيرى يشهد لى، فأنا أشهد لنفسى، وأبى أيضًا يشهد لى أنه أرسلنى»[٣].

وقال: «قالت توراتكم: إن شهادة رجلين صحيحة».

فقد جعلوا الله رجلاً وشهادته تقوم مقام واحد[٤] بعد قوله: لو كنت أشهد لنفسى فشهادتى باطلة، فلم يقل إن شهادة الإنسان لنفسه صحيحة، وإذا كان المسيح وتلاميذه منزهين عن هذا الكلام الفاسد فليرم جانبًا وليعلم أنه ليس من الإنجيل.

نقل يوحنا: «أن المسيح مضى إلى يوحنا المعمدانى ليتعمد منه، فقال حين رآه: هذا خروف الله يحمل خطايا العالم، وهو الذى قلت لكم إنه يأتى بعدى، وأنه أقوى منى، وأن بيده الرفش ينقى بيدره، فيجمع الحنطة إلى أهرائه، ويحرق

(١) ساقطة من الأصل.
(٢) لم أجدها فى الأصل فأثبتناها ليستقيم المعنى.
(٣) النص الصحيح هكذا:
«أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الآب الذى أرسلنى» (يو ٨:١٨).
(٤) فى المطبوعة: شاهد.

الأتبان بالنار التى لا تطفأ»[١].

وخالفه فى ذلك مَتَّى ولوقا، أما مَتَّى فقال: «إن المعمدانى حين رأى المسيح قال له: إنى لمحتاج أن أنصبغ على يديك، فكيف جئتنى تتصبغ على يدى؟» وأنه أرسل بعد إلى المسيح يقول له: أنت الآتى أو ننتظر غيرك»[٢].

وأما مرقس فلم يذكر شيئًا من ذلك، وهذا تكاذب قبيح لأن يوحنا جزم أنه هو ولم يحتج إلى سؤاله، ومتى علم حتى أرسل يسأل المسيح، والآخر أغفل القصة بالجملة، وهذا مُنفر للطبع موجب لسوء الظن.

موضع آخر:

ذكر مَتَّى أن خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن بابان، وذكر لوقا أنه يوسف بن ماهان بن قطب[٣].

موضع آخر:

ذكر مَتَّى [أن المسيح][٤] صُلِبَ، وصُلِبَ معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وأنهما جميعًا كانَ يهزآن بالمسيح مع اليهود ويعيِّرانه.

---

(١) بداية النص الصحيح منسوب إلى لوقا وليس يوحنا كما قال المؤلف وهو هكذا:ـ «أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحل سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه فى يده، وسينقى بَيْدَره، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (لو ٣:١٦ـ١٧).

(٢) بحثنا عن النص ومظان وجوده فى إنجيل مَتَّى فلم نعثر إلا على نص واحد فقط فيه ما يرمى إليه وهو هكذا:

«فأجاب يسوع وقال: لستما تعلمان ما تطلبان، أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا، قالا له: نستطيع» (مت ٢٠:٢٢).

(٣) يوسف زوج مريم العذراء أم يسوع، هاجر إلى الناصرة ومارس فيها مهنة التجارة، وقد خطب مريم، وكان يوسف عبرانيًا بارًا محافظًا على الفروض والطقوس اليهودية وقد اتصف بالرقة والشهامة. اهـ.

قاموس الكتاب المقدس ـ جون طمسون ص ١١١٨.

(٤) ساقطة من الأصل.

وذكر لوقا خلاف ذلك، فقال: إن أحدهما كان يهزأ به والآخر يقول له: ألا تتقى الله؟ أما نحن فقد جوزينا وأما هذا فلم يعمل قبيحًا، ثم قال للمسيح: يا سيدى اذكرنى فى ملكوتك، فقال: حقًا إنك تكون معى فى الفردوس.

وأغفل هذه القصة مرقس ويوحنا، وممنوع(١) أن يحدث مثل هذا فى ذلك الوقت ولا يكون شائعًا، وإن كان صحيحًا لِمَ تركاه ولَمْ يؤمن أن يتركا كثيرًا من الإنجيل ولعلهما لم يصح عندهما، والظاهر تناقضهما معًا فإن اللصين عند مَتَّى كافران بالمسيح، وعند لوقا أحدهما مؤمن والآخر كافر.

وكذلك قوله: «إنك تكون معى اليوم فى الفردوس» وهم يقولون إنما رُفِعَ بعد ثلاثة أيام من دفنه، [وهذا] تناقض واضح.

موضع آخر:

قال لوقا: «قال يسوع: إن ابن الإنسان لم يأت ليلقى سلامًا لكن سيفًا ويضرب فيها نارًا»(٢).

وهذا تناقض أحدهما يقول: جاء رحمة للعالمين(٣)، والآخر يقول: نقمة على الخلائق أجمعين.

موضع آخر:

ذكر مَتَّى «أن مريم خادمة المسيح جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى، فإذا مَلَكٌ قد نزل من السماء، فقال لهما: لا تخافا فليس يسوع ههنا، قد قام من بين الأموات وهو يسبقكم إلى الجليل، فمضيا مسرعين، فإذا المسيح قد

---

(١) فى المخطوط: مُهَان.

(٢) النص الصحيح ليس فى لوقا ولكن فى متى هكذا:
«لا تظنوا أنى جئت لألقى سلامًا على الأرض، ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا» (مت ١٠: ٣٤).

(٣) لم أستطع أن أتقبل هذه الجملة من المؤلف لأن محمدًا الرسول النبى الأمى هو الوحيد من بين أولى العزم من الرسل الذى أرسله الله رحمة للعالمين ولم يُرْسِل أحدًا سواه ولكن المسيح عليه السلام لم يُرْسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». اهـ.

لقيهما وقال: لا بأس عليكما، وقال: قولا لإخوانى ينطلقون إلى الجليل»[(١)].

وخالفه يوحنا فقال: «جاءت مريم وحدها يوم الأحد بغلسٍ، فرأت الصخرة قد رُفِعَت عن القبر، فأسرعت إلى شمعون الصف وإلى تلميذ آخر فقالت لهما: إن المسيح قد أُخِذَ من تيك المقبرة ولا أدرى أين دُفِنَ؟ فخرج شمعون وصاحبه فأبصروا الأكفان موضوعة ناحية من القبر، فرجعا، وجلست مريم تبكى عند القبر، فبينا هى كذلك اطَّلعت فى القبر، فرأت مَلَكَين جالسين ـ حيث كان يسوع ـ عليهما ثياب بيض، فقالا: ما يبكيك؟ فقالت: أخذوا سيدى ولا أدرى أين وضعوه؟ فبينما هى كذلك التفتت فرأت المسيح، ولم تعرفه، وحسبته حارس البسان، فقالت له: بالله إن كنت أخذته فقل لى أين وضعته؟ فناداها المسيح: يا مريم! فعرفته، وقالت له بالعبرانية: ربّونى أى يا معلم ـ فقال: لا تدنى منى فإنى لم أصعد بعد، اذهبى إلى إخوتى فقولى: إنى منطلق إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم، فذهبت وبشرت التلاميذ»[(٢)] فأحدهما يذكر أن الملك هو الذى أرسل

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما فإننى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. . . اذهبا سريعًا قولا لتلاميذه إنه قام من الأموات ها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه» (مت ٢٨: ١/ ١٠).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرًا والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعًا عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه، وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه فخرج بطرس والتلميذ الآخر وآتيا إلى القبر. وكانا الإثنان يركضان معًا، فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر. وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل. . .، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين. . . فقالا لها يا إمرأة لماذا تبكين، قالت لهما إنهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه، ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفًا ولم تعلم أنه يسوع. . فظنت أنه البستانى، فقالت له يا سيد إن كنت أنت قد حملته =

مريم، والآخر يذكر أن الذى أرسلها هو المسيح نفسه.

وأحدهما يقول ذلك عشية السبت، والآخر يقول بل يوم الأحد بغلس.

وأحدهما يحكى عند مريم وحدها والآخر عن شخص معها.

والعجب من قبول النصارى قول امرأة واحدة فى هذا الأمر العظيم، وقد جاء مضطربًا، وهذا حَرِىٌّ بأن يُسطر فى حكايات المغفلين، فما سمعنا [برب] يُصفع ويُضرب ويُقتل ويصلب ويُبكى عليه ويُندب، ويتردد بين خلقه فى صفة إنسان يُشتَبه بحارس بستان.

فلو أن اليهود نصبوا من يَسخر بدين النصارى ما بلغوا منهم ما بلغ النصارى من أنفسهم.

(مفرد)[1]:

ما تبلغُ الأعداءُ من جاهلٍ ما يبلُغ الجاهلُ من نَفْسِهِ

موضع آخر:

قال مَتَّى فى إنجيله: «إن يوحنا المعمدانى أفضل من نبى» ثم ثنى فقال: «كان المعمدانى مثل نبى»[2].

فليت شعرى من فى بنى آدم أفضل من نبى، ويسمو على رتبة النبى؟! هل ذلك إلا من سوء التعبير، والتغيير من سوء الفهم.

موضع آخر:

قال عيسى لبطرس[3]: «طوبى لك» ثم نقضوا ذلك فقالوا: «قال يسوع لبطرس:

= فقل لى أين وضعته وأنا آخذه، قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك وقالتَ ربُّونى الذى تفسيره يا معلم» (يو ٢٠: ١-١٧).

وللوقوف على تفسير لهذه القصة بأسلوب واضح ودقيق يرجى الاطلاع على كتاب الشيخ أحمد ديدات «من دحرج الحجر» نشر دار المختار الإسلامى.

(١) المعقوفين من وضع المحقق.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبيًا نعم أقول لكم وأفضل من نبى» (مت ١١: ٩).

(٣) بطرس: هو سمعان بطرس: كان اسمه أصلاً «سمعان بن يونا» وهو أخو أندرواس =

اذهب عنى يا شيطان، لا تشككنى لأنك لا تفكر فيما لله بل فيما للناس»[1].

فبينما هو لطوبى مالكًا إذْ صَارَ فى الدركاتِ هَالِكًا

موضع آخر:

قال نَقَلَةُ الإنجيل: إن يسوع جاء ليجلس على كرسى أبيه داود كما تقدم غير ما مرة، ثم نقضوا ذلك فقالوا: إن يسوع قال: ينبغى لى أن أُقْتَلَ وأُصْلَبَ، وهذا غاية التناقض والتكاذب.

موضع آخر:

قال يوحنا فى خاتمة إنجيله: «لقد فعل يسوع أموراً كثيرة لو أنها كتبت واحدة واحدة لم يسعها العالم صحفًا مكتوبة»[2].

وهذا من الكذب الفاحش والغلو الزائد إذ العالم أوسع أكنافًا وأبعد أطرافًا من أن يضيق عن أوراق تتضمن [معجزات][3] نبى وآيات رسول، وهذا وشبهه مما يورك على النقلة فيه وإلا فالحواريون منزهون عن التفوه بالمحال.

موضع آخر:

صعود المسيح إلى السماء أغفله يوحنا ومتَّى ـ وهما من الاثنى عشر ـ وذكره لوقا ومرقس ـ وهما من السبعين ـ وقد اختلفا فى ذلك.

= تلميذ يوحنا المعمدان، وكانت مهنته صيد السمك من بيت صيدا على ساحل بحر الجليل. اهـ.

دائرة المعارف الكتابية ـ ج ٢ ص ١٥٦ ـ نشر دار الثقافة.

(١) النص الصحيح هكذا:

«فأخذه بطرس إليه وابتدا ينتهره قائلاً حاشاك يا رب لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى يا شيطان أنت مَعْثره لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (مت ١٦ : ٢٢ـ٢٣).

(٢) النص الصحيح هكذا:ـ

«وأشياء أُخَر كثيرة صنعها يسوع إن كُتِبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يَسَع الكتب المكتوبة» (يو ٢١ : ٢٥).

(٣) ساقطة من الأصل.

فقال مرقس: إنه لما قام كَلّم تلاميذه تكليمًا، ثم صعد من يومه.

وقال لوقا: إنما صعد بعد أربعين يومًا. وهذا تكاذب قبيح يؤذن بعدم الثقة بنقلهم[١].

موضع آخر:

قال مَتّى: قال يسوع: «حقًا أقول لكم إن قومًا من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا فى ملكوته»[٢].

ومعلوم أنه قد مضى من حين صدور هذا الكلام ما يزيد على ألف عام، ولم

---

(١) يقول مرقس: ارتفع إلى السماء» (مر ١٦: ١٩).

ويقول لوقا: «وأصْعدَ إلى السماء» (لو ٢٤: ٥١).

إن هاتين الآيتين حُذِفتا من النسخة القياسية المنقحة المعروفة باسم R.S.V بوصفهما عبارتين مدسوستين.

ونستعرض الآن ما جاء بصدد الآية الثانية وهى «أُصْعِدَ إلى السماء».

أولاً: النسخة المنقحة اليونانية / الإنجليزية المسماة:

1- The R.S.V. Greek English.

= 51 - while he blessed them, he parted from them (H).

والتعليق على الجملة المشار إليه بحرف (H) فى الهامش جاء كالآتى:

(H) other ancient ovthor ities add and was carried up into heaven.

ومعنى التعليق: إن مراجع قديمة أخرى أضافت الجملة: «وحُمِلَ إلى السماء» أى أن النص

المذكور محذوف منه هذا المقطع. اهـ.

النسخة المنقحه (طبعة اكسفورد) (2) The R.S.V. oxford Bible

وجاء النص هكذا:

While he blessed them, he parted from them, and was carried up into heaven (a).

التعليق هكذا (a).

other anctent authorities omit and was carried up...

والمعنى: أن مراجع قديمة أخرى حذفت الجملة «وحُمِلَ إلى السماء».

(٢) النص الصحيح هكذا:

«الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا فى ملكوته» (مت ١٦: ٢٨).

يأت فى ملكوته، فإن قالوا: لم يَعْنِ إلاَّ أنه يقوم من بين الأموات بعد ثلاث أيام متتابعات.

قلنا: إنما قلتم إنه يأتى فى ملكوته، وأى ملكوت كان له فى اليوم الثالث ومريم تبكى عليه، وتسأل من يرشدها إليه؟! وأى مجد كان وهو فى ذلك اليوم يشتبه بحارس بستان؟!

موضع آخر:

قال متى: قال يسوع لتلاميذه الاثنى عشر: «أنتم الذين تكونون فى الزمن الآتى جلوسًا على اثنى عشر كرسيًا تدينون اثنى عشر سبط إسرائيل»[(١)].

فشهد للكل بالفوز والبر عامة فى القيامة، ثم نقض ذلك مَتَّى وغيره وقال: مضى واحد من التلاميذ الاثنى عشر المشهود لهم بالبر عامة، وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة، فارتشى على يسوع بثلاثين درهمًا، وجاء بالشرطى، فسلم إليهم يشوع، فقال يسوع: الويل له، خير له أن لا يولد.

فانظر رعاك الله إلى خُبث هذا النقل، هذا راوٍ واحد بينما يهوذا عنده جالس على كرسى من كراسى المجد [يحاسب] سبطًا من أسباط بنى إسرائيل إذ جعله كافرًا فاجرًا بائعًا دينه بالثمن البخس، وهذا لا يليق بنبى الله تعالى أن يخبر عن رجل بمصيره إلى السعادة والسيادة ويختاره لحفظ أموال الصدقات وهو من الكفار فى دركات النار، هذا ما يحاش منه النبى، فكيف يصدر ممن يعتقدون ربوبيته؟!

موضع آخر:

قال يوحنا: قال يسوع لتلاميذه: «الحق أقول لكم: إن من يؤمن بى يعمل أفضل من أعمالى»[(٢)].

---

(١) النص الصحيح هكذا: «لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر» (لو ٢٢: ٣٠).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضًا ويعمل أعظم منها لأنى ماضٍ إلى أبى» (يو ١٤: ١٢).

وكذب ذلك أصحابه فقالوا: لما أبرأ يسوع المجنون الأبكم، قال والده: لقد سألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراج الجِنّى، فقال: إن هذا لا يقدر عليه إلا بصوم وصلاة، فمرة يقول[1] إنهم يعملون أفضل من أعماله، وأخرى: إنهم لا يقدرون على مثل حاله، مع شهادته لهم بالإيمان والجلوس معه فى القيامة على كرسى المجد؛ ذلك تناقض عظيم وتكاذب جسيم.

فساد إنجيل يوحنا:

وعن يوحنا الإنجيلى أنه قال: «إن الكلمة صارت جسدًا وحلَّ فينا»[2] وهم لا يعنون بالكلمة إلا صفة العلم والنطق، وذلك محال إذ يلزمهم أن يكون القديم صار محدثًا والأزلى عاد زمنيًا، وصار عندهم عبارة عن ذات جاهلة ساكنة خرساء، وتحولت الألوهية إلى المسيح لأنه ذات كاملة بالعلم والنطق، وذلك من النصارى عزل لله من الربوبية وإخراج له عن الألوهية بالكلية.

قال بعضهم: كنت أتعجب من قراءتهم فى صلاتهم: المسيح الإله الدائم الداعى الكل إلى الخلاص، ومن شرعة إيمانهم حيث تقول: المسيح إله حق، وأقول:

---

(١) فى المخطوطة: يقولون.

(٢) النص الصحيح هكذا:ـ

«والكلمة صار جسدًا وحَلّ بيننا ورأينا مجده كما لوجد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا» (يو ١ : ١٤).

وهذه الجزئية من الآية فيها اختلاف نوضحه الآن من النسخ العربية والإنجليزية:ـ

١ـ نسخة المطبعة الكاثوليكية أوردتها هكذا: «والكلمة صار بشرًا فسكن بيننا».

٢ـ نسخة الترجمة التفسيرية المسماه N . I . V هكذا: «والكلمة صار بشرًا وخيّم بيننا».

أما النسخ الإنجليزيه فنورد منها:

١ـ نسخة إنجليزية اليوم — 1- Todays English verslon.

The Ward became ahvman and Full of Grace and truth lived among us.

٢ـ النسخة القياسية المنقحة المعروفة باسم — 2- R . S . V .

And the ward became Flesh and dwelt among us.

٣ـ النسخة القياسية المنقحة اليونانية / الإنجليزية المعروفة باسم

3- Interlinear Greek - English. N.T.

and the word Flesh became Tabernacled amongus.

من أين جاءت للنصارى هذه المحنة؟ حتى وَقَعْتُ على قول يوحنا هذا: «إن الكلمة صارت جسداً وحلّت فينا» فتحققت أن صلاتهم وشريعتهم إنما أُسِّسَت على هذه الكلمة الرذيلة.

فساد [المنقول][1] عن يوحنا أيضًا:

انفرد يوحنا وحده بفصل ذكره فى صدر إنجيله فى غاية التهافت والركة، فقال: «فى البدء كانت الكلمة، والكلمة كانت عند الله، والله هو الكلمة»[2] فهذا كما ترى مضطرب لفظًا ومعنًى.

أما من جهة اللفظ فإن ذلك بمنزلة قول القائل: الكلام عند المتكلم والمتكلم هو [الكلام][3]، والعلم عند العالم والعالم هو العلم، والدينار عند الصيرفى والصيرفى هو الدينار، وذلك هو الجنون.

وأما اضطرابه معنًى فإن الكلمة عندهم هى العلم والنطق، وهى التى حلّت[4] بالجسم المأخوذ من مريم، وقد ناله القتل والصلب، وتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان، وهو ملازم له بمقتضى ما روو عن يوحنا: أن الله هو الكلمة.

ومما يُرَدّ به قول المسيح وتصريحه فى عدة مواضع من الإنجيل أنه نبى، وأنه رسول ومُعلم، وأنه لا يعلم الغيب والقيامة، وذلك كله بخلاف قول يوحنا إن الله هو الكلمة.

ومن عجب العجب قولهم عن يوحنا: قال المسيح لتلاميذه: إن لم تأكلوا جسدى وتشربوا دمى فلا حياة لكم بعدى؛ لأن جسدى مأكلٌ حق ودمى مشربٌ حق، ومن يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأثبت فيه، فلما سمع تلاميذه هذه الكلمة قالوا: ما أصعبها، من يطيق لسماعها؟ فرجع كثير منهم عن صحبته، فالكلام على الرد والقبول فرع عن كونه معقولاً.

---

(١) فى المخطوطة : المقول.

(٢) النص الصحيح هكذا: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو ١ : ١).

(٣) الكلام: ساقطة من الأصل.

(٤) فى المخطوطة: أخذت.

مفرد:

وإذا كان فى الأنابيب حَيْفٌ[(١)] وَقَعَ الطَّيشُ[(٢)] فى صدورِ الصعادِ

كيف نقول أن الله هو الكلمة، والكلمة صارت جسدًا؟! وإذا كان الأمر كذلك، كيف يأمرهم بأكل ذلك الجسد وشرب دمه؟! ولا شك أن العقلاء من النصارى لو جمعوا بين قول يوحنا أولاً وبين قوله آخرًا لرجعوا أيضًا كما رجع من رجع عن يسوع، إذ يجتمع من الكلامين أكل الله القديم الأزلى وشربه وذلك محال.

فساد المنقول عن بولس:

قال فى رسالته السادسة[(٣)] يحث على التواضع: «لا ينظر أحدكم إلى نفسه دون صاحبه لكن ليعد صاحبه أفضل منه، واقتدوا بيسوع المسيح الذى كان شبيه الله

---

(١) الحافة من كل شىء: ناحيته وجانبه (ج) حَيْف.

(٢) طاش ـ طيشًا: اضطرب وانحرف، والطائش: الأهوج. انظر: مختار الصحاح والمعجم الوجيز.

(٣) إن لبولس هذا أربعة عشر رسالة فى العهد الجديد وهى:

١ـ الرسالة إلى أهل رومية.
٢ـ الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.
٣ـ الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس.
٤ـ الرسالة إلى أهل غلاطية.
٥ـ الرسالة إلى أهل أفسس.
٦ـ الرسالة إلى أهل فيلبى.
٧ـ الرسالة إلى أهل كولوسى.
٨ـ الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى.
٩ـ الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى.
١٠ـ الرسالة الأولى إلى تيموتادس.
١١ـ الرسالة الثانية إلى تيموتادس.
١٢ـ الرسالة إلى تيطس.
١٣ـ الرسالة إلى فليمون.
١٤ـ الرسالة إلى العبرانيين.

وعدل الله كيف أخفى نفسه وأخذ شبه العبد وألقى نفسه فى زى إنسان وشكله حتى مات وصُلِبَ»[١].

فبينما هو عنده مشابهًا للإله وعدله إذ حكم عليه بالذل والإهانة والقتل والصلب، وذلك غاية الحمق والجهل، أى حاجة للإله البارى إلى تَلَبُّسه بهذه الأمور، سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا.

موضع آخر من التكاذب:

قال متَّى: «كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب»[٢]. وأكذبه آخرون فقالوا: «كان طعام يوحنا الجراد وعسل البر». وهذا من أقبح الكذب.

موضع آخر:

قال النصارى: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى» قالوا: قد سمى داود المسيح ربه قلنا: قد حكيتم عن لوقا أنه قال: «قال جبريل لمريم: إنك ستلدين ابنًا اسمه يسوع يُجْلسُه الرب على كرسى أبيه داود»[٣].

فإذا كان النقل الأول صحيحًا فالثانى باطل والعكس، وإذا كان ابنه بإخبار جبريل عن الله تعالى فكيف يكون ربه؟! أما كان فى النصارى من يتدبر هذا القول قبل تسطيره، فإنه قد صار سُبَّة عليهم آخر الدهر.

---

(١)ـ النص الصحيح هكذا:
«لا شيئًا يتخرب أو يُعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم، لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضًا، فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خُلْه أن يكون معادلاً لله». (فى ٢ : ٣ـ٧).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب» (مت ١١ : ١٨).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع» (لو ١ : ٣٠ـ٣١).

موضع آخر:

قـال متَّى: «لما حُمِلَ يسـوع إلى بيلاطس الـقائد، قـال: أى شىء فـعل هذا؟ فصرخ اليـهود وقالوا: يُصلَب، يُصلَب، فلما رأى عزمهم وأنه لا ينفع فـيهم أخذ ماء وغسل يديه وقال: أنا برىء من دم هذا الصديق، وأنتم أبصروا»(١).

وأكذبه يوحنا ذلك فقال: «لما حُمِلَ يسوع إليه، قال لليهود: ما تريدون؟ قالوا: يُصْلَب، فضرب يسوع ثم سلَّمه إليهم»(٢).

فانظر ما أقبح هذا التكاذب.

موضع آخر:

قال لوقا: «انطلقوا بيسوع ليصلبوه، فوجـدوا سمعان القيروانى، فجعلوا عليه الصليب ليحمله، وجعل النسوة خلف يسـوع يبكين، فالتفت إليهن وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين علىّ وابكيـن على أولادكن، ليأتين عليكن زمـان تقلن: طوبى للبطون العواقـر التى لا تلدن والثُدِى التى لا يرضعن! فإذا كان هذا فـعلهم بالعود الرطب فكيف باليابس؟»(٣).

وخالفه يوحنا وقال: «مضى يسوع ليصلب وهو حامل صليبه»(٤).

(١) النص الصحيح هكذا:
«فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدّام الجمع قائلاً إنى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم» (مت ٢٧: ٢٤ـ٢٥).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«فصرخـوا خذه خذه أصلُبه، قال لهم بيلاطس أأصلـب ملككم؟! أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلا قيصر. فـحينئذٍ أسلْمه إليهم ليصلب، فأخـذوا يسوع ومضوا به» (يو ١٩: ١٥ـ١٦).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«ولما مضوا به أمسكوا رجـلاً قيروانيًا كان آتيًا من الحقل ووضعوا عليـه الصليب ليحمله خلف يسوع وتبـعه جمـهور كثـير من الشعب والنسـاء اللواتى كن يلطمن أيضًا وينحن عليـه، فـالتفت إليـهن يسـوع وقـال يا بنات أورشليم، لا تبكين عـلىّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هو ذا أيام تأتى يقولون فيـها طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد، والثدى التى لم ترضع» (لو ٢٣: ٢٦ـ٣٠).

(٤) النص الصحيح هكذا: «فخرج وهو حامل صليبه. . .» (يو ١٩: ١٧).

وخالفهما مرقس فزاد فى القصة ونَقّص فقال: «أخذوا سمعان أبا الإسكندر».

وخالفهم لوقا فقال: «وجدوا إنسانًا فسخروه».

فهذه قصة لطيفة تناقضوا فيها، فما ظنك بالمطولات.

واعلم أن هذه أمور زعمت النصارى أنها جرت بعد المسيح لم تُسمع منه فكيف عَدّوها من الإنجيل؟!.

فقوله: «يا بنات أورشليم...» إلى آخره، من كلام الشَبَه، ألا ترى إلى قوله: «إذا كان هذا فعلهم بالعود الرطب» ولو كان كما تزعم النصارى لقال: بالابن الذى قَدّسه الله وأرسله إلى العالم، كما تقدم من قول المسيح لليهود غير مرة، ولأن المسيح جاء فى زعمهم لخلاص العالم فأقل درجاته أن يخلّص نفسه، فكيف يحسن القول بعطبه؟!.

وانفرد لوقا بفصلٍ لم يشاركه أصحابه فى نقله، قال لوقا: «لما وُلِدَ المسيح وضعته أمه مقموطًا فى معلف من مزاود الدواب، وكان هناك رعاة يرعون أغنامهم، قال: فنظرت الرعاة إلى الملائكة قد نزلوا إليهم وبشروهم فقالوا: نبشركم ببشارة عامة لأهل العالم كله، أنه ولد الليلة لكم مخلصًا ومنجيًا وهو المسيح يسوع الرب»[1].

وهذه قصة انفرد بها لوقا، وفيها ما يقتضى ردها وهى بشرى الملائكة العالم بأسره بنجاتهم وخلاصهم، وذلك يقتضى بإطلاق أن اليهود والصين والسودان والهنود وفرعون وسائر طوائف الكفار قد خُلِّصوا ونجوا بمولد المسيح وبَطُلت الخطيئة بمجيئه.

وهذا القول مع سماجته مردود بنص الإنجيل إذا يقول فيه: «أقيموا الناس عن

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المِذْوَد..،وكان فى تلك الكورة رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم، ومَجْد الرب أضاء حولهم، فخافوا خوفًا عظيمًا، فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه وُلِدَ لكم اليوم فى مدينة داود مُخلّص هو المسيح الرب» (لو ٢:٦-١٢).

يمينى وعن شمالى، فأقول لأهل اليمين: فعلتم كذا فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم كذا فاذهبوا إلى الجحيم»[١] وبشرى العوالم تقتضى عموم السرور، واليهود أكثر الطوائف لم يُسَرّوا به، ثم أن هذه الرواية التى رواها لوقا من كونه مخلّصًا للعالم معارضة بقول المسيح[٢]: «إنى لم أرسل إلا للخراف الضالة من بنى إسرائيل فإن الإصحاء لا يحتاجون إلى الدواء وإنما يحتاج إليه المرضى».

فإذًا لا تعريج[٣] على ما نقله لوقا.

ومن التكاذب:

قال مَتَّى: «لما ذهبوا بالمسيح جردوا واحدًا من أصحابه سيفًا، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع بالسيف أذنه اليمنى، فقال له يسوع: أردد سيفك إلى غمده فإن كل من أَخَذَ بالسيف يهلك»[٤].

انظر إلى هذا التصادم، لوقا يقول: إن المسيح يحث على شراء السيوف لهذا المهم قبل أن يُسَلم، والآخر يقول: بل نهى صاحب السيف وعنَّفه، والثالث يقول: لصق أذن المضروب وبالسلامة بَشّره.

قال لوقا: «لما قطعت لَمَسها يسوع فأبرأها» ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، وانفرد يوحنا بتسميته «بلخس».

وقوله: «كل من أخذ بالسيف يهلك»، فاسد من جهة منطوقه ومفهومه إذ هو يقتضى أن كل من أخذ بالسيف قتل، وكل من لا يُقتَل بالسيف لا يقتل، وكلاهما

(١) لم نعثر على هذا النص أو معنى قريبًا منه.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«فأجاب وقال: لم أُرسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ١٥ : ٢٤).

(٣) التعريج على الشىء: الإقامة عليه. (مختار الصحاح. ص: ٣٧٢).

(٤) النص الصحيح هكذا:

«. . . حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه. وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه، وضرب عَبدُ رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال له يسوع: رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦ : ٥٠-٥٢).

فاسد، فكيف تزعم النصارى أن المسيح قُتِلَ وصُلِبَ ونُكِّلَ به مع أنه لم يأخذ بالسيفِ؟! ومقتضى قوله: إنه لا يُقتل. فكلاهما فاسد، فهذا منه من أقوى الشهود على عصمته مما افتراه النصارى عليه من القتل والصلب لأنه لم يأخذ إلا ما آتاه كما قال فى إنجيله: إن العبد لم يأخذ إلا ما آتاه الله من السماء.

قال لوقا: «قال الرب: سمعان سمعان! هو ذا الشيطان يسأل أن يغربلكم كما تغربل الحنطة»[1].

قلت: قد أجيب إلى سؤاله فغربلكم بغرباله وخدعهم بمحاله، فدانوا بالعبادة للنساء والرجال، واعتقدوا المحال، فالحمد لله على العصمة منه، وهذا الكلام يقتضى أن للحواريين مزية على يسوع إذ يقول فى الإنجيل: إنه سَحَبه من مكان إلى مكان، وقال له اسجد كما تقدم، فشافهه بذلك وسأله أن يغربل الحواريين فهم أَهْيَب إليه منه.

ومن التكاذب:

قول المسيح: «لا تحقروا أحدًا من هؤلاء الصغار المؤمنين فإن ملائكتهم فى كل حين ينظرون وجه الله الذى فى السموات»[2].

ثم أكذب ذلك فقال: «الله لم يره أحد»[3] وقال أيضًا: «الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد إلا مات»[4].

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«وقال الرب: سِمعَان، سمعان هو ذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة» (لو ٢٢: ٣١).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«انظروا، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأنى أقول لكم: إن ملائكتهم فى السماوات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السماوات» (مت ١٨: ١٠).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«الله لم يره أحد قط» (يو ١: ١٨).

(٤) لم أعثر على هذا النص بلفظه، ولكن وجدت نصًا قريبًا يفيد معناه هكذا:
«... الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه...» (أتى ٦: ١٦).

ومما انفرد به يوحنا فصول الفارقليط[١] ولم ينقلها سواه وأغفلها الباقون، فلم

---

(١) إن لهذه الكلمة «الفارقليط» قد اختلف العلماء من كلتا الديانتين فيها، ومنهم المنصف، ومنهم الذى دار حولها دون أن يعطى الدلالة الحقيقية على معناها، وههنا نتعرض لفصل مختصر من الترجمة التى تقوم بها لكتاب البروفيسور المهتدى للإسلام «عبد الأحد داود» واسمه:

Mohammed in the Bible

أى محمد فى الكتاب المقدس، ففى اعتقادى أنه لم يأت أحد فى تفسير معنى هذه الكلمة مثله على الإطلاق، ولنشرع فى نقل ما توصل هو إليه: يقول البروفيسور فى كتابه:
«الفارقليط لا تعنى المُعَزِّى أو المحامى فى الواقع، وهى ليست كلمة كلاسيكية بالمرة، ولا حاجة لأن يَدّعى الإنسان أنه من العلماء اليونانيين ليعرف أن الكلمة اليونانية التى ترادف المعنى ليست هى باراكليتوس paraclytos ولكنها هى بارا كالون paracalon ويجب أن نلاحظ أن هناك حرف علة هو «الفا Alpha طويلاً بعد الحرف الساكن Kappa فى paracalon وهو غير موجود فى paraclytos وبهذه المناسبة أود أن أصحح خطأ وقع فيه العالم الفرنسى «أرنست رينان» فى كتابه: «حياة المسيح»: فإنه يترجم باراكليت paraclete إلى محامى، ويأتى بالصيغة السريانيه الكلدانية paraklit فى مقابل ktighra أى المتهم من أصل kategorus ، والمرادف السريانى للوسيط أو الشفيع هو «مسعايا» Misaaya ، ولكن فى المحاكم تستخدم Snighra من الكلمة اليونانية Sunegorus لتعنى المحامى.
إن كلمة برقليطوس تعنى من الناحية اللغوية البحتة: «الأمجد، والأشهر، والمستحق للمديح» وقاموس الإسكندر - الإغريقى - الفرنسى يفسر كلمة priqleitos فيقول:
Qu, on peut entendre de tous les Cotes qu,il est facil a entendre Tres celebre = illustre, glorieux.
ومعنى الجملة: الذى هو معروف للجميع، والذى يُسْمع ذكره بسهوله، وهو مشهور جدًا ولامع جدًا.
وهذا الاسم المركب مكون من المقطع الأول. peri والمقطع الأخير kleatis وهو مشتق من التمجيد أو الثناء، والاسم إذا كتب بالحروف الإنجليزية فيكتب هكذا:
periqleitos أو periqlytos يعنى تمامًا ما يعنيه اسم أحمد باللغه العربية؛ أى المشهور والممجد.
ويقول الأب أثناسيوس: «إن لفظ باراقليط إذا حُرِّف نُطقُه قليلاً يصير بيريكليت ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب من لفظ أحمد».
ويضيف الأب «متى المسكين» فى كتابه « الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس »: =

يذكروا منهـا حرفًا وذلك يقضى بالمطاعن عليـهم، فلو وجدنا مصـحفًا أُسقِط منه سورة لأزرينا على صاحبه فكيف يهملها الكافة ويبينها واحد.

ومما قالوا أن متَّى سَهَا فـيه قـوله: «إن يوسف سار بالمسـيح إلى قرية يقـال لها الناصرية ليتم قول النبى القائل إن المسيح يُدْعى ناصريًا»[1].

وقال بعضهم: ليـس لذلك ذكر فى نبوة [أحد] من الأنبياء ألبـتة، وكذلك قول متى فى الفـصل الأول: «إن يوسف ومريم هربا به إلى مصر خـوفًا من هيرودس ليتم ما قـيل فى نبوة القائل من مـصر دعوت ابنى»[2] قالوا: ليس لهـذين النبؤتين صحة.

قال متَّى: «لما قرب يسوع من أورشليم أرسل اثنين من تلاميذه وقال: اذهبا إلى القرية التى أمامكـما فإنكما تجدان أتانًا وجـحشًا لم يُركبا، مربوطين، فـحلاهما، وأتيانى بهما، فإن قال أحد لكما شيئًا فـقولا له: الرب يحتاج إليهما، وهو يرسلهما للوقت فذهب التلميـذان وفعلا ذلك، ووضعا الثياب عـليهما وركب، وفُرِشَت له الثـياب فى الطريق وأغـصان الشـجر، فلـما دخل أورشليم ارتجت المدينة، وقـال الناس: هذا يسوع النبى الذى جاء من ناصرة الجليل»[3].

= «توجد وثيقة فى كنيسة فيينا ليوسابيوس القـيصرى وردت فيها كلمة الباراكليت كصفة أطلقت على شخص تبّنى مسئولية الدفاع عن المسيحيـين المتهمين بمسيحيتهم، وهى مقالة ممتعة فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص واسمه: فيتوس. أيب. أجاتوس بالبراكلينى»، لأنه حامى عنهم وتشـفَّع لهم جهارًا مُعَّرضًا حيـاته للهلاك، وهذه الوثيقة تصـور كلمة الباراكليت تصويرًا واقعيًا حيًا، إنها على مستوى بشرى».. اهـ.

(١) النص الصحيح هكذا:

«وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة، لكى يتم مـا قيل بالأنبياء إنه سيُدعى ناصريًا» (مت ٢: ٢٣).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«وهذا كله كـان لكى يتم ما قـيل من الرب بالنبى القـائل.. هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنًا..». (مت ١: ٢٢-٢٣).

(٣) النص الصحيح هكذا:

«ولما قربوا من أورشليم، وجاءوا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون: حينئذ أرسل يسوع =

وقال مرقس ولوقا: «امضيا فإنكما تجدان جحشًا مربوطًا».

ويوحنا قال: «إن يسوع وجد حمارًا فركبه».

ولم يذكر الثلاثة إرساله إلى أصحاب المركوب واستئذانهم، وفرش الثياب وارتجاج المدينة لدخوله، وشهادة الناس أنه النبى الذى جاء من الناصرة، ومَنْ أحوج الرب إلى ركوب الحمير والاغتذاء بالخمير؟!

ولا يبعد أن اليهود أدرجوها فى أول نسخ الإنجيل ليضحكوا الناس من دين النصرانية ثم تناقلها النصارى لغفلة، وحسن الظن يلجئ عن النظر فى قبائح الكلام.

فساد عبارة بولس الرسول:

فى رسالة له: «إن المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس فصار لعنة بدلنا»[1] ثم أفرده فقال: «لأن كل مصلوب ملعون» فلم يكفه ادعاؤه صلب الرسول حتى لَعَنَهُ صريحًا. وَهَب أنه اعتقد بفاسد عقله صلبه، فمن أين له أن كل مصلوب ملعون، وقد صلب من أولياء الله وأصفيائه جماعة وليس الملعون إلا من فعل بهم ذلك؟.

فساد عقل افريم ـ من قدماء النصارى ـ قال: «إن اليدين اللتين جبلت طينة آدم هى التى سمّرت على الصليب، والشبر التى مسحت السموات والأرض هى التى علقت على الخشبة».

وذلك خطأ بإجماع عقلاء النصارى؛ لأن الذى عَلا على الصليب هو الجسد

= تلميذين، قائلاً لهما: اذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت تجدان أتانًا مربوطة وجحشًا معها فحلاّهما واتيانى بهما. وإن قال لكما أحد شيئًا فقولا الرب محتاج إليهما فللوقت يرسلهما. فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل قولوا لابنه صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وجحش ابن أتان. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما» (مت ٢١: ١-١١).

(١) النص الصحيح هكذا:
«المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة» (غل ٣: ١٣).

المأخوذ من مريم ، وأين كانت الأجساد الإنسانية يوم خُمرت طينة آدم ويوم قدرت السموات والأرض؟! هل ذلـك إلا جهل وضلالة وعلو فى الشرك، فـهذا رحمك الله تعالى كتاب قد تلاعبت فيه بنيات الطرق، وتراجمت به تراجمة الفرق، وانتقل من لسان، إلى لسان وعبث به التحريف والتصحيف فى كل زمان.

* * *

[فصل فى حل شبه لهم وإيراد شبه عليهم] (١)

نذكر ذلك ضمن أسئلة ينتفع بها من أراد مكالمتهم.

قالت النصارى: اليهود والنصارى يزيد عددهم على عدد التواتر، وهم ينقلون أن المسيح قُتل وصُلب، وخبر التواتر يفيد العلم القطعى، فكيف يَنفى كُتَّاب المسلمين ما أثبته التواتر؟(٢).

الجواب: يقال لهم من سَلِم أن الحاضرين قبله كانوا بعدد التواتر، وإنما كان شرذمة قليلة من اليهود وأصحاب المسيح لم يحضر منهم أحد ألبتة، وإذا كان المحدثون آحادًا(٣) فلا تواتر إذ شرطه استواء الطرفين والواسطة، فالحاضرون لم يكونوا بهذه الصفة، فكثرة من جاء بعدهم إنما أُخبر عنهم فليت شعرى من حضر من اليهود كانوا من أعداء المسيح فكيف تقبل أخبارهم فيما يشين عَدّوهم ولو كثروا.

سلّمنا كثرتهم لكن ما شهدوا إلا بقتل وصلب لا غير، ولم يَنْفه القرآن وإنما نفى أن يكون المفعول به والفاعل المسيح نفسه فأعلمنا أنه قد كان شبه لهم، ولو قيل للحاضرين: أيجوز أن يكون المصلوب ليس هو المسيح ولكن رجلٌ ألقى عليه الشبه لجوّزوا ذلك ولقد كانوا فى شك فيه حتى صاروا يحلّفونه: أأنت المسيح؟! فكان لا يخبرهم، ولو بَرّ أقسامهم فليسوا على يقين فيقدم على تواتر القرآن العظيم.

فإن قيل: من هو الذى وقع عليه الشبه؟ قلنا: سيأتى ذكره فى باب رفع المسيح.

---

(١) القوسين من عمل المحقق.

(٢) التواتر: التتابع، وقيل هو تتابع الأشياء. وقال اللحيانى: تواترت الإبل والقطا وكل شىء إذا جاء بعضه فى إثر بعض، ولم تجىء مصطفة.
والخبر المتواتر: أن يحدثه واحد عن واحد. اهـ.
(لسان العرب ـ لابن منظور ـ ص ٤٧٥٨ ـ طبعة دار المعارف).

(٣) فى المخطوطة : إناثًا.

السؤال الثانى:

كيف يصح أن يكون المصلوب غير المسيح، ثم يقترن بصلبه ما ظهر من الكرامات من اسوداد الشمس وانشقاق الهيكل وقيام الأموات فكم قُتِلَ من الأنبياء والشهداء ولم يظهر ذلك عند قتلهم؟

قلنا: قد دللنا على كذب هذا النقل لعدم اشتهاره فى العالم وبين طبقات بنى آدم إذ لو كان صحيحًا لدوّن، فحيث لم يدوّن ولم يُنْقَل دل على افتعاله بدعوى كاذبة تروج على ضعفاء العقول، كيف تمشى بين الناس وينشق الهيكل ولم يشتهر ذلك، [ولو] سلمنا صدور ذلك لا يلزم أن يكون لأجل المسيح لأن الذى شُبِّه من الحواريين وهو عندهم أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وهو أفضلهم لا يؤثره المسيح بنفسه فصار له بذلك مزيّة، وحقت أن تبكى عليه أهل السماء والأرض.

ثم يقال: ما معنى قيام الأموات عند صلبه؟ أَهَلْ رضى بما فعل أم عدم روحه ردت عليهم أرواحهم، وهل ماتوا بعد ذلك أم استقرت حياتهم، ومن سعى بعد انشقاق الهيكل فى التئامه، أهم اليهود أم[1] الساعون بهم فى إطفاء نوره وتحقق آثامه، وهل أثرت هذه الآيات عند مصابه، فجعلتهم بما ظهر من خواص أحبابه، أم هم على عدواته وبمصابه راضون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

السؤال الثالث[2]:

إيراد شبه على النصارى:

يقال لهم: قد زعمتم أن المسيح إله العباد وخالقهم ورازقهم ومدبرهم، ثم زعمتم قهره وإهانته وصلبه وقتله، ثم بقى برهة تحت التراب تبكيه الأحباب والأصحاب، فأخبرونا من الذى كان يقوم برزق الأنام والأنعام فى تلك الأيام؟ وكيف حال الوجود والإله فى اللحود، ومن دبر السماء والأرض بالبسط والقبض والرفع والخفض؟ وهل دفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أم خذلته وهربت مع

(١) فى المخطوطة: هم.

(٢) السؤال الثالث: من وضع المحقق وهى غير موجودة فى المخطوطة.

تلاميذه؟ فإن كانت قد دُفِنَت فإن قبرًا قد وسع الإله العظيم لقبر عظيم، وإن كانت فرت وأسلمته فكيف يصح ذلك مع اتحادها به، وكيف بطل الامتزاج؟ أين قولكم فى الأمانة أنه أتقن بيده وخلق كل شىء، أين ما وصفتم عن الإنجيل أن العالم بالمسيح كُوِّن وقولكم إن الآب لا يدين أحدًا بل الابن الذى يدين الناس، أترونه راضيًا بما فُعِلَ به فارًا عن الدفع عن نفسه، فإن كان راضيًا بالذى فُعِلَ به يكفر ومذهبكم يأبى ذلك.

وكان ينبغى على سياق هذا أن تثنوا على اليهود وتترحموا على اليهود وعلى يهوذا الإسخريوطى وتصلوا عليه وعليهم فإنهم أعانوا على حصول رضاه وسارعوا إلى قدره وقضاه، فإن كان بغير رضاه فاطلبوا إلهًا سواه، فإن من عجز عن حماية حشاشته[1] حتى تم عليه ما نسبتم إليه، فكيف ترجون منه[2] نفعًا أو تؤملون لديه دفعًا؟!

فإن قيل: لا يكون نقيصة إلا إذا كان المفعول به ذلك عاجزًا عن الامتناع والدفاع وأما المسيح فلو شاء امتنع عن اليهود، بل أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداءً عن الناس لينقذهم من الخطيئة ويزيل عنهم درن الذنوب.

نقول: لا نسلم ما ذكرتم إذ كتابكم شاهد بأنه استتر واختفى من مكان إلى مكان يريد السلامة إلى أن دَل عليه رجل من أصحابه، فأُخِذَ من غير اختياره وهذا شىء لم نسمعه إلا منكم ومن كتابكم، وحكيتم أن آخر كلامه: إلهى إلهى لم تركتنى، وقال قبل: إن كان يحسن صرف هذا الكأس فاصرفه عنى.

وأما قولهم أنه أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداءً عن الناس فهذا من الكلام السخيف، فإنه لا يخلو إما أن يفديهم من عقاب نفسه أو من عقاب غيره، فإن كان من عقاب نفسه فما حاجته أن يبذل نفسه فى أمر هو يملكه، فزمامه بيده، فهلاّ عفا عنهم[3] وأعفى عن القتل والإهانة، وإن كان من عقاب غيره فقد صار

---

(١) الحُشَاشة: بقية الروح فى المريض، ويقال ما بقى من الشمس إلا حشاشة نازع وما بقى من المروءة إلا حشاشة محتضر (المعجم الوجيز. ص: ١٥٢).

(٢) فى المطبوعة: عنده.

(٣) فى المطبوعة: عنه.

عاجزًا لم يمكنه صلاح عباده إلا بالشفاعة ولا تقبل شفاعته حتى يبذل نفسه للإهانة وروحه للقتل، ولم يحصل الفداء الذى يَدَّعونه والمشفوع إليه بزعمكم أبوه، أفما كان له عنده من الجاه أن يُشَفّعه فى مطلوبه وهو معافى من المحن بل قتله وصلبه من غير إسعافه بمراده منه؟! وهذا لا يصدر إلا من الأعداء.

فهذا الرب الذى تَعَنَّى ونزل لخلاصكم وحصل له ما وصفتم لم يحصل لكم خلاص به وما تم له مراده، إن كان خلاصكم من الدنيا، فأنتم باقون على ما أنتم عليه من طباع البشر وتحمل الضرر، أو من عهدة التكاليف، فها أنتم بالصلاة والصيام مخاطبون، وعلى فعل الآثام معاقبون، وإلا فمن فعل منكم كبيرة لا يُؤَاخَذُ بجريرة [ونجى] من أهوال يوم القيامة، أكذبكم الإنجيل لأنه فيه كما تقدم: «وأقول لأهل الشمال فعلتم كذا فاذهبوا إلى الجحيم» إذ كان كذلك فاطلبوا الخلاص ممن هو بيديه وتُعول سائر الخلائق عليه، وهو الله الذى لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون.

الرابع:

قال النصارى: استسلم المسيح ليعلّم الناس الصبر على الشدائد فيعظم أجورنا.

قلنا: ما أفادكم التعليم شيئًا! ما بالكم تقيمون سيوف الحروب وتبيحون الغصوب وتنصبون القتال، فما أكسبكم علمًا ولا أنالكم حلمًا، وصار ما وصمتموه من الإهانة صفة من الحكمة فكيف استسلم وهو يقول: «إن كان يحسن صرف هذا الكأس فأصرفه عنى» فذلك يكذبكم والله أعلم.

الخامس:

قال النصارى: إنما يكون القتل نقيصة لو أنه مضاف إلى اللاهوت بل القتل مضاف إلى ناسوته دون لاهوته.

الجواب: يمتنع ذلك عن «اليعقوبية»[1] القائلين أن المسيح قد صار بالاتحاد طبيعة

---

(١) اليعقوبية: فإنهم يُنْسَبون إلى «يعقوب» البرذعانى، وكان راهبًا بالقسطنطينية وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشية تامة، وقد قالوا بالأقانيم الثلاثة. . .، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو،=

واحدة، إذ الطبيعة الواحدة لم يبق فيها ناسوت متميز عن اللاهوت، والشىء الواحد لا يقال: مات ولم يمت، وأهين ولم يُهن.

وأما «الروم»(١) القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باقٍ على طبيعته ، فيقال لهم:

= وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ (المائدة: ٧٢).

فمنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى.

ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التى هى فى حكم الصفة، بل صار هو هو، وهذا كما يقال: ظهر المَلَك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان.

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبًا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرًا واحدًا، أقنومًا واحدًا، فهو إنسان كله، وإله كله، فيقال: الإنسان صار إلهًا ولا ينعكس فلا يقال: الإله صار إنسانا، كالفحمة تُطرح فى النار فيقال: صارت الفحمة نارًا ولا يقال صارت النار فحمة؛ وهى فى الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هى جمرة.

وأجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث؛ إلا أن الأقنوم الثانى الذى هو الكلمة اتحدت دون سائر الأقانيم، وأجمعوا كلهم على أن المسيح ـ عليه السلام ـ ولد من مريم ـ عليها السلام ـ وقُتل وصُلب، ثم اختلفوا فى كيفية ذلك.

فقالت الملكانية واليعقوبية: إن الذى ولد من مريم هو الإله، فالملكانية لما اعتقدت أن المسيح ناسوت كلى أزلى، قالوا: إن مريم إنسان جزئى والجزئى لا يلد الكلى، وإنما ولده الأقنوم القديم، واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جوهرين وهو إله وهو المولود، قالوا: إن مريم ولدت إلها «تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

انظر لمزيد من التفصيل:

موسوعة الإمام ابن حزم الظاهرى.

١ـ الفصَل فى الملل والأهواء والنحل.

٢ـ المِلَل والنحل ـ الشهرستانى

٣ـ موسوعة تاريخ الأقباط ـ الأستاذ ذكى شنودة المحامى.

٤ـ دائرة المعارف الكتابية ـ نخبة من رجال اللاهوت.

(١) الروم ويسموا أيضًا الملكانية : هى طائفة مسيحية من الطقس البيزنطى منتشرة فى =

فهل فارق اللاهوت ناسوته(١) عند القتل؟ فإن قالوا: فارقه، أبطلوا دينهم فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد، وإن قالوا: لم يفارقه فقد التزموا ما ورد على «اليعقوبية» وهو قتل اللاهوت مع الناسوت، وإن فسروا الاتحاد بالتدرع(٢) وهو أن الإله جعله مسكنًا له وبيتًا ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت؛ أبطلوا ألوهيته(٣) فى تلك الحالة.

وقلت لهم: أليس قد أُهينَ؟ وهذا القدر يكفى فى إثبات النقيصة ـ إن لم يأنف اللاهوت(٤) لسكنه أن يناله هذه النقائص ـ فإن كان قادرًا على النقائص فقد أساء مجاورته ورضى بنقيصه، وذلك عائد بالنقص عليه فى نفسه، وإن لم يكن قادرًا فذلك أبعد له عن عز الربوبية.

السادس:

قال النصارى: كيف يجوز إلقاء الشبَه وهو إضلال، وإذا كان هو أضل عباده لا معنى لإرسال الرسل إليهم فيظلم الرسل إذا بعثهم لم يكذبهم، وكيف يهدى الرسول العباد من كفرهم وهو الذى زيَّنه لهم؟.

= سورية، ومصر، وفلسطين، ومنها جالية هامة فى أمريكا وكنيستهم تسمى أيضا كنيسة الروم، ويتكلم معظمهم العربية ويرأسهم بطريرك يقيم فى دمشق والقاهرة. تَسَمّو الملكيين؛ لأنهم أيَّدوا القرار الذى اتخذه مجمع خلقدونية عام (٤٥١) ضد بدعة أو طيخا المونوفيزية القائلة بطبيعة واحدة للمسيح فلقبهم مخالفوهم إزدراء لهم بالملكيين لوقوفهم فى صف مرقياثوس الذى كان يعاضد المجمع، ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما ويسمون الروم الكاثوليك. انظر: (الموسوعة العربية الميسرة ـ محمد شفيق غربال ص: ١٧٤٢).

(١) الناسوت: كلمة سريانية الأصل ومعناها: طبيعة الإنسان وقيل: أصلها الناس، زيد فى آخرها واو وتاء مثل: ملكوت، وجبروت.
اللاهوت: كلمة سريانية بمعنى الألوهية وقيل: أصله لاه بمعنى إله زيدت فيه الواو والياء.

(٢) التدرع: درع فلانًا: ألبسه دِرْع الحديد ويقال: دَرَعه بها، وتدرع الدرع، وبها لبسها. اهـ. (المعجم الوجيز ٢٢٦).

(٣) فى المخطوطة: إلهيته.

(٤) فى المخطوطة: الناسوت.

قلنا: ليس فى الشبه إضلال، إذ ليس الإلقاء هو الذى بعثهم على القتل، بل ما جاءوا إلى المسيح إلا وهم قد أجمعوا على الفتك به، وبهذا القصد كفروا، وإنما يكون تضليلاً لو أمرهم بقتل المسيح ثم ألقى شَبَهه على آخرٍ فقتلوه، وإنما حال بينهم وبين المسيح وألْقَى شبهه على غيره، فلا يقال لهذا الفعل تضليل، لا سيما وقد انتهى أجل الشَبَه عنده وعوّضه عن ذلك الجنَّة، وبالجملة مذهب أهل الحق أن الله يفعل ما يشاء بعباده ولا يُنسَب لظلم ولا جَوّر تعالى أن يكون فى ملكه ما لا يريد، وقد زَلّ من أوجب على الله ثوابًا للمحسنين وعقابًا للمسيئين، وقد اعترف أهل الكتاب أن الله هو الذى نفخ الروح فى العجل حتى عبده بنو إسرائيل وإنما يظلم من تصرف فى مُلك غيره.

السابع:

قال النصارى: شهدَ كتابكم[1] بأن المسيح عيسى ابن مريم هو كلمة الله، والكلمة عندنا وعندكم قديمة.

قلنا: لا نزاع فى تسميته كلمة، والمسميات لا حجْر فيها، أو نقول: المعنى من إلقاء الكلمة إلى مريم تكوُّن المسيح من غير نطفة فَحْلٍ، فقال له: كن، فخلقه بسبب كن لا من مَنِىّ فَحْلٍ، إذ كل أمر اتصل بأمره فهو ينسب إليه إذ سمى كلمة بقول جبريل لمريم عليها السلام: «عليكى أيها المباركة إنك تحملين بولد يسمى المسيح. . .» إلخ.

فعندها حملت به أى عند هذه الكلمة، فسمّى المسيح بها كما يُسمّى الشىء بلازمه عادة، فكان كلمة بهذا الاعتبار، ولما كان جبريل يدعى روح القدس سماه الله تعالى كذلك فى كتب الأنبياء وفى التنزيل: ﴿قُلْ نَزّله روح القُدُس مِنْ ربك بالحق﴾ [النحل:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وأَيَّدنَاه بروحِ القُدُس﴾ [البقرة:٨٧].

سُمى روحًا باسم جبريل ، فجبريل هو الذى ألقى ، وهو حامل كلمة الخلق التى خُلِق بها عيسى، وهو الروح المؤيد به، فسمى روحًا باسم المبشِّر به أمه لا كما

(١) يقصد القرآن الكريم.

اعتقدوه من انقلاب الكلمة الأزلية جسدًا ذا شعر وظفر.

تنكيت:

يقولون: إن الله تعالى جوهر وذلك ممتنع لأن الجوهر يفتقر إلى عرض يقوم به، وقد ثبت بالعقل أن الله منزه عنه لأنه لا يبقى زمانين وأن الصفة لا تفارق الموصوف، ومحال على العرض - وهو الكلام مثلاً - أن يفارقه المتكلم ويَعْلَق بغيره ويفقده الناطق به، إنما يتعلق بالمخاطب أثر الكلام من امتثال أمر أو اجتناب نهى، مثلاً إذا قلت لغيرك، اضرب، هل انتقلت إليه؟ إنما انتقل إليه مجازًا عند الامتثال أثر ما أمر به مما اقتضته تلك الكلمة لا أن نفسها حَلّت بالمخاطب وتلبَّست به، إنما هى لازمة للمتكلم متلبِّسة به لا تفارقه.

السؤال الثامن:

قالت النصارى: أليس فى كتابكم ﴿**فَنَفَخْنَا فيها من روحنا**﴾ [الأنبياء: ٩١] فما تأويل ذلك غير ما ذهبنا إليه؟.

قلنا: هذا لا يفيدكم شيئًا إذ ليس اعتقاد أحد منكم أن روح الآب اتحدت بالمسيح وإنما الذى اتحد به هو العلم، وقد ذكرنا فى أول الكتاب أنها ترد لمعان شتى؛ فمنها أنها ترد بمعنى الوحى: ﴿**وكَذَلِك أَوْحينَا إليك رُوحًا من أمرنا**﴾ [الشورى: ٥٢].

أو يُراد بها جبريل روح الله، فهو مظهر لفعل الحق فيها، وهو المعنى بالروح فى قول لوقا فى إنجيله: «روح القدس يحل عليك» وهو جبريل، لأن اسمه روح القدس كما فى كتاب الله تعالى.

وفى التوراة: أن يوشع امتلأ من روح القدس.

وقالت التوراة: روح الله حالة فى يوسف، وذلك كناية عن العلم والحكمة لأنها من معانى الروح كما تقدم.

وفى إنجيل متى: أن يوحنا المعمدانى امتلأ من روح القدس وهو فى بطن أمه. فما أجاب به النصارى عمن سبق ذكرهم هو جوابنا عن قول جبريل لمريم: «روح القدس يحل عليك».

التاسع:

قال المسيح لمُقْعَد: غَفَرْتُ لك، وذلك دليل على ربوبيته إذ لا يغفر الذنوب إلا الله.

قلنا: ليس كذلك لفظ الإنجيل وإنما قال له: «مغفوره لك خطاياك» إخبارًا عن الله تعالى، ولو سلمنا ورود هذه اللفظة بعينها دون تحريف من السائل، إذ يحتمل أن يكون المُقْعَد كان يؤذى المسيح مع اليهود ويقول فيه كقولهم، فلما رآه وشاهد بلاءَه رَقّ له فقال له: غَفَرْتُ لك، يريد حالتك.

والدليل عليه قول بطرس للمسيح: يا أبت! إلى كم أغفر لأخى إذا أخطأ، إلى سبع مرات؟ فقال: بل إلى سبعين مرة. وأكابرهم ينقلون ذلك ويغفرون لمن أرادوا حط ذنوبه وليس منهم من يعتقد خروجه إلى رتبة العبودية، وقد ذُكِرَ فى الإنجيل أن اليهود ومن حضر يسوع أنكروا عليه هذه الكلمة، فقال لهم: ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جُعِلَ له أن يغفر الخطايا. صَرّح بأنه عبد مخلوق جعل الله له ذلك بإيمانهم به وتصديقهم.

وقد ورد قول يوشع لتلاميذه: إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة.

العاشر:

قالوا: قال يوحنا المعمدانى: حين رأى المسيح: هذا خروف الله الذى يحمل خطايا العالم. فشهد له أنه سَيُقْتَل ويُصْلَب قربانًا عن خطيئة آدم.

الجواب: يوحنا أورد هذا الكلام شهادة للمسيح بالنبوة والرسالة أسوة بغيره من الأنبياء لحملهم خطايا قومهم بما يرشدونهم إليه من الإيمان والمعرفة بالله تعالى، وقد تقدم مدح المعمدانى له وشهادته أنه خروف الله، وفى رواية: حَمَل الله.

الحادى عشر:

من معضلاتهم، قال يسوع: أنا بأبى وأبى بى. قالوا: هذا تصريح من المسيح بأنه متحد به.

الجواب فى قول يوحنا التلميذ فى الفصل السادس عشر فى إنجيله: قال يوحنا:

تضرع المسيح إلى الله فى تلاميذه فقال: «أيها القدوس احفظهم باسمك ليكونوا هم أيضًا شيئًا واحدًا كما أن شىء واحد، فقد منحتهم من المجد الذى أعطيتنى ليكونوا شيئًا واحدًا. فأنا بهم وأنت بى»[1] وتأويله: أنت يا إلهى معى، وأنت لى، وأنا معهم، وأنا لهم، وكما أرسلتنى لأدعو عبادك فلذلك أرسلهم ليدعوا إليك فكن لهم كما كنت لى، فإن عُدِلَ عن هذا التأويل لزم منه المحال وهو أن يكون قوام الله وثبوت ربوبيته برجلٍ من خلقه، والبارى وعبد من عبيده متداخلين، فيلزم أن يكون التلاميذ متداخلين مع المسيح ويكون المسيح متداخلاً معهم، فإن التزموا ذلك فيكون الله تعالى حَالاً فى التلاميذ والتلاميذ حالين فيه، تعالى الله عن ذلك عُلوًا كبيرًا.

وقد قال بولس يعظ الناس من الزنا: أما علمتم أن أجسادكم أعضاء المسيح، فيعمد أحدكم إلى عضو المسيح فيجعله عضوًا للزانية؛ لأن من يصحب الزانية يَصير معها جسدًا واحدًا، والذى يصحب المسيح يصير معه روحًا واحدًا، وذلك يفسد على النصارى سؤالهم.

الثانى عشر:

قال النصارى: قال يوحنا التلميذ فى الفصل الثالث عشر من إنجيله: «من رآنى فقد رأى أبى وأنا وأبى واحد»[2].

الجواب: إنه قد اعترف فى الإنجيل فى غير موضع أنه رسول من الله تعالى إلى عباده، والرسول يُحْسِن أن يقول لمن أُرْسِلَ إليه: أنا ومن أرسلنى واحد، ومن رآنى فقد رأى من أرسلنى، ومن بايعنى أو عاهدنى فقد بايع وعاهد من أرسلنى وحصل له الزمام منه، وذلك غير مستنكر من الرسل والأنبياء، ومنه قوله تعالى لنبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿ إن الذين يُبَايِعُونَك إنَّما يُبَايِعُونَ الله

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«أيها الآب القدوس: احفظهم فى اسمك الذى أعطيتنى ليكونوا واحدًا كما نحن» (يو ١٧: ١١).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«الذى رآنى فقد رأى الآب...» (يو ١٤: ٩).

يَدُ الله فَوقَ أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] أو يقال: إن المسيح لما أبهر عقول الناس بما أبداه من العجائب والمعجزات ورأى التفاتهم واشتغالهم به فأحب رفع هممهم إلى الله تعالى.

وقد قال فى إنجيله: «أبى أعظم منى»، وقال: «لا صالح إلا الله الواحد».

فإن عدلوا عن التأويل لزمت أن اليهود والنصارى وسائر الكفار والحمير والكلاب قد رأوا الله تعالى وأكذبوا التوراة، والإنجيل يقول: «إن الله لم يره أحد قط».

الثالث عشر:

حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: «لا يصعد إلى السماء إلا من نزل من السماء»[1].

قلنا يريد الأرواح الطاهرة السماوية التى تنام على طهارة يؤذن لها فتعرج إلى السماء ثم تعود، فإذا فارقت الجسد صعدت إلى السماء، وأما أرواح الكفار فلا تصعد إلى السماء، وإذا فارقت الجسد أُودعَت فى الأرض السفلى فى الهاوية، فإن عدلوا عن ذلك، قلنا: لهم قد صعد إلى[2] السماء من لم ينزل منها كإدريس ـ الذى يسمونه أخنوخ[3] ـ وتأموت الذى هو المسيح لم ينزل من السماء، فإن لم يتأولوا الخبر أخرجوه إلى الكذب.

الرابع عشر:

روى النصارى عن المسيح أنه قال: «إن إبراهيم الخليل اشتهى أن يرى يومى، فرأى وفرح، فقال له اليهود: لم يأت عليك خمسون سنة! فكيف رأيت إبراهيم؟

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء إبن الإنسان الذى هو فى السماء» (يو ٣: ١٣).

(٢) فى المخطوط: فى.

(٣) أخنوخ: اسم عبرى ومعناه: «مكرس» وهو ابن يارد وأبو متوشالح وهو السابع من آدم، وقد عاش فى طاعة الله، وعاش ثلاثمائة وخمسًا وستين سنة، وله سفر باسمه يسمى سفر أخنوخ وهو من الأسفار غير القانونية» (قاموس الكتاب المقدس ص: ٣٢).

فقال: الحق الحق أقول لكم إننى قبل إبراهيم كنت»[١].

وهذا أقوى ما يتمسك به النصارى فى ربوبية المسيح.

الجواب: يحتمل أن الله أرى إبراهيم أيام المسيح كما أرى آدم جميع أيام أولاده، أعلم إبراهيم بأحواله كما أعلم آدم بأحوال أولاده، وكما أرى موسى ما يؤول أمر بنى إسرائيل إليه على ما تشهد بذلك التوراة، وذلك بالروح المدركة لا بالعين الباصرة إذ لا بد فى ذلك من التأويل، أو نقول: إن العين الباصرة انقلبت بصيرة فصار الشهود بالبصيرة من حاسة العين، إذ لا بد فى ذلك من التأويل، وتأويله أن الله قَدّر الاصطفاء فى سابق علمه قبل إبراهيم.

وأعلم الله إبراهيم أن من ولدك من أجعله رحمة للعالمين، فاشتاق إلى رؤية هذا الولد، فكشف الله عن روحه الذكية فرأى وفرح بها، وقد خلق الله الأرواح قبل الأشباح بألفى عام، وقد قال سليمان عليه السلام فى حكمته: أنا قبل خلق الدنيا.

وقيل لسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: متى وجبت لك النبوة؟ فقال ﷺ: «كنت نبيًا وآدم منجدل فى طينته»[٢].

الخامس عشر:

وهو من الأسئلة المعضلات، روى النصارى عن يوحنا الإنجيلى أنه قال فى صدر إنجيله: «إن الكلمة صارت جسدًا وحَلَّت فينا»[٣].

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«أبوكم إبراهيم تهلّل بأن يرى يومى، فرأى وفرح. فقال له اليهود: ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم؟ قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو ٨: ٥٦ـ٥٩).

(٢) رواه أحمد فى المسند (٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨). من حديث العرباض بن سارية: «إنى عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم ـ عليه السلام ـ لمنجدل فى طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى بى، ورؤيا أمى التى رأت، وكذلك أمهات النبيين ترين». وأخرجه أيضًا ابن أبى عاصم فى السنة رقم ٤٠٩/ ٤١٠؛ وقال الألبانى: حديث صحيح، وخرجه فى السلسلة الصحيحة برقم (١٨٥٦) وله شواهد.

(٣) قد تعرضنا بالتوضيح عن هذه الجزئية فلتراجع فى (ص ٦٧).

الجواب: إن ذلك يحتمل التقديم والتأخير لفساد التعبير، فيكون الجسد الإنسانى الذى هو جسد المسيح سُمِّى كلمة، ولا مانع إذ تجدد به ما لم يكن، وقوله: «وحلَّت فينا» إشارة إلى جسده الذى صار بالتسمية كلمة، وكان يوحنا يقول: «إن الذى كفر به اليهود ونسبوه إلى الجنون شرَّفه الله وسَمّاهُ كلمة وأقام بين أظهرنا ما أقام لم يعرفوا قدره».

ويحتمل أن يكون يوحنا أشار إلى بطرس كبير التلاميذ وصلى المسيح فإنه أقام بعده بتدبيرهم بعد رفع المسيح، وكانوا يفزعون إليه على ما تشهد به سيرهم، وكأنه يقول: إن ذهبت الكلمة من بيننا فإنها لم تذهب حتى صارت جسدًا وحلَّ فينا، يريد أن تدبيرها وبركتها حاضر فى جسد نبينا، وهو بطرس.

ويحتمل أن يكون يوحنا قال: إن الكلمة أصارت جسدًا وحل فينا، فأسقطوا الهمزة عند إخراج الكلام إلى اللسان العربى من العبرانى فقد صارت وأصارت، لا يكاد يدرك فى اللسان الواحد.

أو نقول: يحتمل أن الكلمة ـ إن سلَّمنا سلامة قول يوحنا من التحريف ـ هى كلمة جبريل التى أوردها على مريم وكان بسببها حمل المسيح كما حكى لوقا فى إنجيله عن جبريل، وإذا كانت الكلمة هى كلمة جبريل اندفعت مؤنة التأويل.

السادس عشر:

حكى النصارى عن المسيح أنه قال: «كما أقام يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ فذلك ابن الإنسان يقيم فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»(١).

قلنا: قد تقدم غير مرة تكذيب هذا وأن المسيح لم يقم فى بطن الأرض سوى يوم واحد وليلتين على ما رووا على أن المسيح لم يقل: إنى أقتل وأقيم فى بطن

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق، يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى؛ لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ» (مت ١٢: ٣٩ ـ ٤١).
ولمزيد من الإيضاح والتفصيل يرجى الإطلاع على ما ترجمناه للشيخ أحمد ديدات بعنوان «ما هى آية يونان» نشر دار السلام للطبع والنشر ـ ١٢٠ ش الأزهر ـ القاهرة.

الأرض المدة المذكورة على ما زعم النصارى بل إنما قال: أن ابن الإنسان وهو الذى شُبِّه بالمسيح لا المسيح؛ لأنه لم يثبت فى الإنجيل من أوله إلى آخره تسمية المسيح بابن الإنسان[١]، وليس من أسماء الله إنسان حتى يقولوا أراد نفسه.

السابع عشر:

حكى النصارى عن المسيح أنه قال: قال داود فى مزمورٍ له يريد المسيح: «قال الرب لربى»[٢]. فهذا داود يدعوه ربه، فكيف يقولون أنه ابنه[٣].

---

(١) هذه مقولة خاطئة تمامًا من المؤلف؛ فلو أنه كلّف نفسه بقليل من الجهد والتعب لاستطاع أن يحصى ما يفوق الستون مرة جاء فيها لفظ ابن الإنسان، ولنذكر على سبيل الإحصاء المبسط لا الإجمالى بعض ما جاء فى العهد الجديد.

١ ـ إنجيل متى: ٨: ٢٠ ـ ٢٠: ١٨ ـ ٢٩: ٢.

٢ ـ إنجيل لوقا: ٥٨:٩ـ ٩: ٦ ـ ٥: ٢٤.

٣ ـ إنجيل مرقس: ٢: ١٠ ـ ١٢: ٨ ـ ٢: ٢٨.

٤ ـ إنجيل يوحنا: ١٣:٣ ـ ٥: ٢٧.

٥ ـ أعمال الرسل: ٧: ٥٦.

٦ ـ الرسالة إلى العبرانيين: ٢: ٦.

انظر لمزيد من الإيضاح فهرس الكتاب المقدس دكتور جورج يوسف ـ ص ٤٢ ـ نشر دار الثقافة.

(٢) مزمور: ١١٠: ١.

(٣) إن الارتباك ليبلغ أشُدَّه عندما تتناقض المسميات فى متن واحد فتجعل النص المترجم غريبًا بل طريفًا أحيانًا.

فالمزمور ١٠٩ «من النص الكاثوليكى المعتمد» مثلاً يبتدئ هكذا: «قال الرب لسيدى: اجلس عن يمينى..» والبديهى من متابعة الترجمة الكاثوليكية ومقارنتها مع غيرها، إن النص العبرى هو «قال يهوه لأدوناى» وإلى جانب التناقض فى هذه العبارة وما توحيه من وجود إلهين وليس إلهًا واحدًا لدى اليهود، يهوه أولهما، فإنها أعطت ترجمات تختلف عن بعضها لا أجد منها ما يفك رموز المعضلة الأساسية: إذا كان لليهود إله واحد فمن هو؟.

وتقول الترجمة العربية المعتمدة لدى البروتستانت ـ وهى التى نقلنا عنها النص ـ «قال الرب لربى» وأقل ما يقال عنها تزيد الإشكال إشكالاً: من هو الرب الذى يتكلم ومع أى رب يتكلم؟.

=

الجواب: إنا لا نُصحح هذا النقل عن داود نبى الله لأنه إنما بُعِثَ مقرِّرًا لتوحيد التوراة أسوة بغيره من الأنبياء، فالتوراة ليس فيها ما يدل على ضلال النصارى، ومتى شُهِرَ عن أحد أن للرب ربًا وللآلهة إلهًا؟! وإذا كان ذلك من الهذيان، إذ المسيح قد أشحن إنجيله بتوحيد الله تعالى وإفراده بالربوبية، فكيف يدّعى أنه رب لداود والناس ينادونه: يا ابن داود ارحمنا، فيفعل ويرضى، ويفتخر بهذا القول.

قال بعضهم: سألت حَبْرًا من أحبار اليهود عن هذا المزمور: «قال الرب لربى» فقال تفسيره عندنا بالعبرانية: قال الرب لوليّ، والرب عندنا يُطلَقُ على المعظم فى الدين، وتلا قول إبراهيم ولوط كما حكينا فيه.

الثامن عشر:

قال النصارى: قال المسيح: «إذا كان يوم القيامة أرسل ابن الإنسان ملائكته فجمعوا أصحاب الشكوك وفاء على الآثام فيُلْقُونهم فى أتون النار هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان»[1].

قالوا: أثبت تلك الملائكة إلا لله تعالى.

الجواب: هذه نسبة صحيحة لا نسبة مُلْك والدليل من الإنجيل، قال يسوع: «لا تحقروا أحدًا من هؤلاء الصغار المؤمنين فإن ملائكتهم ينظرون وجه أبى الذى فى السموات فى كل حين»[2].

= ولعل السبب فى هذه الترجمة بالذات إنها أُخذَت عن النص الإنجليزى المعتمد لكون الذين قاموا بهذه الترجمة إلى العربية هم من القساوسة والمبشرين الإنجليز والأميركيين.
وتقول الترجمة الإنجليزية المعروفة باسم الملك جيمس King James هكذا:

The Lord said unto my lord

انظر: التوراة بين الوثنية والتوحيد - سهيل ديب - دار النفائس.

(١) النص الصحيح هكذا:
«وأما بنوا الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٨: ١٢).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم إن ملائكتهم فى السماوات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السماوات» (مت ١٨: ١٠).

فقد أثبت للصغار ملائكة ولم يُرِدْ المُلْك، وأما قوله: «إن ابن الإنسان» فقد تقدم أن هذا ليس اسمًا له وإنما المراد به الشَبَه بالشهيد الذى صلبه اليهود فإنه من الحواريين، وهم عندهم أعظم من الأنبياء، وهو من خيارهم[١].

فلا يبعد أن المسيح شهد له أنه يشفع يوم القيامة ويرسل الملائكة فتلقى من آذاه وقتله فى أتون النار، وقد أثبت لحواريه الجلوس على كرسى المجد ومحاسبة بنى إسرائيل، فلعظم[٢] جُرْم اليهود يُسلط الله عليهم فى القيامة أصحاب المسيح، فشؤم قصدهم عظم إثمهم وإن لم يفوزوا به.

التاسع عشر:

قال النصارى: قال داود فى مزمورٍ له تنبيهًا على إعلام المسيح وما يجرى عليه من اليهود: «نَقَبُوا يدى، وجعلوا فى طعامى المرار، وعند عطشى سقونى خلاً، يا رب! لا تبعد نظرك عنى»[٣] فأى حجة ودلالة أوضح من هذا.

الجواب: لا نسلم أن داود تمنى بذلك المسيح بل لم يعن إلا نفسه، والكلام يُحْمَلُ على المعنى حيث أعوز حمله على اللفظ كُنى بذلك مما هو بصدده من قتال المشركين وجبابرة فلسطين، وكأنهم فى طول حروبهم فعلوا به هذه الأشياء، فمن صرفه إلى غيره عليه إقامة الدليل، ويدل على ذلك قوله: جعلوا فى طعامى المرار، والمسيح ـ على نقلهم وزعمهم ـ إنما جعلوا المرار فى الخل الذى استسقاهم إياه، فلم يقل داود عن المرار أنه فى الخل بل فى الطعام، وهم لم يطعموا المسيح شيئًا.

الثانى: أن داود مخبر بلفظ الماضى يشير إلى أنه قد وقع لرجل من أسلافه الماضيين من الأصفياء، فتألم لذلك تألم الولد البار لوالده، وعَزّى نفسه وسلاَّها فيما ابتلى به من قتال كفار زمانه، ولو سلمنا أن داود أراد الاستقبال فليس فى المزمور قتل ولا صلب ولا صفع كما نسبه النصارى لربهم فى زعمهم.

---

(١) فى المطبوعة: من خبرهم.

(٢) فى المخطوطة: فليعظم.

(٣) النص الصحيح هكذا:

«ويجعلون فى طعامى عَلْقمًا وفى عطشى يسقوننى خلاً» (مز ٦٩: ٢١).

ولو سلمنا أن داود أراد ببـعض الأمـر كله فليس فى كـلام داود ذكر المسـيح، فيحـتمل أن يكون للشبَه بالمسيح وقد صرّحَ داود أن المفـعول به عبد من عـبيد الله يستصرخ بربه ويسأل خالقه، وقد رووا عن داود أنه عنى المسيح بقوله: «قال الرب لربى اجلس عن يمـينى حتـى أجعل أعـدائك موطئ قـدميك» وإذا جـعلوا داود يخاطب المسيح بلفظ الربوبية وأن أعداءه يكونون موطئ قدميه بَطُلَ أن يكون عنى بقـوله: نَقَبوا يدى المسـيح، ويدل على ذلك قـوله: حتى أجـعل أعداءك مـوطئ قدميك، فأى موطئ كان له عليهم وهم قـد تحكموا فيه كما علمت؟! فليس المراد المسيح علـى زعمهم لأنه قُتل وصُلب وأُهيـن وغُلب، سلمنا لكن يمكن أن يكون قوله: نقبوا يدى إضـافة إلى الشبَه، وداود عبرانى اللسان فلو كان فى مـزاميره ما ينوّه بذكـر المسيح وربوبيتـه وقتله وصلبـه لكان اليهـود أحق بمعرفـته من غـيرهم لاشتغـالهم بتلاوة مزامـير داود، فإقدامـهم على ما أقدموا عليـه من طلب المسيح وعزمهم على قـتله حتى شغلهم عنه بالشبَه دليل واضح على غلط النصارى فـيما استنبطوه بعقولهم، ومزموره نقبوا يدى مكذب لبشارة جبريل التى تقدم ذكرها وما ورد بشارة جبـريل عن الله فهو مردود، وقـد أبطلنا حججهم وأجبنا عـن أسئلتهم التى عليها أصل دينهم وتأسيس شريعتهم.

* * *

الباب الثالث

فى بُطلان الاتحاد

اعلم وفقك الله تعالى إنا قبل الشروع فى إبطال مذاهبهم[١] فى الاتحاد نشرع فى حل شبهة ربما تعلقت بها أفكارهم فجعلوها وسيلة لترويج أباطيلهم وذريعة إلى تبديل أناجيلهم وهو قول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، فإن سألنى اعطيته، وإن استعاذنى لأعيذنه»[٢].

فإن قالوا: هذا شأن من أحبه أيًا كان هو فلا أقل من أن يجعل المسيح حبيبًا من أحبابه، فهو لا محالة حالٌ فى إهابه.

قلنا: الجواب، إن لأمة النبى ﷺ فى هذا الحديث وجهين:

الأول: ما ذهب إليه السادة الفقهاء رضى الله عنهم أن من اتبع الاقتداء بهذا النبى فى أقواله وأفعاله، واتبع ما جاء به فى كتابه، صار من خواص أحبابه لقوله تعالى:

﴿قُل إن كُنتُم تُحِبُّون اللهَ فاتَّبِعُونى يُحْبِبكُمُ الله ويَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُم﴾ [آل عمران: ٣١]

فهذا شأن المتقرب بالنوافل، فكيف شأن المتقرب بالفرائض، فكان لنفسه بمخالفة الهوى واتباع التقوى خير رائض، فكان لا يسمع إلا ما أذن الله تعالى فى سماعه فيكون ذاكرًا لمولاه عند استماعه، حذرًا أن يكون غافلاً[٣] فى سماعه، غافلاً فى اتباعه، فكان سمعه بمعنى أنه لا يسمع إلا به بأن يكون له ذاكرًا غير غافل، إذ بين سمعه وبين الغفلة عن مولاه أعظم حائل، وكذلك معنى كنت بصره

(١) فى المخطوطة: مذهبهم.

(٢) الحديث رواه البخارى فى كتاب الرقاق باب ٣٨، والإمام أحمد فى المسند ٦/ ٢٥٦.

(٣) غافلا: ساقطة من المطبوعة.

الذى يبصر به، فبصره جائل[١] موحد له فى جميع حـالاته، فيكون بصره بصيرة وعبرة، فلا تحل الغفلة فكره، وكذلك كـانت يده التى يبطش بها آلة لمحبوبه ورغبة فى تمام مطلوبه، فـلا يبطش إلا فى إزالة المآثم وتبطيل [المحـارم][٢]، فهو إذًا لربه خـير ذاكـر، ولمولاه أعظم شاكـر، وإنما قـال: التى يبطش بهـا لمن كان فى غـيظه ذاكرًا، فكيف يكون لمن إذا ما رضى أعطى ووالى[٣]، وكان له فى صنائع المعروف أفعالاً، ورجله التى يمشى بها فى مواطن المثوبات، ومساجد الجماعات، فلا شىء إلا فيما رضى مولاه، فذكره فى مواطن التقرب إليه أمشاه.

فإذا لاحَ نهج بِرٍّ ترانى فيه أمشى أبغى ثوابى وأجرى

فلا يسـمع ولا يبصـر، ولا يبطش، ولا يسعى إلا بذكـره، إذ ذكره فى جـميع الأحوال حالّ بفكره، إذ يسـتحيل أن تكون ذاته الشريفة حالّة فى حـواس عبيده، ولا سيما أهل تنزيهه وتوحيده.

ويؤيده قوله أيضًا عليه الصلاة والسلام [فيما يرويه عن ربه][٤]: «أنا جليس من ذكرنى» بمعنى إن ذكرى لما هو جائل فى فكره فكأنى معه حاضر غير غائب، وأكون معه فى سفره خير صاحب.

وأما ما ذهب إليـه السادة الصوفيـة، المطلعون على الحقائق، الموحـدون بصفاء سرائرهم لذات الخالق، فنقول:

اعلم وفقك الله تعالى أن أقوى الأنوار [هى] التى لا تفتـقر إلى محل يقوّمها، فالمفتقرة كالشمس لا يقوم نورها إلا بإدارة[٥] قرصها، ونورها صفة من صفاتها غير مـفارق لهـا، إذ الصفـة لا تقوم إلا بموصـوفهـا، والصفـة لا تفارق الموصـوف، والعرض لا يقوم بمحلين كـما هو المعروف، وإنما المنبسط على سطح العـالم شعاع نور صفتها، فلا ينفذ من كثـيف لأن نوره لطيف، فيطلق عليه نور الشمس حقيقة

(١) فى المخطوطة: جاعل.
(٢) ساقطة من المخطوطة.
(٣) فى المطبوعة: أطوع نوالاً.
(٤) المعكوفين وما بينهما من عمل المحقق لإكمال السياق.
(٥) فى المخطوطة: بدارة.

وإنما هو[١] نور صفتها تجلى على الخليقة[٢]، ولله المثل الأعلى والنور الأسنى، فإذا تجلى شعـاع نور توحيده على مـعالم القلوب التى اكـتسبت من نور اتبـاع الرسول وسنته المحمدية والقرب بالنوافل إلى رب البرية، تهيأت الجوارح لإشراق هذا النور الذى لا يأفل، فاضمحلت فى نوره ظلمة أفعالها البشرية وصفاتها البهيمية[٣]، فلا حكم ولا قول ولا فعل ولا حول ولا بطـش ولا سعى ولا أمر ولا نهى ولا سمع ولا بصر ولا ما يجول فى الباطن فتحدث به الفكر إلا بشعاع توحيد نوره الإلهى، فليس النور بنور توحيـده فى جميع أطواره المنطمسـة آنيته فى آنية أنواره كـالغافل الساهى المظلم الواهى.

فالشعـاع ـ الذى هذه الأفعال[٤] من آثاره ـ يُطلق عليه حـقيقة كـما يطلق على شعاع الشمس، شمس هذه الخليـقة، وذلك إطلاق سائغ يحل به العقد إذ تنزهت ذاته وصـفاته أن تحل بأحـد، وبذلك يتـضح لك معنى نسـبـة أفعـال عبـده لذاته لاضمـحلالها فى شـعاع نور صفـاته، فأطوار الخلق مظاهر لأفـعاله، مقـهورة فى أقوالها وأفعالها وسائر أحوالها بحكم اقتداره، وذلك أمر وجدانى وحكم ربانى.

قال بعضهم:

شمسُ الحقيقةِ فى سماء وجودى   بزغت عَرَفْتُ بسرّها معبودى

وقال آخر:

لولا شهود جمالكم فى ذاتى   ما كنت أرضى ساعة بحياتى

وهذا المعنى هو الذى تطلق عليـه الصوفيـة الاتحاد[٥]، لا على مـا يقـوله أهل

---

(١) فى المخطوطة: هذا.

(٢) فى المخطوطة: الحقيقة.

(٣) فى المخطوطة: إلهية.

(٤) فى المخطوطة: الأمثال.

(٥) يقول العلاّمة الجرجـانى فى موسوعته الرائعة «التعريفـات»: الاتحاد: هو تصيير الذاتين واحدة، ولا تكون إلا فى العدد من الاثنين فصاعدا، والاتحاد فى الجنس يسمى مجانسة، وفى النوع مماثلة... وقيل: الاتحاد امتزاج الشيئين وإختـلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا لاتصال نهايات الاتحاد. =

الشرك والإلحاد بأن الكلمة التى هى صفة النطق والعلم فارقت موصوفها، ونزلت فى رحم امرأة، وصارت لحمًا ودمًا، وكانت فى هذا العالم بشرًا مكرمًا.

قلت:

مُحَالٌ لا يساويه مُحَال وقولٌ فى الحقيقةِ لا يُقَالُ

وفكرٌ كاذبٌ وحديثُ زورٍ بدا منهمُ ومنشؤه الخَبَالُ

تعالى الله ما قالوه كفرٌ وذنبٌ فى العواقبِ لا يُقالُ

فها نحن نذكر فساد دعوى الاتحاد، ونحكى فيه مقالات الفرق الثلاث من النصارى: اليعاقبة، والروم، والنسطورية، فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت، وكيف تعارضوا وتناقضوا، فَنُكِرُّ على الجميع بالإبطال والإفساد فى سائر الأحوال، فنقول: إن فرقهم كثيرة، والمشهور منها ما تقدم، وعقائدهم فى الإله مختلفة، وآراؤهم فيه غير مؤتلفة، وسبب خبثهم وخلطهم أن كلامهم قد تفرع على أصل فاسد.

* * *

= وهو عند الصوفية: شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذى «لكل» موجود بالحق فيتحد به الكل، من حيث كون كل شىء موجودًا به، معدومًا بنفسه؛ لا من حيث أن له وجودًا خاصًا اتحد به فإنه محال.

والرأى الذى لا يتأتى غيره من المنصف، الرأى الحق هو ما قاله الإمام الشعرانى عن الصوفية عامة، وعن العارف محيى الدين خاصة: «ولعمرى» إن عُبّاد الأوثان لم يجرءوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى؛ فكيف يُظن بأولياء الله أن يَدّعوا الاتحاد بالحق سبحانه؛ هذا محال فى حقهم رضوان الله عليهم». . اهـ.

انظر: المنقذ من الضلال ـ الإمام الغزالى ـ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود. والتعريفات ـ الجرجانى ـ تحقيق دكتور عبد المنعم الحفنى.

الفرقة الأولى: فرقة اليعاقبة

منسوبة إلى يعقوب السروجى ـ ويسمى: البراذعى أيضًا ـ ادعت أن المسيح أصاره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنومًا واحدًا.

قالوا: لأن طبيعة اللاهوت تركبت مع طبيعة الناسوت، فالمسيح عندهم إله كله، وإنسان كله، فهو يفعل [أفعال][1] الإله وما يشبه أفعال الإنسان، وهو أقنوم واحد، والأقنوم الشخص الواحد، والأقانيم الأشخاص.

وحكاية هذا المذهب تكفى بالرد عليه؛ إذ حاصله أن الإله هو الإنسان، والإنسان هو الإله، فيقال لهم: أخبرونا عن هاتين الطبيعتين اللتين صارتا طبيعة واحدة، هل تغيرت كل واحدة عما كانت عليه قبل التركيب أم لا؟!

فإن زعمت أنهما لم يتغيرا فقد نقضوا مذهبهم ورجعوا عن قولهم إلى قول من يقول أن المسيح بعد الاتحاد كهو قبله، وسيأتى الكلام عليه.

وإن زعمت أن الطبيعتين صارتا طبيعة واحد تركبت من الأولتين فهذا تصريح بأن هذه الطبيعة لا إله ولا إنسان فلا يوصف المسيح بواحدة منهما بل هو شىء آخر عجيب غريب.

فإن زعموا أنهما كانتا قبل التركيب كاملتين لم يخرجهما عن الكمال بل بقى المسيح إلهًا كاملاً، وهو بعينه إنسان، فقد تحامقوا، أو زعموا أن القديم صار بعينه الحادث، وأن الزمنى صار بعينه الأزلى بمثابة قول القائل الحركة هى السكون، والسواد هو البياض، وذلك مردود بوجوه:

واحدها: قال المسيح فى الإنجيل: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم».

ففرق بين الذاهب والذى يذهب إليه، فبَطُلَ اتحادهما، وإلا اتحد الذاهب والمذهوب إليه، والداعى والمدعو له، ودعاء المسيح نفسه محال.

الوجه الثانى: إن طبع الإله والإنسان صار واحدًا، والإله خالق، والإنسان

(١) ساقطة من المخطوطة.

مخلوق، فطبع الخالق هو طبع المخلوق، وطبع العلة هو طبع المعلول، وذلك محال.

الوجه الثالث: إن كان جوهر الأزلى قد تغير وأقنومه قد تغير فقد صار الأزلى زمنيًا والزمنى أزليًا، وذلك جهل من قائله، فقد بطلت فائدة الاتحاد التى تدعيها النصارى لأن فائدته عندهم أن يقع الفيض من الطبيعة اللاهوتية على الناسوتية بحلولها فيه، فإن كانت الطبيعتان انقلبتا إلى ثالثة فلا المفيد يبقى مفيدًا ولا المستفيد يبقى مستفيدًا!.

الوجه الرابع: إن كان الجوهران والأقنومان سليمان فى المسيح لم يصدق قول من يقول: إنهما صارا واحدًا بالعدد، وكيف يقال فى الكثرة أنها واحد فى الجهة التى هى كثرة، وكيف يقال فى الواحد أنه كثرة فى الجهة التى هو فيها واحد؟! وإن كان هما والأقنومان[1] تفاسدا، فكان ينبغى أن لا يوجد المسيح بل يُعْدم ويتلاشى.

الوجه الخامس: إن كان الجوهران قد صارا واحدًا بالعدد فيجب أن يبطل فعل هذا وفعل هذا، لأن مختلفى الطباع إذا تركب منهم طبع آخر لم يَبن فعل الأول ولا الثانى، فيجب أن لا يظهر للمسيح فعل لاهوتى ولا ناسوتى، ألا ترى أن الاستقصآت الأربع إذا تركب عنها جسم فذلك الجسم ليس بنار محضة ولا هواء ولا ماء ولا تراب فيكون المسيح لا إله ولا إنسان فيرتفع عنه الاتحاد.

الوجه السادس: مُصرّح بأن المسيح كان يتزايد أولاً فأول فى بنيته ومعارفه وعلومه، والمتزايد غير الكامل، فبطل أن يكون شيئًا واحدًا؛ لأن الإله لا ينقلب ولا يتغير ولا يستحيل ولا يزيد.

فإذا قلتم: صار واحدًا، فقد انقلب وتغير، فيصير غير المنقلب منقلبًا، وغير المستحيل مستحيلاً، فإذا انقلبت الكلمة فمن قلبها؟!

ثم جوهر الإله ـ على زعم النصارى ـ لا مائت[2] ولا فاسد، وذلك خبط

(١) فى المخطوطة: القنومان.

(٢) مائت من الموت؛ كقولك ليل لائل: يؤخذ له من لفظه ما يؤكد به». . اهـ.
(انظر: لسان العرب ـ لابن منظور ـ مادة موت).

وجهل، وإنه لقبيح بموجد أوجده خالقه - بعد أن لم يكن - أن نقول أنه صار هو وموجده وخالقه شيئًا واحدًا وطبيعة واحدة، ولا يصح أن يقال الخالق البارئ المصور أفاض على عبده النعماء، وقد قال بولس فى آخر رسالته العاشرة: «الله رب العالمين الذى لا يَفْسد ولا يُرى هو الله الأحد له الكرامة والحمد إلى أبد الآباد جل وعلا»[1].

الوجه السابع: صيرورة الجوهرين المتنافين كالثلج والنار واحدًا مستحيل ببداهة العقول مع اشتراكهما فى أصل الجوهرية، فصيرورة خالق الجوهر مع الجوهر أولى بالاستحالة.

الوجه الثامن: قال شمعون الصفا: «يا رجال بنى إسرائيل! إن يسوع رجل جاءكم من الله» فشهد شمعون - وهو رئيس أصحاب المسيح - بأن يسوع رجل، وأن الله أرسله، وأنه إنسان كله، وذلك تكذيب لليعقوبية.

سئل المسيح عن يوم القيامة فقال: لا يعرف ذلك إلا الآب وحده فأما الابن فلا يعرفها. وقول المسيح أولى بالتصديق، فقد أخبر أنه لا يعرف المغيبات، ولو كان قد صار مع الله شيئًا واحدًا لعلم ما يعلمه الله؛ لأن الشيء الواحد لا يمكن أن يثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن البعض فبطل، أن يكونا شيئًا واحدًا.

الوجه التاسع: الأناجيل الأربعة تذكر أن المسيح بكى على صديقه العازر، وفرح بتوبة التائب، وأكل فى دعوات أصحابه وشرب، وركب الأتان، وتعب من وعر الطريق، وحزن من نزول الموت، وقال: «إلهى اصرف عنى هذا الكأس» وهذه النقائص قبيح إضافتها إلى الأزلى، فبطل أن يكونا شيئًا واحدًا.

الوجه العاشر: لو كان قد صار الجوهران شيئًا واحدًا للزم أن يكون القديم هو الحادث من الوجه الذى هو قديم، والحادث هو القديم من الوجه الذى هو محدث، فبطل أن يكونا شيئًا واحدًا.

فهذه الوجوه العشرة قاضية بفساد ما ذهب إليه اليعاقبة.

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«الذى وحده له عدم الموت ساكنًا فى نور لا يُدْنى منه، الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الأبدية آمين» (أتيمو ٦ :١٦).

الفرقة الثانية: فرقة المكانية

ومذهبها أن المسيح بعد الاتحاد جوهران، وهو أقنوم واحد، وقد تقدم أن الأقنوم الشخص، قالوا: فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الآب، وبطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة داود وإبراهيم غير أنه أقنوم واحد، فردوا الاتحاد إلى الأقنوم إذ رأوه مستحيلاً بالنسبة إلى الجوهر.

فيقال: إذا قلتم أن المسيح بعد الاتحاد باقٍ على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد؛ إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحدًا، فإذا كان جوهر الأزلى باقيًا نفسه آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة.

الوجه الثانى: أن يقال لهم: أتقولون أن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازًا، فإن قالوا: إن ذلك تجوزًا وتوسعًا، أبطلوا الاتحاد وتجوزوا بإطلاق ما لا يجوز إطلاقه على القديم سبحانه وتعالى، وإن قالوا: إنه اتحد حقيقة لزمهم أن يكون مشيئتهما واحدة؛ لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة، إذ لو كان للواحد مشيئتان للزم إما أن يكونا متماثلتين أو مختلفتين، فإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما، فثبت أنه لا بد من إبطال أحد المشيئتين إن كان الاتحاد حقيقة أو إبطال الاتحاد جملة أن ثبتت المشيئتان.

الوجه الثالث: على الروم أصحاب الجوهرية والأقنوم الواحد هو أن يقال لهم: إن قلتم: إن الأقنومين - الأقنوم الأزلى والأقنوم الإنسانى - قد صارا واحدًا، فالجوهران أيضًا قد صارا واحدًا، والقول بصيرورة الجوهرين واحد باطل.

الوجه الرابع: هذه المذاهب فيها قباحة وذلك أن صيرورة الجوهرين مختلفى الطباع شخصًا واحدًا أى أقنومًا لا يقوله عاقل، إذ يلزم عليه أن يشار إلى المسيح بأنه قديم ومحدث بإشارة واحدة.

الوجه الخامس: إن كان أقنوما المسيح [والأزلى][1] قد صارا أقنومًا واحدًا،

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

فأحـدهما زمنى والآخـر أزلى فقد صـار الأزلى زمنيًا والزمنى أزليًا أو صار منهـما شىء آخر لا أزلى ولا زمنى، وذلك محـال، وعلى هذا يبطل فعل أقنوم الإنسان: وهو الأكل والشرب وغـيره، وقد وُصِفَ المسيح بـذلك، ويبطل فعل أقنوم الإله: وهو إحياء الميت وتطهير الأبرص، وقد وُصِفَ به المسيح.

الوجه السادس: إن كان الأقنومـان قد صارا أقنومًا واحدًا مـا تنافى طباعهـما، فهذا إنما يتم بالامتزاج والاختلاط فيلزم أن يتـغير الإله ويستحيل مع طبع الإنسان، وذلك متـعذر على ذات البارى تعالى، وأكـثر الوجوه الواردة على الفـرقة الأولى واردة على الفرقة الثانية لقولهما باتحاد الأقنوم.

* * *

الفرقة الثالثة: فرقة النسطورية [١]

وهم نصارى المشرق المنسوبين إلى نسطورس، أخذوا الأمانة عن المسيح[٢] ما روى عن توما: ساعدوا نسطورس على رأيه ونسبوه إليه، ومذهبه: أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنومان باقيان على طباعهما كما كان قبل الاتحاد إلى خاص البنوة وهو علم البارى، قالوا: هذا الشخص المأخوذ من السيد شارك الله فى هذه الخاصة فصار بها ابنًا وشريكًا ومسيحًا.

وسبيل الرد عليهم أن يقال: إذا قلت أن الجوهرين باقيان والأقنومين باقيان فلا موقع للاتحاد وصار اسمًا ساذجًا لا ثمرة له ولا فائدة.

الوجه الثانى: أن يقال: كان المسيح أقنومين مكذّب بالحس، وذلك أن الذى يراه كل ذى بصر صحيح من المسيح إنما هو شخص واحد، وتكذيب أصدق الحواس وهو البصر لا سبيل إليه.

---

(١) تنسب هذه الفرقة إلى «نسطوريوس» الذى وُلد فى ضواحى «مرعش» فى الربع الأخير من القرن الرابع من أبوين سوريين أو فارسين، ودرس اليونانية ومبادىء العلوم فى «مرعش»، وانتقل منها إلى أنطاكيه، ثم سمى كاهنًا وكلف بتفسير الأسفار المقدسة، وقد ظهر «نسطور» فى زمان المأمون وتصرف فى الأناجيل بحكم رأيه. . . وقال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هى هى، واتحدت الكلمة بجسد عيسى ـ عليه السلام ـ لا على طريق الاقتراح كما قالت الملكانية؛ ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية؛ ولكن كإشراق الشمس فى كوّة على بلورة وكظهور النقش فى الشمع إذا طُبع الخاتم.
وأما قولهم: فى القتل والصلب فيخالف قول الملكانية واليعقوبية؛ قالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام.
ومن النسطورية من ينفى التشبيه ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية. . اهـ.
(انظر: اسد رستم «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» ج١. والملل والنحل ـ الشهرستانى ص ٢٢٥).

(٢) فى المخطوط: البلخ.

الوجه الثالث: يقال لهم: القول بأن المسيح أقنومان مكذب بالحس، وذلك أن الذى يراه كل ذى بصر من المسيح إنما هو أقنوم واحد، والقول أنه أقنومان يفتح باب السفسطة ويشكل فى الضروريات، والقول به باطل، فمن زعم أن المسيح كان شخصين لم يسلم من خبال فى عقله.

الوجه الرابع: القول بأنه أقنومان مكذب بأقوال حملة الإنجيل الذين كانوا قبل صدور هذا الخلاف فإنهم يشهدون أن المسيح ابن داود بن إبراهيم، وأنه ولد فى بيت لحم، وأنه أكل وشرب وفرح وحزن، وأنه كان شخصًا واحدًا غير متعدد، فالقول بأنه شخصان مردود بأقوال أعرف الناس به.

وقد قال بطرس ـ صاحب المسيح ـ فى كتاب فراكسين(1): «يا بنى إسرائيل إن يسوع الناصرى رجل جاء من الله ، وأن الله مسحه بروح القدس وبالقوة الإلهية»(2).

فشهد بطرس ـ المؤتمن عند النصارى ـ بأنه شخص واحد، فمن قال إنه شخصان فقد خطأ بطرس وجهّله ومن جهله فهو بالجهل منه أولى وأحق.

الوجه الخامس: قال بولس ـ الذى يسمونه بولس الرسول ـ: «واحد هو الله، واحد هو المتوسط بين الله والناس»(3).

فشهد بأن المسيح شىء واحد وأنه غير الله الواحد.

وقال أيضًا: «إن رب جميع الشعوب واحد غنى متسع لكل من يدعوه، وكل من يدعو باسم الرب يحيا، ولكن كيف يدعوه من لم يؤمن به»(4).

---

(١) بحثنا فى قاموس الكتاب المقدس، ودائره المعارف الكتابية، فلم نعثر على هذه اللفظة، ولكن من المعروف أن بطرس له رسالتان باسمه فى العهد الجديد.
وكلمة فراكسين تعنى سفر أعمال الرسل.

(٢) النص الصحيح هكذا:
«يسوع الذى من الناصرة، كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة. . .» (أع ١٠ :٣٨).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (آتى ٢ :٥).

(٤) النص المقارب لهذا المقطع وجدناه هكذا:
«وأيضًا سبحوا الرب يا جميع الأمم، وامدحوه يا جميع الشعوب» (رو ١٥ :١١).

الوجه السادس: يقال لهم: إن كان المسيح شخصين فلا يخلو من أن يكونا متجاورين، فيلزم منه أن يكون أقنوم الإله مزروعًا ممسوحًا له قدر وكمية، إذ كل شيئين تحاذيا فلا بد أن يكونا متساوين أو متفاوتين، فإن كانا متساويين فقد ساوى الأقنوم الإلهى الأقنوم الإنسانى، وذلك محال.

وإن كانا متفاوتين، فإن كان الأقنوم اللاهوتى أصغر لم يصلح للربوبية، وإن كان أكبر فقد أخذ الأقنوم الإنسانى بعضه بالمسامتة والمحاذاة، والقدر الزائد منه على الأقنوم الإنسانى يعود إليه التقسيم، فإن كان مساويًا للأقنوم الإنسانى فقد ساوى الخالق والمخلوق، وإن كان أصغر لم يصلح، وإن كان أكبر فقد ساوى الأقنوم الإنسانى بعض الأكبر، والقدر الزائد يعود إليه التقسيم، وذلك يقضى بالكمية على الأقنوم اللاهوتى وهو محال.

وإن كانا متداخلين فلا يخلوا إما أن يتداخلا تداخل امتزاج أو تداخل إدّراع كلابس الدرع، فإن تداخلا تداخل امتزاج حتى صارا طبيعة واحدة فهذا مذهب اليعقوبية، وقد أبطلناه، وإن تداخلا تداخل إدّراع فيلزم أن يكون الأقنوم الأزلى الذى لا يوصف بالجسم قد تشكل تشكل الأجسام وصار له لحية وفرج مُسَامِت لما تشكل به من أقنوم الإنسان، وذلك محال.

الوجه السابع: الإنجيل يشهد أن المسيح رَفَعَ وجهه إلى جهة السماء وابتهل فى الدعاء، وقال: إنما أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلم أنك أرسلتنى، فهذا الداعى المبتهل لا يخلو من أن يكون الأقنوم اللاهوتى أو الأقنوم الإنسانى، فإن كان الأقنوم الإنسانى فيلزم منه أن يكون الجسد مولودًا من الآب مرسلاً منه، وهذا ما لا يقول به نصرانى ألبتَّة؛ لأن المولود من الآب إنما هو عند سائرهم: الكلمة.

وإن كان الداعى هو الأقنوم الإلهى فهذا فيه تدليس عظيم إذ المشاهد داعيًا إنما هو الجسد المشاهد بائلاً متغوطًا.

الوجه الثامن: هذا المذهب مردود، يقول يوحنا الإنجيلى فى كتابه: «إن الكلمة صارت جسدًا وحلَّ فينا» وذلك عند النصارى عبارة عن انقلاب الأقنوم الإلهى إنسانًا مسيحًا، فكيف يقول النسطور[يين][1] إن المسيح أقنومان اثنان، ويوحنا يقول

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل.

إنه واحد؟!

الوجه التاسع: لا شك أن طائفتا النسطوران والروم يطلقون اللعن على طائفة اليعاقبة لقولهم: إن طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت قد صارتا طبيعة واحدة بالاتحاد.

فمن قال إن المسيح اثنان فى العدد بعد كونه واحدًا فهو أحق بالذم واللعن، ومما يُرَدّ به على الفرق الثلاث ويبطل دعوى الاتحاد قول بولس فى الرسالة الرابعة: «أو لستم تعلمون وتوقنون بأن يسوع المسيح حالٌ فيكم، ولئن لم يكن حالاً فيكم إنكم لمرذولون، وأنا أرجو أنكم لستم مرذولين»[1].

فيجب على قول بولس أن يكون اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح كاتحاد المسيح بناسوت أمته ومتبعيه، ولئن كان من المستحيل أن يتحد جسد المسيح بأجساد آلاف من النصارى من أقطار الأرض فاتحاد القديم جل جلاله بجسد المسيح أولى بالاستحالة.

* * *

(١) بحثنا فى مظان وجود النص فى الرسالة الرابعة لبولس وهى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا:
«أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم» (اكو ٦ :١٩).

القول فى إبطال التثليث

اعلم أن النصارى مُجْمِعُون على الشالوث وهو أن ربهم آب وابن وروح القدس، فيعبرون بالآب عن الذات، وبالابن عن النطق الذى هو الكلام، وبالروح عن الحياة، ويزعمون أنه لا يصح لأحد توحيد دون أن يعتقد هذا، ويزعمون أن الآب جوهر وأن له حياة وصفة نطق، قالوا: فلا يكون الإله فاعلاً حكيمًا إلا بعد كونه حيًا ناطقًا.

فهل الحياة والنطق ذوات أو صفات؟ اختلف فيه أكابرهم؛ فمنهم من قال: إن الحياة والنطق صفات لجوهر الآب، ومنهم من قال: بل هى ذوات بأنفسها، ومنهم من قال: بل هى خواص لذلك الجوهر.

وطريق البحث معهم فى ذلك أن يقال لهم: هل تنسبون اللاهوتية لكل واحد من الأقانيم الثلاثة، أم تزعمون أن الجميع واحد أو تقولون أن الإله واحد من الثلاثة، والباقى صفات له؟ فقد أبطلتم القول بالثالوث ووافقتمونا على قولنا بأن الإله واحد، وله من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وأن شيئًا من هذه الصفات ليست إلهًا وإنما الإله ذات موصوفة بهذه الصفات، وفارقتم حينئذٍ مشايخ الأمانة إذ يقولون إن الآب إله واحد وأن الابن إله واحد، وأن روح القدس إله ثالث، وأفسدتم صلاتكم حيث تقرءون فيها: إن الملائكة يمجدونك، وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة.

وإن زعمتم أن الجميع إله واحد وأن واحدًا من الثلاثة ليس بإله على انفراده فقد تركتم القول بالتثليث وعبدتم إلهًا مركبًا من ثلاثة أقانيم، وهذا مفسد لما انطوت عليه الأمانة من أن كل واحد من الآب والابن والروح إله مستقل باللاهوتية، وهدمتم أصل النصرانية، إذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتحد بالناسوت، وإذا كان الإله عبارة عن الثلاثة فالآب والروح ما اتحدا بالناسوت وإنما اتحد بهما الابن الذى هو العِلْم والنطق، فإذًا ما اتحد الإله بل أحد الأقانيم الثلاثة، وذلك عند تجرده لا يسمى إلهًا.

وفى الأمانة: أن المسيح إله حق، وأنه أتقن العوالم بيده، وخلق[١] كل شىء، وأنه نزل من السماء لخلاص الناس. وذلك مما يبطل هذا القسم؛ لأن الذى نزل إنما هو - فى زعمكم - أقنوم الابن، فإذا كان الإله هو مجموع الثلاثة بَطُل أن يكون الابن هو خالق الأشياء متقن العوالم ومخلّص الناس، إذ لا يوصف بتلك إلا الإله الذى هو مجموع الثلاثة: الآب والابن والروح القدس.

وإن زعموا أن كل واحد من الأقانيم إله ومجموعها إله واحد، قلنا لهم: كل واحد من الثلاثة إله حقيقة أو تجوزًا أو توسعًا وأن الإله الحقيقى هو مجموعها.

فإن قالوا: بهذا وصرفوه إلى مجرد التسمية دون الحقيقة تركوا القول بالثالوث وأثبتوا إلهًا واحدًا له صفات، ثم سموا صفاته آلهة تحكمًا وتخرصًا[٢] به بغير توقف ولا دلالة، وهدموا قول الأمانة أن المسيح إله حق، وقالوا: بل هو إله تجوزًا، وأبطلوا عبادة المسيح حيث يقولون فى صلاتهم: إلهنا، وردوا قول مشايخ الأمانة، إذ يقولون: إن المسيح هو الإله الحق لا إله بالتسمية والتجوز.

وهذا الإله الحقيقى لم يتحد بجسد المسيح بل ما اتحد به إلا أقنوم واحد قد

(١) يقصد المؤلف - رحمه الله - بالأمانة قانون الإيمان الذى صدر فى نيقية عام (٣٢٥ ميلادية) وهذا هو نصه كاملاً فى نسخة الكاثوليك:

«نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق كل الأشياء، ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الآب المولود الوحيد أى من جوهر الآب. إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق. مولود وغير مخلوق مساوٍ للآب فى الجوهر الذى به كان كل شىء فى السماء وعلى الأرض، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم ومات وقام أيضًا فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيأتى من هناك ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس، وأما الذين يقولون أنه كان زمان لم يوجد فيه، وأنه لم يكن له وجود قبل أن يولد، وأنه خُلِقَ من العدم، أو أنه من مادة أو جوهر آخر، أو أن ابن الله مخلوق، أو أنه قابل للتغيير أو متغير، فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية».

(انظر تفصيلات مهمة فى كتاب «إيمانى» أو «قضايا المسيحية الكبرى» القس إلياس مقار ص ٦٥, ٦٦ - دار الثقافة).

(٢) التخرص: الكذب والخرّاص: الكذاب. (مختار الصحاح: باب خرص).

يسمى إلهًا على سبيل التجوز والاستعارة.

وإن زعموا أن كل واحد من الأقانيم إله كامل على الحقيقة إذا أفرد، والجميع إله واحد إذا جُمِعُوا، وبهذا القول يقولون، فهذا فى الدرجة العليا من الفساد، وذلك أنا نقول لهم: أيجوز خلو الإله عن الحياة والعلم؟!

فإن جوزوا ذلك قلنا لهم: فإذًا لا حاجة إلى الأقانيم، إذ الإله مستغنٍ عنها.

وإن قالوا: لا بد له من الحياة والعلم، قلنا: إذا قلتم أن كل واحد من الأقانيم الثلاثة إله حقيقة فلا بد له من الحياة والعلم، وحينئذٍ تصير الأقانيم تسعة، فيصير التثليث تاسوعًا إذ حياة كل واحد من الأقانيم الثلاثة وعلمه أقنومان له، ثم كل واحد من التسع أقانيم ليس بإله حقيقة، وإنما يصير إلهًا حقيقة إذا ثبت وجوده وحياته وعلمه، إذ لا يجوز خُلُو الإله عن الحياة والعلم، وحينئذٍ يتسلسل القول إلى إثبات آلهة لا نهاية لها، فهذا يُلزم من يقول أن كل واحد من الأقانيم الثلاثة له حياة وعلم.

وإن قالوا: لا يثبت هذا الوصف إلا لواحد منها، امتنع عليهم وصف الثانى والثالث بالألوهية حقيقة لما تقرر أن الإله يجب أن يكون حيًا عالمًا، وبطل عليهم القول بالثالوث على كل الوجوه. والله تعالى أعلم.

* * *

الباب الرابع

فى إبطال الأمانة وإثبات الخيانة التى هم بها متقربون وبألفاظها متبركون، وفى تناقضها وتبيين فسادها

وهى التى لا يتم لهم قربان ولا عيد إلا بها، وكيف أكذب بعضها بعضًا وناقضه وعارضه، وأنها لا أصل لها فى شرع الإنجيل.

ذكر المؤرخون وأصحاب النقل أن الباعث لأوائل النصارى على ترتيب هذه الأمانة الملقبة بالشريعة ولعن من يخالفها منهم هو أن ـ آريوس[1] أحد أوليائهم ـ كان يعتقد هو وطائفته توحيد البارى تعالى ولا يشرك معه غيره، ولا يرى فى

(١) آريوس: من أخطر أصحاب البدع التى ظهرت فى تاريخ المسيحية كلها وقد ولد آريوس فى ليبية القيروان بأفريقيا سنة ٢٧٠ ميلادية، ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية، ثم رسمه الباب بطرس بطريرك الإسكندرية شماسًا سنة ٣٠٧ م، ثم قِسًا وواعظًا.

وجل ما يجوز قوله عن مذهب آريوس: أنه كان فيما يظهر محاولة جديدة لتأكيد وحدانية الآب وتخفيض منزلة الابن والروح القدس؛ فالآب وحده فى نظر آريوس استحق لقب الإله، أما الابن فإنه لم يكن سوى إله ثانوى منخفض الرتبة والمنزلة مخلوق من العدم بإرادة الآب بَيْد أنه تميز عن سائر المخلوقات فى أنه كان صورة الله الآب فى جوهرة؛ إرادته وقدرته ومجده، والثالوث فى نظر آريوس ثلاثة فى الأقنوم ولكنهم ليسوا واحدًا إلا باتفاق المشيئات، ويعتبر آريوس أشهر وأقوى داعية إلى التوحيد المجرد فى تاريخ النصرانية، وإن كان هناك من يفوقه فى نقاء الاعتقاد ولكن آريوس كان بشهادة خصومه أنفسهم يمثل أشد أعصار عقائدى، وقد قُدّر للآريوسية أن تنتشر بعد وفاة آريوس فى سنة ٣٣٦ أكثر مما كانت أثناء حياته، وأوشك العالم أن يكون كله آريوسيًا لولا تدخل الأباطرة فى العمل على ضرب تلك العقيدة». . اهـ.

لمزيد من الاطلاع انظر:

١ـ عقائد النصارى الموحدين ـ حسنى يوسف الأطير.

٢ـ كنيسة مدينة الله ـ أسد رستم.

٣ـ موسوعة تاريخ الأقباط ـ زكى شنودة المحامى.

المسيح ما يراه النصارى بل يعتقد ثبوته ورسالته وأنه مخلوق بجسمه وروحه، ففشت مقالته فى النصرانية، فتكاتبوا، واجتمعوا بمدينة نيقية[1] عند الملك قسطنطين، وتناظروا، فشرح آريوس مقالته، فرد عليه الاكصيدروس - بطريق الأسكندرية - وشنّع مقالته عند الملك، ثم تناظروا فطال تنازعهم، فتعجب الملك من انتشار مقالاتهم وكثرة اختلافهم، وأقام لهم التبرك، وأمرهم أن يبحثوا عن القول المرضى، فاتفق رأيهم على نظم الأمانة[2] بعد أن أفسدوها، فعادت، وزادوا ونقصوا وهى:

«نؤمن بالله الواحد الآب، ضابط كل شىء، مالك كل شىء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شىء الذى من أجلنا معاشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم وصار إنسانًا، وحُبل به وولد من مريم البتول، واتجع وصلب أيام بيلاطس، ودفن وقام فى اليوم الثالث - كما هو مكتوب -، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذى يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية كاطوليكية[3]، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين».

فهذه الأمانة التى أجمع عليها اليوم سائر فرق النصارى من اليعاقبة والملكانية والنسطورية، وهى التى يزعمون أنه لا يصح ويتم لهم عيد ولا قربان إلا بها، وهى مع أنها لا أصل لها فى شرع الإنجيل ولا مأخوذة من قول المسيح ولا من

---

(١) مدينة نيقية: قال ابن الهروى: «هى من أعمال إصطينول على البر الشرقى، وهى المدينة التى اجتمع بها آباء الملة المسيحية وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر أبًا يزعمون أن المسيح - عليه السلام - كان معهم فى هذا المجمع، وهو أول المجامع لهذه الملة وبه أظهروا الأمانة التى هى أصل دينهم». . اهـ.

(معجم البلدان - ياقوت الحموى - ص ٣٣٣ - طبعه دار صادر).

(٢) فى المخطوطة: الشريعة.

(٣) الأصح كتابتة: كاثوليكية Catholic.

أقوال تلاميذه مضطربه متناقضة متهافتة، يُكذب بعضها بعضًا ويعارضه ويناقضه، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: قولهم نؤمن بالله الواحد الآب ضابط كل شيء ومالك كل شيء، صانع ما يُرى وما لا يُرى، فهذه أول الأمانة قد أثبتوا فيها الانفراد لله تعالى بالألوهية والربوبية والوحدانية، وأنه المستبدئ بالخلق والاختراع، فدخل فى هذه المخلوقات المسيح وروح القدس وغير ذلك؛ لأنهما إن كانا مرئيين كالأجسام والأعراض فالآب الواحد خالقهما، وإن كانا غير مرئيين كالعقول والأرواح فالآب خالقهما وصانعهما، وهذا كلام حسن لو ثبتوا عليه غير أنهم نقضوه على الفور.

قالوا: ونؤمن أيضًا أن مع هذا الإله الواحد المستبدء بخلق ما يُرى وما لا يُرى ربًا آخر اتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء، فشهدوا فى أولها بوحدانية الله تعالى ثم قالوا: كلاً ولكن المسيح متقن كل شيء وخالقه، وهذا غاية التناقض ومناقض لاعتقاد الماضين من أسلافهم وأكابر دينهم ومُدونِّى أناجيلهم، ولما اشتملت عليه التوراة والمزامير وسائر النبوات من توحيده تعالى وإفراده بالربوبية والألوهية.

الثانى: قولها أن يسوع المسيح ابن الله بكر الخلائق الذى ولد من أبيه بحدوث المسيح إذ لا معنى لكونه ابنه إلا تأخره عنه؛ إذ الوالد والولد لا يكونان معًا فى الوجود، وكونهما معًا مستحيل ببداهة العقول؛ لأن الآب لا يخلوا إما أن يكون وَلَد ولدًا لم يزل أو لم يكن.

فإن قالوا: ولدًا لم يزل، قلنا لهم: فما ولد شيئًا، إذ الابن لم يزل، وإن ولد شيئًا لم يكن فالولد حادث مخلوق، وذلك مكذب لأمانتهم لقول الأمانة: «إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأنه أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء».

الثالث: قولها فى المسيح: «إله حق من إله حق من جوهر[1] أبيه» يناقض قول

---

(١) «والجوهر الفرد: هو الجزء الذى لا يتجزأ بحيث لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعًا ولا كسرًا ولا وهمًا ولا فرضًا مطابقًا للواقع؛ وإلا فقد يفرض العقل المحال، ومعنى كونه حادثًا: أنه مسبوق بالعدم؛ لأنه لا معنى للحادث إلا ما كان مسبوقًا بالعدم، وجميع الأجسام متركبه منه فهى حادثة، والعالم بجميع أجزائه حادث، وهذا مذهب المسلمين. وقالت الفلاسفة: جميع الأجسام متركبة من الهيولى أى المادة كالطين بالنسبة للإبريق =

المسيح فى الإنجـيل وقد سُئِلَ عن يوم القيامـة فقال: لا أعرف ذلك ولا يعـرفه إلا الآب وحده[١].

فلو كان من جـوهر الآب لعلم ما يعلـمه الآب لكنه إنسان حق مـن إنسان حق من جوهر أبيه داود. وسُئِلَ [المسيح] عن القـيامة وكذا سائر الأنبياء فـقالوا كقول المسيح: لا يعلمها إلا الله وحده.

ولو قال قائل: إن جوهر الماء من جوهر النار، وكذا من يقول إن جسم الإنسان مركب من لحـم ودم وشعر وظفـر وأقذار وأسنان من جـوهر الإله الذى يستـحيل عليه هذه الأمور، ثم لو جاز أن يكون إله ثان من إله أول لجاز أن يكون ثالث من ثانى ولما وقف الأمر على غاية، وإذا بَطُلَ ذلـك من أصله وجب الرجوع إلى قول المسـيح وإلى قـوله فى إنجـيل مرقس: «لا صـالح إلا الله وحـده»[٢]، وإلـى أول الأمـانة: إن الله واحد صـانع كل شىء مـا يُرَى، وما لا يُرَى وهم يطلقـون لفظ الجوهر على الله، وذلك محـال؛ إذ الجوهر مفتقر فى وجـوده إلى عرض يقوم به ولا يخلو وجوده عنه، وله قدر وكمية، والقديم جل جلاله بخلاف ذلك.

الرابع: قول الأمانة أن يسوع المسـيح أتقن العوالم بيده وخلق كل شىء مناقض للإنجيل ومكذب له، إذ يقـول مَتَّى فـى إنجيـله: «هذا مـولد يسـوع المسـيح ابن داود»[٣] إذ من أتقن العـوالم وخلق كل شىء لا يكون متـأخرًا عن العـوالم وهى سابقـة له، ثم من العوالم أُمّه مريم فكيف يوصف بأنه خـالق أمّه قبل أن تلده؟!

= ومن الصورة؛ وهى عندهم جـوهر حالّ فى غيـره كالإبريقية الحـال فى الطين، وأما عندنا فهى عَرْض لا جوهر». . اهـ.

(شرح البيجورى على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم البيجورى).

(١) النص الصحيح هكذا.

«وأما ذلك اليـوم وتلك الساعـة فلا يعلم بهمـا أحد ولا الملائكة الذين فى السـماء ولا الابن إلا الآب» (مر ١٣ : ٣٢).

(٢) النص برمته ليس فى إنجيل مرقس، ولكننا وجدناه فى إنجيل متى هكذا:

«فقال له لماذا تدعونى صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله» (مت ١٩ : ١٧).

(٣) النص الصحيح هكذا:

«كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم» (مت ١ : ١).

ألم يسمعوا قول الإنجيل إن إبليس قال للمسيح: اسجد لى وأعطيك جميع العالم، وأملكك كل شىء، وإبليس يسحبه من مكان إلى مكان، ويحول بينه وبين مراده ويطمع فى تعبده له وأن يكون من جُملة أجناده، وهو بزعمهم من جملة من خلقه المسيح، فكيف يكون خالق العالم محصوراً فى يد بعض العالم؟! نعوذ بالله من طرق الضلال والغُلُو فى الرجال.

الخامس: قولها: «المسيح الإله الحق الذى نزل من السماء لخلاص العالم وتجسد من روح القدس وصار إنسانًا وحُبِلَ به وولد».

اعلم أن هذا الكلام فيه عدة مفاسد:

منها: أن المسيح اسم لا يخص الكلمة على مجردها ولا الجسد المأخوذ من مريم والكلمة ولم تكن الكلمة فى الأزل مسيحًا، فبطل أن يكون هو الذى نزل من السماء، والدليل على ذلك قولهم: وتجسد من روح القدس؛ لأنه لو كان الذى نزل من السماء المسيح لم يكن لتجسده ثانيًا معنى، وتجسد المُتجسّد محال.

ومنها: قولهم أنه نزل من السماء، فهذا الموصوف بالنزول لا يخلو أن يكون الكلمة أو الناسوت، فإن زعموا أن الذى نزل من السماء هو الناسوت، فذلك مكذب لأن ناسوته مكتسب من جسد مريم.

وإن زعموا أنه اللاهوت، قلنا لهم: أتعنون الآب أو صفة، وهى العلم؟

فإن زعموا أن الآب نزل من السماء وتجسد، لزمهم لحوق النقائص بالبارى بالأكل والشرب والقتل وحصر الشيطان وغير ذلك.

وإن زعموا أنه العلم المُعبر عنه بالكلمة، قلنا لهم: لو جاز تجسده لجاز بقاء البارى بلا علم أو علمه قائم بغيره، وكلاهما محال، والنزول والصعود والحركة والانتقال والتفريغ والاشتغال مستحيل عليه تعالى وعلى صفاته، وإذا كان ذلك كذلك بطل أن يكون النازل من السماء هو المسيح؛ لأن المسيح اسم موضوع للمعنيين ـ الكلمة والجسد ـ عندهم.

ومنها: قولهم أنه إنما نزل وتجسد وحُبل به لخلاص معشر الناس، فهم يريدون أنه لما عصى آدم أوثق سائر ذريته فى حباله الشيطان، وأوجب عليه الخلود فى

طباق النيران، فكان خلاصهم بقتل المسيح وصلبه والتنكيل به، فإنها دعوى لا دلالة عليها، فَهب أنا سلمنا لهم فأخبرونا عن هذا الخلاص الذى تَعَنَّى الإله الرب الأزلى وفعل بنفسه ما فعل مما جرى عليه بزعمكم ما هو، وممن خلصكم، وبم خلصكم، وكيف استقل بخلاصكم دون الآب والروح والربوبية بينهم أثلاثًا، وكيف ابتذل وامتهن فى خلاصكم دون الآب والروح؟! فهذه عدة أسئلة.

فإن زعموا أن الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها وموتها أكذبهم الحس؛ فإنا نراهم ولا مَزِيّة لهم على البشر، وإن كان من هموم السعى فى طلب الرزق والتكسب والعيال والتبذل فى تحصيل ضرورات العيش أكذبهم الحس أيضًا، وإن كان من تكاليف الشرع وإنهم قد حَطّ عنهم الصوم والصلاة وسائر وظائف التكاليف وأنهم غير مؤاخذين بشىء منها أكذبهم المسيح والحواريون بما وصفوه عليهم من الصوم والصلاة والقرابين وغير ذلك.

وإن زعموا أنهم قد خلصوا من أحكام الدار الآخرة، وأن من تعاطى من الدنيا جريرة[1] فزنى منهم وسرق وقتل لا يؤاخذ يوم القيامة بشىء من ذلك أكذبهم الإنجيل والأنبياء؛ إذ يقول المسيح فى الإنجيل: «إنى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى، فأقول لأهل اليمين: فعلتم كذا وكذا فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا، وأقول لأهل الشمال: فعلتم كذا وكذا فاذهبوا إلى العذاب المعد لكم قبل تأسيس العالم»[2].

وإذا كان هذا حالكم فى الدنيا والآخرة فأين الخلاص الذى تدَّعون أن الإله تَعَنَّى ونزل من السماء إلى الأرض، وأكل وشرب، وخامرته الهموم والغموم،

(١) فى المخطوطة: جريمة.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم». (مت ٢٥: ٣١ـ٣٣).

وذاق الموت ليخلصكم، وسميتموه مخلّص العالم؟!

وإذا لم يحصل لكم التخليص بطلت الأمانة وبقيتم منكوسين على ما كنتم عليه قبل مجيئه، فأخبرونا ممّ خلصكم؟

هل كان غلبه عليكم غالب أو سلبكم منه سالبًا؟! فإن قلتم: قد كان له عدو مناصب استولى على مملكته شرقًا وغربًا وملأها جندًا وحربًا، فذلك العدو أعظم منه مملكة وأنفذ قدرة فهو حينئذٍ أحق بالبلاد والعباد، فقد خاطر ربكم فى مقاومة هذا العدو إذ رام من هو أثبت منه جُنانًا وأعز أركانًا وأرقى مكانًا وأكثر أعونًا.

ثم أخبرونا بم خلصكم؟! فإن زعموا أنه نزل إلى الأرض، وربط الشيطان، واستنقذهم من يده، وأهانه ونكَّل به غاية التنكيل، وعاقبه أشد العقوبة، فلعمرى فهذا حقيق أن يُعْبد ويُفْزع إليه فى النوازل ويُقْصد، وإن زعموا أن العكس هو الواقع وأن المسيح الرب الذى تعبدونه نزل من السماء إلى الأرض يروم[1] خلاصكم، فسكن فى إهاب امرأة بين فرث ودم، فقلب الأمر بطنًا وظهرًا، يُقْدِم تارة ويُحْجِم أخرى، ثم استعار منها صورة إنسان وأخفى نفسه فيها غاية الإمكان، فكان يفر من الناصرة إلى الجليل[2]، والشيطان يطلبه ويرقبه، ويسحبه ويجربه، والمسيح يتباعد عنه ولا يقربه، ولما رآه الشيطان أعمل مطايا الحذار، وآثر الاستتار بالجدار، ووكل به شرذمة قليلة من أتباعه فأوسعوه ضربًا، وقتلوه صلبًا، فقد كذبوا وكذبت أمانتهم فى دعوى الخلاص.

السادس: قول الأمانة: «وتجسد من روح القدس» وذلك باطل بنص الإنجيل، إذ يقول متَّى فى الفصل الثانى من الإنجيل: «إن يوحنا المعمدانى حين عمّد المسيح

---

(١) يروم: رام الشىء طلبه أى يطلب خلاصكم.

(٢) الجليل: جبل الجليل فى ساحل الشام؛ ممتد إلى قرب حمص، كان معاوية يحبس فى موضع منه من يظفر به ممن يُنْبَز بقتل عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ. وقال ابن الفقيه: وكان منزل نوح ـ عليه السلام ـ فى جبل الجليل بالقرب من حمص فى قرية تدعى سحر، ويقال: إن بها فار التنور، وهو جبل يقبل من الحجاز، فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان بالأردن: فهو جبل الجليل».. اهـ.
(معجم البلدان ـ ياقوت الحموى ص ١٥٨ـ طبعة دار صادر).

جاءت روح القدس إليه من السماء فى صفة حمامة»[١].

وذلك بعد ثلاثين سنة من عمره، فبطل أن يكون متجسدًا من روح القدس، وكذبت الأمانة، ثم المتجسد من الشىء إنما يصح لو كان من جنسه كالماء مع النار، والنار مع النار، ولا تجانس بين الإله والإنسان، وبين القديم والحادث.

السابع: ادعى النصارى جميعهم أن المسيح تجسد من روح القدس، فإن كانت الأمانة صحيحة فالمسيح ابن روح القدس وليس هو ابن الله، فقد تناقض اعتقادهم مع الأمانة إذ فى صحة أحدهما بطلان الآخر.

الثامن: قول الأمانة: «إن المسيح نزل من السماء، وحَبَلت به امرأة، وسكن رحمها» مكذب بقول لوقا الإنجيلى إذ يقول فى قصص الحواريين فى الفصل الرابع عشر منه: «إن الله هو خالق العالم بما فيه، وهو رب السماء والأرض، لا يسكن الهياكل، ولا تناله أيدى الرجال، ولا يحتاج إلى شىء من الأشياء لأنه هو الذى أعطى الناس الحياة، فوجودنا به، وحياتنا وحركاتنا منه»[٢].

فقد شهد لوقا بأن البارى وصفاته لا يسكن الهياكل ولا تناله أيدى الرجال، وقد ادعت الأمانة أن الكلمة سكنت فى هيكل مريم، وتحولت إلى هيكل المسيح وصُلْبه، إذ يقول لوقا إن البارى لا تناله أيدى الرجال، وشهد أن المسيح مخلوق لأنه من جملة العالم الذى خلقه الله تعالى، فكذبت الأمانة فى دعواها أنه إله خالق غير مخلوق.

وقد شهد بولس أن المسيح عبد الله وأنه إلهه وربه، وقال فى صدر رسالته الخامسة: «إنى قد سمعت رسالتكم، لست أفتر من الدعاء لكم فى صلاتى أن يكون إله سيدى يسوع المسيح الآب المجيد يعطيكم روح الحكمة والبيان ويثبت

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له؛ فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة» (مت ٣:١٦).

(٢) لم نعثر على هذا النص أو ما يَقْربُ منه فى إنجيل لوقا، ولكننا وجدنا قريب من معناه فى سفر أعمال الرسل هكذا:

«لكن العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى...» (اع ٧:٤٨).

عيون قلوبكم»[١].

فهذا بولس ـ المؤتمن عندهم ـ يشهد بأن الله هو إله المسيح، وذلك مُبطل لأمانتهم، وقول بولس موافق لقول المسيح: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم» وقال أيضًا: «إن إلهى أعظم منى» وقال حملة الإنجيل إن المسيح قال فى آخر كلامه: «إلهى، إلهى، لِمَ تركتنى» وقال بولس إن المسيح مؤتمن عند خالقه، فحكم بأنه إنسان مخلوق.

فالأواخر يقولون إنه إله خالق، والأولون يقولون أنه عبد مخلوق مربوب سائل، وإن الله إلهه وخالقه وربه ورازقه ومعطيه كما نُقِلَ عنهم.

التاسع: تسمية يسوع بالمسيح[٢] تستدعى ماسحًا مسحه وفاعلاً فعله، وإذا كان مسيحًا بمعنى ممسوح فقد ثبت بقول الأمانة أنه مصنوع ومخلوق وليس بخالق، ولم يزل بنو إسرائيل من زمن موسى يتخذون دهنًا مجموعًا من عدة أنواع من الطيب فى قرن معلق فى الهيكل تمسح به الكهنة من أرادوا تمليكه، وربما فار القرن عند دخول من يقع الاختيار على تمليكه فيكون علامة على تمليكه، وقد أثنى داود على المسيح فقال: «من أجل هذا مسحك ربك بدهن السرور أكثر مما مسح به نظراءك»[٣].

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«لا أزال شاكرًا لأجلكم ذاكرًا إياكم فى صلاتى كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته» (أف ١ :١٦ ـ١٧).

(٢) المسيح من المسح: والمسح فى الكتاب المقدس: صب الزيت أو الدهن على الشىء لتكريسه لخدمته تعالى.
وقال شمر: سمى عيسى المسيح لأنه مُسِحَ بالبركة.
وقال أبو العباس: سُمى مسيحًا؛ لأنه كان يمسح الأرض؛ أى يقطعها، وروى عن ابن عباس: أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، وقيل: سمى مسيحًا لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن.. اهـ.
(انظر قاموس الكتاب المقدس ـ د بطرس عبد الملاك ولسان العرب ـ لابن منظور).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«... من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز ٤٥ :٧).

فشهد داود بأنه ممسوح وأن الله ماسحه، وأنه مربوب وأن الله ربه، وأن له نظراء قد مُسِحُوا قبله، وذلك متناقض بقول الأمانة أن المسيح خالق غير مخلوق.

وقال داود ينوِّه على المسيح فى المزمور الخامس والأربعين: «يا من فاق الناس جمالاً لقد أفرغت الرحمة على شفاهك»[1] فبين أنه إنسان، وأنه جميل الصورة، وأن الله أفرغ الرحمة على فِيه، فلو كان المسيح هو الله أو صفة من صفاته لاتَّحد الماسح والممسوح، والقائل والمقول له، وذلك مما يفسد الأمانة ويشهد عليها بالخيانة.

العاشر: قولها: «أنه بعد أن قُتِلَ وصُلِبَ قام من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه» وذلك من الكذب الفاحش فإنه ليس أحد من القائلين ذلك صعد إلى السماء ورأى ذلك عيانًا وعاد إلى الأرض وأخبر به.

وأما كونه من الاعتقاد الفاسد فإن من جلس عن يمين شىء أو جهة من جهاته دلَّ على حدوث الشيئين جميعًا، ثم لا خلاف بينهم أن جسد يسوع حادث، فإن قالوا: إن هذا الجسد الحادث قد جلس عن يمين أبيه، فقد اعتقدوا أن البارى تعالى جسم من الأجسام، وفى ذلك ساووا حشوية اليهود الذين قالوا بأن الله تعالى فى صفة شيخ أبيض الرأس واللحية، وأنه ينزل من السماء إلى الأرض ويتردد فيها، وقد جمعوا فى هذا الموضع بين أمرين متناقضين، وهو أنهم قالوا أن المسيح إله حق خالق كل شىء، فإذا قالوا هنا أنه قُتِلَ ودُفِنَ بين الأموات فقد اعترفوا أن المخلوق قتل خالقه والمصنوع قتل صانعه.

الحادى عشر: قولها إن يسوع هذا الرب الذى صُلِبَ وقُتِلَ مستعد للمجىء تارة أخرى لفصل القضاء بين الأموات والأحياء.

للمُنكِّت عليهم أن يقول: لَمَّا تجسم أول مرة فجرى عليه من الشيطان ما جرى وما وصفتم من حزنه من الأذى والإهانة والقتل والصلب فَرَّ إلى أبيه ليستريح برهة، وتثوب إليه نفسه، ويستجم قوته، ويستنصر بالعُدَد والعَدَد من عند أبيه، ثم يأتى ثانية لمحاربة عدوه، فإما عليه وإما له.

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«أنت أبرع جمالاً من بنى البشر انسكبت النعمة على شفتيك» (مز ٤٥ : ٢).

وأما قول الأمانة أنه يعود لفصل القضـاء بين الأموات والأحياء فهو بمنزلة قول القائل:

لا ألفينَّك بَعْدَ الموتِ تندبنى   وفى حياتى ما زوَّدتنى زَادَا

إذا زعموا أنه فى المرة الأولى عـجز عن خلاص نفسه حـتى تم عليه من أعدائه ما تم فكيف يقدر على خلاصهم بجملتهم فى المرة الثانية؟!

الثانى عشر: قولها: «ونؤمن بروح القدس الذى يخرج من أبيه» فيه تصريح بأن المسيح وروح القـدس أخوان وأن الله أبوهما، إذ تقول الأمـانة أن المسيح وُلِدَ من أبيه، وأن الروح القدس يخرج من أبيه أيضًا، وذلك مُكَذَّبٌ بقول لوقا فى إنجيله؛ إذ حكى عن الملك أن الولد الذى ولدته مـريم هو من روح القدس فـى الإنجيل، وإذا كان مـنه وروح القدس من الله فى الأمـانة فقـد تناقضـا؛ فالأمانـة تجعلهـما أخـوين وُلدًا من الله تعـالى، والإنجيل يـقول: لا بَل المسـيح من روح القـدس، وذلك خَبْطٌ فقد وضح بطلان الأمانة أنه وُلِدَ قـبل الخلائق كلها وأنه بكر الخلائق كلهم، فكيف يكون قبل الخلائق وقد سبقه روح القدس؟!

الثالث عشر: قـول الأمانة: «ونؤمن بمعـمودية واحـدة لغفـران الذنوب» فيـه مناقضـة عظيمة لأصولهم، وذلك أن اعـتقاد النصـارى أنه لا تُغْفَر خطياهم بدون قتل المسـيح، ولذلك سَمّوه حَمَل الله الذى يحمل خطـايا العالم، ودَعَوه مُخَلِّص العالم من الخطيئة(١).

---

(١) من الشائع والمعروف لدى أوسـاط باحثى مقارنة الأديان والمهتـمين بدراستها أن قـضية تخليص العالم من خطاياه هى قضية ذات أصول وثنية بحتة وللدلالة على ذلك نسوق ما جاء فى بعض المصادر الأجنبية والتى أتى بها العـلامة «محمد بن طاهر التنيّر البيروتى» فى كتابه الشيق «العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية» يقول العلامة Doane فى كتابه:
Bible, Mtths and their parallels Religions
أى خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها فى الأديان الأخرى».
«والإله بوذا المولود من العذراء مـايا الذى يعبده بوذيوا الهند وغيـرهم يقولون عنه: أنه ترك الفردوس ونزل إلى الأرض وظهر بالناسوت رحمة بالناس؛ كى ينقذهم من الآثام، ويرشدهم صراطًا مستقيمًا، ويحـمل أوزارهم، ويفديهم مما يستحقونه من العذاب بأخذه عنهم ما يستحقون من القصاص». =

فإذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هى التى تغفر خطاياهم وتخلصهم من ذنوبهم فقد صرّحوا بأنه لا حاجة لقتل المسيح لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة، فإن كان التعميد كافيًا فقد اعترفوا أن وقوع القتل بعث، وإن كانت لا تحصل إلا بقتله فقد تناقضت الأمانة وكذبت فى دعوى المغفرة بالتعميد إذ كان لا بد من القتل.

الرابع عشر: قول الأمانة: «نؤمن بجماعة واحدة قدسية» يعنون من عقد لهم هذه الأمانة التى نتكلم على تناقضها وفى الإيمان بها كفر بالمسيح وردّ لأقواله وأقوال تلاميذه.

وبيانه: أن المسيح قد ملأ إنجيله بتوحيد الله تعالى وتنزيهه عن الثانى والثالث، وإفراده بالربوبية والألوهية، فقال فيه: «واحد هو الله» وقال: «إن الله لم يره أحد»[1].

وقال: «لا ينبغى لأحد أن يعبد ربين» وقال: «إلهى أنت الإله الحق الذى أرسلت يسوع المسيح»[2].

فأقواله ليس فيها ما زعموا من التثنية والتثليث مما ذكروه فى الأمانة، فمن آمن بذلك كفر بما قاله المسيح وتلاميذه؛ لأن الإيمان بالثالوث كفر بالتوحيد، ففى صدق

= وجاء فى الكتاب الهندى المدعو: «بها كافات بورون» أن كرشنا قال: «سأتجسد فى متوار بيت يا دوا، وأخرج من رحم «ريفاكى»، أولد وأموت، وقد حان الوقت لإظهار قوتى وتخليص الأرض من حملها».

ويعتقد سكان سيام بإله ولد من عذراء يدعونه الإله المخلّص» واسمه بلغتهم: «كودم».. اهـ.

ولباحثى مقارنة الأديان والمشتغلين بها يرجى اقتناء كتاب «العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية للأستاذ محمد بن طاهر التنيّر ـ تحقيق أستاذنا الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوى.

(١) النص الصحيح هكذا:
«الله لم يره أحد قط» (يو ١ :١٨).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ١٧ :٣).

أحدهما تكذيب الآخر، وكتاب الله[١] هو المصدق لأنه المنزل على نبيه المرسل.

وكان المسيح والتلاميذ يصلون لله تعالى إله إبراهيم ويتعبدون له فهل حُفظَ عنهم أو أحدهم أو من أتباعهم أنه إذا قام إلى[٢] مُصَلاه يناجي ربه يقرأ هذه الأمانة المتضمنة عبادة ثلاثة آلهة بعضها والد وبعضها مولود وبعضها روح القدس؟! فذلك أدل دليل على افتعال هذه الأمانة، وجهل من عقدها وسخريته بدين النصرانية وقصده الازدراء[٣] بهم وإبداء عوراتهم.

الخامس عشر: يقال لمن عقد هذه الأمانة: قد زعمت أن المسيح إله حق وأنه وأنه... فنحن نورد عليك نصوص كتبك وآيات صحفك وأقوال مشايخك وسلفك ونحاكمك إلى نفسك، فنقول:

قالت التوراة فى العشر كلمات: «أنا الله ربك الذى أخرجتك من مصر بيدى القوية لا يكن لك إله غيرى»[٤].

وقال: «لا تشبهونى بشىء مما فى السماء ولا مما فى الأرض ولا مما فى البحار، أنا الله إله واحد غيور، لا تتخذوا آلهة غيرى»[٥].

وذلك فى التوراة كثير، وهى مشحونة بذكر الله تعالى، وهذا تكذيب للأمانة بأن معه إلهين آخرين أحدهما إنسان من بنى آدم.

وقال إشعياء فى نبوته: «قال إله إسرائيل: أنا الأول وأنا الآخر لا إله غيرى»[٦].

---

(١) يقصد المؤلف رحمه الله: الإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام.

(٢) فى المخطوط: فى.

(٣) فى المطبوعة: الهزة.

(٤) النص الصحيح هكذا:
«ويكون لك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك لكى تكون شريعة الرب فى فمك؛ لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر» (خر ١٣: ٨).

(٥) لم أعثر على النص بلفظه ولكن النص المقارب هكذا:
«بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلوننى لنتشابه» (إش: ٤٦: ٥).

(٦) النص الصحيح هكذا:
«هكذا يقول الرب: ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله غيرى» (إش ٤٤: ٦).

وقال داود فى مزموره وهو يناجى ربه: «يا رب حين تجليت ببلاد شيمون تزلزلت الأرض من هيبتك فانفطرت انفطارًا»(١) ثم قال: «ما لك أيها البحر هاربًا مزبدًا، وأنت يا نهر الأردن ما بالك وليّت راجعًا، وما لكم أيها الجبال كالأبابل»(٢).

ثم أجاب عن ذلك بنفسه فقال: «عن هيبة الرب تزلزلت البقاع واضطربت الشوامخ».

فهذا اللائق بجلاله وعظمته وكماله لا ما وصفته به النصارى من عوائد البشر، والتعب والسهر، والانحصار فى الرحم بين فرث ودم، والقتل والصلب، تعالى الله عن ذلك، وقد تقدم من عبودية المسيح ما يغنى عن الإعادة.

فالأمانة فى الحقيقة خيانة، بها فساد دينهم، وحل عقد يقينهم، فهذا داود شبَّه المسيح بكاهن يخدم بيت المقدس، موصوف بالكمال، وما قاله جبريل فيه عن الله تعالى أنه من الناس وأن والده داود.

فإن قالوا: فقد أخبر جبريل مريم حين بشرها أن الله معها، قلنا: ليس كما ذهبتم إليه وإنما أراد بالمعية هنا المعاضدة والحفظ والكلاءة.

وقد قال لموسى وهارون: ﴿إننى معكما أسمع وأرى﴾ أى بالحفظ والنصر.

وقال لموسى: اذهب برسالتى لفرعون وأنا أكون معك.

وقال ليوشع بعد وفاة موسى: أنا أكون معك كما كنت مع عبدى موسى.

وقال فى كتابه العزيز: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلا هُوَ رَابِعهُم ولا خَمْسَةٍ إلا هُوَ سَادِسهُم﴾ [المجادلة:٧]. والنصارى يزعمون أن المسيح أقام مع الشيطان أربعين يومًا يجره من مكان إلى مكان، وأنه بذل الجزية كالمستضعفين، فكيف هو إله أتقن

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«الرب قد ملك، ترتعد الشعوب، هو جالس على الكروبيم، تتزلزل الأرض» (مز٩٩: ١).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«ما لك أيها البحر قد هربت؟ وما لك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف؟ وما لكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش وأيتها التلال مثل حملان الغنم؟» (مز ١١٤: ٥/ ٧).

العوالم؟! فهل ذلك إلا حُمق وجنون.

وسبب غلطهم فى الثالوث قول مَتَّى التلميذ: «إن المسيح عندما ودَّعهم قال: اذهبوا وعمِّدوا باسم الآب والابن والروح القدس»(١).

فإن صح ذلك فالمراد: ببركة الله ورسوله والملك المؤيد للأنبياء على تبليغ أوامر ربهم، كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

فهذه نتيجة التعميد، وهى انخراطه فى سلك المريدين المطيعين الممتثلين أوامر ربهم المستمسكين بالعروة الوثقى من أتباع نبيهم، المؤمنين بما أتى به المَلَك الآتى للأنبياء بالوحى من خالقهم.

فقوله عليه السلام: عمِّدوهم باسم الله ورسوله والآتى بالوحى منه لا يقتضى أن يكون مجموع ذلك هو المسيح بأى دلالة تدل على ذلك، فآفتهم من الفهم السقيم، فذلك كقولنا عند الأكل: بسم الله الرحمن الرحيم أى اذكروا الله ورسوله وصاحب الوحى إلى رسوله الذى هو روح القدس كما ثبت فى كتب الله تعالى المنزلة.

ومما يدل على إبطال التثليث [أن] يقال لهم: إن معبودكم ثلاثة أقانيم: الوجود والحياة والعلم، فما الدليل على الحصر فى هذا العدد؟ ولم تنكرون على من يرى أنها أربعة؟!

فإن قالوا: لا حاجة إلى ذلك، إذ أقنوم العلم فيه مندوحة على إثبات القدرة.

قلنا: لا نسلم إذ لا يلزم من حصوله حصولها، فقد يكون العالم غير قادر، إذ العلم كشف المعلوم ومعرفته على ما هو به والقدرة والاختراع والإيجاد، ولو جاز(٢) الإجزاء بالعلم عن القدرة لجاز بالحياة عن العلم، إذ لا يلزم من الحى أن يكون عالمًا فالعلم يخلفه ضده الجهل(٣)، وإذا ثبت وصفه بالقدرة فقد ثبت وصفه

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدّوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨:١٩).

(٢) فى المخطوط: جاف وهى مكررة فى نفس السطر.

(٣) فى المخطوط: العجز.

بالإرادة، إذ حظ القدرة الاختراع والإبداع والإرادة والتخصيص بالمقادير والأشكال والأزمان والأحوال، فقد بطل القول بالتثليث ووجب وصفه بصفات الكمال.

فالله تعالى واحد حى قادر سميع بصير متكلم، فهذه الصفات الزائدة نطقت بها كتب الله، وهى موجودة فى التوراة والإنجيل والزبور، فقد ثبت بطلان الأمانة وأنها الخيانة العظمى والفضيحة الكبرى.

وقلت هذه الأبيات فى الرد عليها:

بطلت أمانتهم فمن مضمونها	ظهرت خيانتها خلال سطورها
بدءوا بتوحيدِ الإلهِ وأشركوا	عيسى به فالخُلْفِ فى تعبيرها
قالوا: بأن إلههم عيسى الذى	أبدى بقدرته العوالمَ كُلّها
خلق أمّه قبل الحلولِ ببطنها	ما كان أغنى ذاته عَنْ مِثْلِها
هل كان محتاجًا لشرب لبَانها	أو أن يُربَّى فى مواطنِ حِجْرِها
جعلوه ربًا جوهرًا من جوهرٍ	ذهبوا لِما لا يرتضيه أولى النُّهى
قالوا: وجاء من السماءِ عناية	لخلاصِ آدم من لَظَاها وحَرِّها
قد تابَ آدمُ توبة مقبولة	فضلالهم جَعَلَ الفداءَ بغَيْرِهَا
لو جاءَ فى ظِلِّ الغمَامِ وَحَوْلَهُ	شرفًا ملائكةُ السماء بأسْرِهَا
وَفَدَى الذى بيديه أحكم طينه	بالعفو عن كلِّ الذنوبِ وَسَتْرِهَا
ثم اجتباهُ مُحَبَّبًا وَمُفَضَّلاً	ووقاه من غىّ النفوسِ وَشَرِّهَا
كنتم تُحِلُّونَ الإله مقامه	فيما تراه نفوسكم من شِرْكِهَا
من غير أن يحتاجَ فى تخليصه	كل الخلائق أن تبوءَ بضرِّهَا
ويشينه الأعداءُ بما لا يرتضى	من كيدها وبما دَهَى من مكْرِهَا
هذى أمانتهم وهذا شَرْحها	الله أكبر من معانى كُفْرِهَا

* * *



الباب الخامس

فى إثبات نبوته ورسالته بما أظهر من معجزاته وآياته

اعلم أن فى إثبات نبوة المسيح عليه السلام إرغامًا لليهود والنصارى معًا وذلك أنهم ارتكبوا فى شأنه تناقضًا وكانا على طرفى نقيض.

أما اليهود ـ لعنهم الله ـ فإنهم كانوا يرمونه بالكذب والسحر والنيرنجيات[1]، واستسخار الشياطين فى أغراضه. وقالوا إنه لم يحيى ميتًا قط، ولا أبرأ ذا علة وعاهة، ولكنه واطأ صديقًا يقال له ألعازر، فتماوت، ثم إنه دخل عليه فى جماعة معه، فوجد أمه تبكى، فقال لها: لا تبكى، ثم وضع يده عليه فقام، وادعى فى البلد أنه أحياه، وكانت أمه تهتف بذلك لشغفها به.

قالوا: وواطأ آخر فجلس على الطريق كأنه زمن، فلما طال مقامه وعرف بالزمانة والاستعطاء مَرَّ به فى أناس معه كأنه لا يريده، فناداه: ارحمنى يا ابن داود! فأجابه: ما الذى تريده؟ فقال: أريد أن أنهض، فأخذه بيده وأقامه، فقام، وقد تعقدت رجلاه من طول الجلوس، وكانت أمه تشيع أن يسوع أقامه. واستبعد آخرون منهم هذا فقالوا: لا، ولكن لطفت معرفته بالطب إلى أن أبرأ الأكمه والأبرص، وأقام الزُمْنَى والمخلعين.

وهم بأسرهم نسبوه[2] إلى بنوة الزنى ـ كما شهد به الإنجيل ـ إذ يقولون له فى محاوراتهم: أما نحن فلسنا من أولاد الزنى.

فإذا أثبتنا معجزاته وآياته بالطرق التى ثبتت بها معجزة النبيين قبله لم يبق للقدح فى نبوته سبيل، وكان ما يعترضون به على المسيح منعكسًا عليهم فى معجزات أنبيائهم، وكل سؤال انعكس على سائله فهو باطل من أصله.

---

(١) النيرنجات: هى حِيَل سينمائية تستهدف تحويل المعادن الخسيسة إلى أخرى ثمينة. (الرد على النصارى ـ للجاحظ تحقيق أستاذنا الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوى).

(٢) فى المطبوعة: ينسبونه.

وأما النصارى فهم مجمعون على ألوهيته واعتقاد ربوبيته، وأنه الإله الذى خلق العالم، وجبل بيديه طينة آدم، فإذا أثبتنا نبوته ورسالته عُرِفَ أن الإله غيره، وأن الرب سواه، فنثبت ذلك من كتبهم التى بأيديهم، ومن قول المسيح والتلاميذ الذين صحبوه، كما أثبتنا عبوديته.

قال يوحنا التلميذ: «قال المسيح لتلاميذه: مَنْ قَبِلَكم وآواكم فقد قَبِلنى فإنما يقبل من أرسلنى، ما من عبد أفضل من سيده»[1].

فهذا يوحنا ـ حبيب المسيح ـ يشهد أن المسيح لم يَدّع سوى الرسالة، وأن من يقبل منه فإنما يقبل عن الله الذى أرسله، ويذكر أن الله غيره، وأن الرب سواه، وأنه رسول من عند الله، وها هو مُعْتَرِفٌ بالعبودية فى قوله: «ما من عبد أفضل من سيده» وذلك موافق للفظ الكتاب العزيز إذ قال: ﴿إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

فإن زعم النصارى أنه سيد الحواريين وإنهم عبيده، وإنه عناهم بقوله: «ما من عبد أفضل من سيده» أكذبهم الإنجيل إذ يقول فيه إن الحواريين إخوته، إذ قال له قائل: إخوتك بالباب يطلبونك، فأشار إلى تلاميذه وقال: هؤلاء إخوتى.

وقال بعد قيامه: قل لإخوتى يسبقونى إلى الجليل، فقد ثبت بقوله رسالته، وأن ربه غيره، وأنه غير الله؛ إذ الرسول عبد سفير بين الله وخلقه.

فإن قالوا: نُسلم أن الله أرسله ولا غرو أن يرسل كلمته رحمة لخلقه ولطفًا بهم وذلك لما أرسل إليهم فكذبوهم بعث إليهم ابنه الذى هو كلمته فتجسدت من مريم البتول ليتهيأ الناس للسماع منها والأخذ عنها.

فنقول: هذا ترويج للأباطيل، وذكر للمستحيل، وذلك أن الكلمة قديمة أزلية لأنها إما العلم أو النطق، فكيف يصح إرسالها؟! أفتقولون أن الآب بعد إرسالها بقى أخرس جاهلاً بغير علمٍ ولا نطق.

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبدًا أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله. . .
الحق الحق أقول لكم: الذى يقبل من أرسله يقبلنى، والذى يقبلنى يقبل الذى أرسلنى»
(يو ١٣: ١٦ ـ ٢٠).

ثم إن الكلمة هى صفة العلم، فكيف تفارق الصفة ذات البارى؟! والصفة لا تفارق موصوفها، أو تقولون إن الصفة تقوم بمحلين! وأخبرونا: كيف قدر الخلائق على رؤية الكلمة القديمة وثبتوا عند مواجهتها، والتوراة تشهد أن موسى بن عمران عليه السلام لم يثبت عند جلال التجلى بل خرَّ صَعِقًا، وصار الجبل يضطرم نارًا، وكذلك السبعون شيخًا ماتوا لوقتهم عند سماع كلام الله؟! أتقولون أن موسى وصلحاء أصحابه لم يَبْلُغوا من التمكين مبلغ الحواريين الذين زعمتم أنهم شاهدوا الكلمة وخدموها؟! على أن اليهود أيضًا قد شاهدوا المسيح وقاوموه، فتقولون أن موسى ومن معه من الأشياخ لم يبلغوا من التمكين والقوة مبلغ اليهود، هذا وأنتم ترون فى التوراة أن قوم لوط لما دنوا من الباب يريدون ضيفه، بَرِقت من بعض الملائكة بارقة أغشت أبصارهم فلم يقدروا على رؤية الملائكة.

وأخبرونا: كيف إقامة الكلمة تتردد بين اليهود فى الأرض نيفًا وثلاثين سنة لا يستطيع نور يغشى الأبصار؟! وقد كلم الله موسى من صوب العَوسَجة[1] فأضاء له الوادى، وأرسل أجاب الملك الكافر خمسين ليأخذوا إليًا النبى فنزلت نار من السماء فأحرقتهم، ثم بعث آخرين فنزلت النار فأحرقتهم، ثلاث مرات، وألقى بُخْتَنَصّر[2] ثلاثة من أقارب دانيال النبى إلى السباع فلم تهجمه، وهؤلاء عبيد الله تعالى فكيف نكص عنهم الشيطان وتمكن من ربهم - على زعم النصارى - حتى أغرى به شرذمة من أخس جنده - وهم اليهود - فقتلوه وصلبوه؟!

وأخبرونا بتجسد الكلمة فتصير لحمًا ودمًا وعروقًا وشعرًا وظفرًا، أذلك شىء شاهدتموه عيانًا فساغ لكم أن تخبروا به الناس وتدعوهم إلى اعتقاده والقول به،

---

(١) العوسج: نبات شائك من الفصيلة الباذنجانية. (المعجم العربى الأساسى - طبعة لاروس).

(٢) بختنصر: الاسم الصحيح هو نبوخذ نصر كما ورد فى الكتاب المقدس وقاموسه وهو اسم بابلى معناه «نبو حامى الحدود» وهو ابن «نيوبلاسر» وخليفته فى الجلوس على عرش مدينة بابل وحكم الإمبراطورية البابلية فيما بين النهرين وسورية ما بين عامى ٦٠٥ إلى ٥٦٢ ق. م، وكان فى حياة أبيه قائدًا للجيش. . اهـ.

(انظر: قاموس الكتاب المقدس - د. بطرس عبد الملاك، ورجال الكتاب المقدس - ج ٢ - القس إلياس مقار).

فتزعمون أن الله ولد علمه، [وأن علمه][1] صار إنسانًا، وصار ولد الإنسان إلهًا خالقًا، وأن ذلك الإله قتله خلقه وصلبوه ونكلّوا به، فكيف تساعدون على هذه الخرافات التى لا يرضاها المغفلون ولا من به حُمْق وجنون؟!

فإن كانت الكلمة هى المسيح والمسيح هو الكلمة أفتصفون الكلمة بأنها كانت بائلة غائطة؟!

فإن قالوا البائل الغائط الناسوت أبطلوا الاتحاد وخالفوا يوحنا الإنجيلى الذى زعم أن الكلمة صارت جسدًا وحلَّت فى الناسوت وكذبوا بولس فى قوله: «إن المسيح ابتاعنا من لعنة الخطيئة بصلبه وصار لعنة بدلنا» وسفَّهوا أفريم فى قوله: «إن اليدين اللتين جبلت طينة آدم هى التى سُمِّرَت بالمسامير».

وقد نقل عن أكابرهم أنهم قالوا: إن من لم يقل أن مريم والدة الله تعالى فهو محروم من ولاية الله تعالى. وهم يقرءون فى صلاتهم: يا والدة الله افتحى لنا أبواب الرحمة يا من سُمِّرَت يداه بالمسامير على الصليب لا تضيع من خلقت بيديك. فإذا كان هذا اعتقادهم فقد اعترفوا أن الآكل الشارب البائل الغائط المقتول المصلوب هو الله، تعالى الله عن كفرهم عُلوًا كبيرًا.

فإن قالوا: هذا لازم لكم معنا فإنكم تقولون إن المسيح كلمة الله تعالى كما نطق به قرآنكم، قلنا لسنا سواء، فإنا نقول إن الله شرفه بتسمية سماه بها كما سمى إبراهيم الخليل خليلاً وموسى كليمًا وإسرائيل ابنًا بكرًا وموسى رجل الله، وعصاه قضيب الرب، وقبة الزمان خباء الله، كل ذلك قد نطقت به كتبكم.

والتسميات لا اختلاط لها بالذوات، ألا ترون أن الشخص الواحد والعَيْن الواحد يسمى باسم عند قوم وبآخر عند آخرين، فلم يلزمنا ما لزمكم، فأما أنتم أيها الضُّلال فتقولون إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا فأكلت الخبز وشربت الماء، وذلك هو الحيرة والعمى، فإن رجعتم عن هذه النقائض وقلتم يستحيل دخولها على الله تعالى وعلى صفاته فقد تركتم القول بالاتحاد والقول بألوهية المسيح، وذلك هو المراد ووافقتم قول المسلمين، وما ورد فى كتب النبيين مما تقدم ذكره فى

(١) ساقطة من المخطوطة.

شواهد عبوديته دليل على نبوته عليه السلام، قال يوحنا التلميذ: «قال المسيح: أنا هو الراعى الصالح والعارف برعيتى وهى تعرفنى»[١].

ووجه الدلالة من ذلك ما اشتملت عليه التوراة والكتب من رعاية إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب والأسباط[٢] وموسى عليه السلام تقدمت لهم مقدمات فى رعاية الغنم حتى أُهِّلوا بعد لسياسة الأمم، فالنبى راعٍ من الرعاة داعٍ من الدعاة يزودهم بالإنذار عن مراتع الهلاك، ويريهم بالأنوار شِرَاك الإشراك، ولو كان الأمر على ما تهتف به النصارى من ربوبيته لم يقل فى مجلس محشود ومحفل مشهود: «أنا هو الراعى الصالح» بل كان يرفع الالتباس ويقطع عن الناس الوسواس، ويقول: اعلموا أنى خالق السماء والأرض، والجامع ليوم العرض، وأنا ابن الله، وثالث ثلاثة، وأنا الكلمة القديمة اتحدت بجسد الإنسان. وحُوشى عليه السلام عن هذا الهذيان، بل الذى نص عليه ودعا تلاميذه إليه قوله فى الإنجيل: «لا صالح إلا الله الواحد»[٣].

وقوله: «إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد».

وقوله: «أنا الراعى الصالح» تكذيب للنصارى فى دعوى ربوبيته لأن الراعى ليس إليه ملك الغنم بل ملكها لغيره فليس له سوى الرعاية.

وقوله: «أنا عارف برعيّتى وهى تعرفنى» فيه دليل أن الخلائق ليسوا معمومين بدعوته بل لم يبعث إلا إلى طائفة من بنى آدم لا غير، وقد كشف هذا وأوضحه فى موضع آخر وهو أن أصحابه سألوه فى قضاء حاجة الكنعانية فقال: «لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيلقى للكلاب، إننى لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من بنى

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«أنا هو الراعى الصالح، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١).

(٢) السبط: واحد أسباط وهم: ولد الولد. والأسباط من بنى إسرائيل كالقبائل من العرب. (مختار الصحاح ـ باب سَبَطَ ص ٢٤٩ ـ مكتبه لبنان).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«. . . ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله» (مت ١٩: ١٧).

إسرائيل»[١].

فهذه نصوص الإنجيل السالمة من التبديل.

معجزة دالة على نبوته:

قال متَّى: «جاء رجل أبرص إلى يسوع وسجد له وقال: يا رب طهرنى! فقال: طهرتك، فزال مرضه لوقته، فقال له يسوع: اذهب وقرِّب قربانًا كما أوصى موسى»[٢].

---

(١) النص كاملاً هكذا:

«خرج يسوع من هناك، وانصرف إلى نواحى صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمنى يا سيد يا ابن داود ابنتى مجنونة جدًا فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال: لم أُرْسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ١٥: ٢١/ ٢٤).

تعليق على النص:

«اتفقت جميع التراجم العربية مثل:

١ ـ ترجمة البروتستانت.

٢ ـ ترجمة المكتبة البولسية.

٣ ـ ترجمة المطبعة الكاثوليكية.

وكذا التراجم الأجنبية وعلى رأسهم نسخة الملك جيمس King James - v.

وكذلك الترجمتان الفرنسيتان «لوى سيجو»، و «المسكونية» على هذا النص تمامًا كما هو مسطور.

غير أن هناك ترجمتان قد أضافتا كلمة only أى فقط؛ فيصبح النص هكذا:

He answered, jwas sent only to the lost sheep of the house of lsrael

ومعناها «أجاب: لقد أُرسِلت فقط إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

والترجمتان هما النسخة القياسية المنقحة أو R . S . V .

والنسخة الإنجليزية / اليونانية R . S . V. English / Greek.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً: يا سيد، إن أردت تقدر أن تطهرنى، فمد يسوع يده ولمسه قائلاً أريد فاطهر، وللوقت طهر برصه، فقال له يسوع: انظر أن لا تقول لأحد بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم» (مت ٨: ٢/ ٤).

إن طعن اليهود فى هذه الآية وجحدوها ولم يؤمنوا بها، قلنا لهم: ما الدليل على أن هارون وبنيه كانوا يزيلون البرص عن الأبرص وذلك شيء لم يشاهدوه، فإن قالوا: نقل إلينا بطريق التواتر التى توجب العلم وتقتضى القطع ولا يبقى معها شك، قلنا لهم: كذلك تواتر واشتهر وانتشر أن المسيح كان يفعل ذلك، فإن حاولوا طعنًا فى آية المسيح انعكس عليهم فى آية هارون وسائر الرسل، وإن كانت هذه الآية لا سبيل إلى ردها وجحدها، فقد لزم اليهود القول بنبوته وترك ما هم عليه من التهوّد، فإن حاولوا استناد ذلك إلى معرفته بالطب ووقوفه على خواص تزيل البرص بسرعة، قلنا: فلعل موسى عليه السلام أيضًا حين طهَّر أخته مريم من برصها كان قد لطف فى علم الطب ووقف على خواص فعل بها ذلك دون أن تكون معجزة من عند الله تعالى.

وإن قال النصارى: نستدل بذلك على ربوبيته إذ سجد له الأبرص وقال له: يا رب، فلم ينكر عليه، ولو كان ذلك غير جائز لأنكر وأرشده وقوَّم أوده، فإقراره وإزالة برص الأبرص دليل على ربوبيته.

قلنا: ليس فى ذلك دلالة، أما السجود فكان سلام القوم وتحيتهم فيما بينهم، ويعرف ذلك من طالع كتبهم وقرأ تآليف المتقدمين. ومن ذلك ما اشتملت عليه التوراة من سجود إبراهيم ولوط للملائكة الذين مروا به لهلاك سدوم[1]، وقد تقدم ذلك فى مقدمة الكتاب.

وأما تطهير الأبرص فليس فيه دلالة على ربوبيته بل على تقريبه من ربه ومزيته، ولو جاز أن يتخذ المسيح بذلك ربًا لجاز فى حق اليسع[2] عليه السلام، إذ

(١) سدوم: فعول من السَّدم؛ وهو الندم مع غم، قال أبو منصور: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم. وذكر الميدانى فى كتاب «الأمثال»: أن سدوم هى «تسرمين» بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم، وكان من جوره أنه حكم على أنه إذا ارتكبوا الفاحشة من أحد أخذ منه أربعة دراهم.. اهـ.
(معجم لبلدان ـ لياقوت ص ٢٠٠/ باب سدوم ـ ج ٣).

(٢) اليسع: يسمى فى الكتاب المقدس اليشع؛ ومعناه: الله خلاص، وهو ابن شافاط وتلميذ إيليا النبى، عاش فى آيل محولة فى شمالى وادى الأردن، وإلى الجنوب قليلاً من بحر الجليل. (قاموس الكتاب ـ دائرة المعارف الكتابية).

قد روى النصارى واليهود فى كتاب «سفر الملوك» من كتبهم أن نعمان الرومى بَرَص، فرحل إلى اليسع من بلده، واستأذن عليه، فلم يأذن له بل قال لرجل من أصحابه: قل له ينغمس فى بحر الأردن سبع مرات، ففعل الرجل فبُرىء من برصه لوقته، ورجع إلى بلده معافى، فاتبعه غلام لليسع - يقال له: صخر - وأوهمه أن اليسع أرسله يطلب منه مالاً، ففرح نعمان بذلك فأعطاه مالاً وجوهراً ثمينًا، فأخفاه الغلام وجاء إلى اليسع، فقال له اليسع: تبعت نعمان وأوهمته عنى كذا وكذا وأخذت منه كذا وخبأته فى موضع كذا إذ فعلت ذلك فليصر برصه عليك وعلى نسلك، فبرص الغلام مكانه، فهذا[1] نبى الله اليسع قد فعل ما هو أعجب من فعل المسيح؛ لأنه أبرأ نعمان وأبرص الغلام، وقد أشار الإنجيل إلى طرفٍ من القصة، فالأنبياء قد فعلوا مثل ذلك وأعجب.

فإن قالوا: إنما فعلوا ذلك بعد ابتهالٍ إلى الله تعالى وطلب، أما المسيح فإنه كان يفعل ما يفعل غير مبتهل إلى الله ولا طالب إليه.

قلنا: من سلّم لكم إن المسيح كان يفعل ذلك غير سائل وغير طالب ومبتهل، والدعاء لا يشترط لإجابته الإعلان، فإنه يناجى من استوى عنده السر والعلانية، ونحن نريكم مواضع من الإنجيل الذى بأيديكم تشهد بأنه كان لا يفعل معجزة إلا بعد أن يسأل ويتضرع.

قال فى الإنجيل عندما أحيا حبيبه ألعازر[2]: «ورفع بصره إلى السماء وقال: يا أبت لتستجيب لى - وأنا أعلم أنك تستجيب لى فى كل حين - ولكن أشكرك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتنى»[3] فها هو قد أكذبهم فى دعواهم عدم الابتهال.

---

(١) القصه كاملة إقرأها بالتفصيل فى سفر الملوك الثانى من عدد ٨ إلى ٢٧ وهو آخر الإصحاح.

(٢) العازر: رجل من بيت عِنْيا كان يسكن مع أخته مرثا مريم، والمسيح شهد عنه شهادة حسنة، وكان من نصيبه أن يقيمه من الأموات بأعجوبة. (انظر قاموس الكتاب المقدس. ص ٨١٦).

(٣) النص الصحيح هكذا:

«... ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى، وأنا =

وقال فيما حكوه عنه: «إلهى إن كان يحسن صرف هذا الكأس فاصرفه عنى كما تشاء أنت لا كما أشاء أنا»[١].

تنبيه:

فى الدعاء قبل إبداء المعجزة أدل دليل على أن ما يظهر عقيب الدعاء من الله تصديق لنبوة الرسول ورسالته، فلو ظهرت من غير دعاء كان للأعداء والملحدين فيها مقال. ونسبة إلى سحر أو إلى شعبذة، فالدعاء يزيل الوهم عن غلط الفهم.

[لو] سلمنا أنه كان يفعل ما يفعله من غير دعاء، فالتوراة شاهدة أن موسى عليه السلام كان يُلقى عصاه فتصير ثعبانًا ثم يأخذها فتصير خشبة، ثم يلقيها فتصير شجرة وتمد أغصانها وتثمر لوزًا، ثم يتناولها فتعود عصًا يضرب بها النيل فينقلب دمًا، ثم يضربه فيصير ماءً، كل ذلك من غير سؤال ولا تضرع، وقد أحيت تربة اليسع ميتًا، وأبرأ يوسف عينى أبيه بعد العمى من غير سؤال.

معجزة دالة على نبوته:

قال متَّى: «جاء رئيس من الرؤساء إلى يسوع فقال: إن ابنتى قد ماتت فلعل تأتى إلينا فتضع يدك عليها، فمضى معه ووضع يده عليها فعاشت ابنة الرجل»[٢].

فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره انعكس عليهم فى نبوة أنبيائهم، فإن زعموا أنه فعل ذلك تخييلاً، قلنا لهم: ولعل قلب العصا حيّة تسعى كان أيضًا تخييلاً وشعبذة

= أعلم أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى» (يو ١١ :٤١/ ٤٢).

(١) النص الصحيح هكذا:

«وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك فأجِزْ عنى هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت» (مر ١٤ :٣٦).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً: إن ابنتى الآن ماتت لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا، فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه.... قال لهم: تنحوا فإن الصبيَّة لم تمت لكنها نائمة، فضحكوا عليه، فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبيّة» (مت ٩ :١٨/ ٢٦).

وذكاء، فقد لزمهم القول بنبوة المسيح بالطريق الذى لزمهم به نبوة موسى، وكذلك قلب العصا سيفًا حيث ناولها سيدنا محمد ﷺ لرجلٍ من أصحابه فقاتل به وشهد معه المشاهد، ولزمهم القول بنبوته ورسالته بما لزمهم من نبوة موسى عليه السلام، ولو تطرق الشك إلى نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام مع ظهور الآية من كل منهما لم تثبت نبوة نبى ولا رسالة رسول.

وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبيته إذ لا قادر على الإحياء إلا الله تعالى، قال: والموتى يبعثهم الله، قلنا: فليلزم من ذلك أن يعتقدوا ربوبية كل من أحيا ميتًا ويتخذوه ربًا، فإلياس أحيا ابن الأرملة[1]، واليسع أحيا ابن الإسرائيلية[2]، وحزقائيل أحيا مَيْتًا كثيرًا[3] يقال أنهم ستون ألفًا أحياهم فى ساعة واحدة كما تشهد بذلك كتبكم، وهذا أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة.

والتوراة تشهد أنه كان يقلب العصا ثعبانًا، فبينا هى خشبة إذ صارت حيوانًا ذا عينين يأكل ما مر عليه، وقلب الخشب حيوانًا أعجب وأبدع من إعادة الروح إلى ميت.

معجزة دالة على نبوته:

قال مَتَّى: «حضر إلى يسوع أعميان فقالا: ارحمنا يا ابن داود! فقال: أتؤمنان؟ فقالا: نعم، فلمس أعينهما فأبصرا، فقال لهما: لا تقولا لأحد شيئًا»[4].

---

(١) القصة: وردت فى سفر الملوك الأول (١٧: ١٧/ ٢٤).
والياس يُطْلق عليه فى الكتاب المقدس إيليًا.

(٢) القصة: وردت فى سفر الملوك الثانى (٤: ٨/ ٣٧).
واليسع يطلق عليه فى الكتاب المقدس: أليشع.

(٣) حزقائيل المعروف فى الكتاب المقدس باسم حزقيال؛ وهو من أبنبياء بنى إسرائيل فى العهد القديم وله سفر باسمه.

(٤) النص الصحيح هكذا:
«وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان: ارحمنا يا ابن داود، ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان فقال لهما يسوع: أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا؟ قالا له: نعم يا سيد، حينئذ لمس أعينهما قائلاً: بحسب إيمانكما ليكن لكما فانفتحت أعينهما. . . .» (مت ٩: ٢٧/ ٣١).

فإن أنكر اليهود هذه الآية وطرقوا إليها الاحتمالات الكاذبة قيل لهم: بأى طريق ثبت لكم أن موسى عليه السلام شكا إليه بنو إسرائيل الحيّات التى لدغتهم فى التيه، فاتخذ لهم حية من نحاس ونصبها على خشبة، وقال: من لدغته أفعى فلينظر إلى تلك الحية، ففعلوا فصحّوا.

فإن قالوا: التواتر يشهد، قلنا: أقنعونا بهذا الجواب فإنا نقول بالموجب.

وإن قال النصارى: فذلك دليل يشهد على ربوبية المسيح.

قلنا : لو جاز ادعاء الربوبية بذلك لجاز ليوسف عليه السلام أن يَدّعى الربوبية بمثله، إذ التوراة تشهد أنه أبرأ عينى أبيه يعقوب بعد ذهابهما، ومحمد ﷺ ردَّ عين قتادة بعد عماها وخروجها من محلها فكانت أبصر عينيه، والمسيح أمر بالاستتار وسيدنا موسى وسيد المرسلين محمد عليهما الصلاة والسلم لم يأمرا بالاستتار، فدل على أنهما أقوى حالاً.

وقد سأل أعمى سيد المرسلين فى رد بصره، فأمره أن يصلى ركعتين ويتوسل إلى الله به فرد الله عليه بصره[1].

وقد شهد مَتّى صاحب المسيح أنه لا يعلم المغيبات لقوله لهما: أتؤمنان؟ فقالا: نعم، وأنه لا يعلم بإيمانهما بعد قولهما حتى علق الشفاء على إيمانهما فقال: مثل إيمانكما يكون لكما.

وقد تقدم قوله فى الساعة: لا أعلمها بل الله وحده هو الذى يعلمها.

وقد تقدم فى الأمانة كذبها فى قولها: إنه إله حق من إلهٍ حق وأنه من جوهر أبيه، فليس إلا من جوهر أبيه داود وإبراهيم فهو إنسان حق من إنسانٍ حق.

والعجب من المسيح رضى من الرجلين أن ينسباه إلى أبيه داود وقضى

(١) روى الترمذى، وابن ماجه، عن عثمان بن حنيف ـ رضى الله عنه ـ: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال: ادع الله تعالى أن يعافينى، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ﷺ، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى، اللهم فشفعه فى» قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

حاجتـهما، ولم يرضا النصارى بما يرتضـيه لنفسه حتى نسـبوه نسبةً خالفوه فـيها، وأسخطوا الله، وأضحكوا منهم سائر الطوائف.

فلو كان قـولها يا ابن داود خطأ لـم يقرهما المسـيح ولا سيـما خطأ هو كـفر، وكيف يسـمعهمـا ينطقان بالكفر وهو إنما جـاء ليخلص الناس منه، بل شفـاهما، وشفاؤهما رضى مـنه بما نسباه إليه من بنوة داود وهى نسبة جليلة نَسَبَهُ بـها جبريل الملك حين بشر به مريم بالناصرة، كما شهد به لوقا فى إنجيله وتقدم غير مرة.

وهذا نبى الله يحيى[1] أرسل إلى المسـيح يقول له: أنت الآتى أو يُرجى آخـر، كما سيأتى بيانه، فإن كان هذ الشك من يوحنا لا يقدح فى إيمانه فالمسيح ليس بإله إذ الشك فى الإله كفـر، وإن كان المسيـح إلهًا كما تهـذى به النصارى فقـد كفَّروا يوحنا هذا، أفيدعى النصارى ـ ويلهم ـ أن يحـيى كان جاهلاً بربه مع قول المسيح إن النسـاء لم تلد أفـضل منه، فـشهـادته بأنه أفـضل أهل زمـانه دليل على غلط النصارى فى دعـوى ربوبية المسيح إذ لو كان كـما قالوا لكان الأولى باعتـقاد ذلك يوحنا وإنما أرسل يوحنا يسأل عن النبوة والرسـالة فلما أحاله على رؤية الخوارق ـ على ما سيأتى ـ التى هى أعلام النبوة زال تردده فى نبوته.

وقول المسـيح: «والصغيـر فى ملكوت الله أفضل منه» يعنى نفـسه، وفى ذلك دلالة على نبوته؛ لأن الأفضلية لا تثبت إلا بين فاضلين اشتركا فى أصل الفضل، ثم يترجح أحـدهما على الآخر بمزيـة من الفضل، ولا يحسن أن يقـال أن البارى جل ُجلاله أفضل من زيد وعمرو.

ألم تر أن السيف ينقص قدره   إذا قيل: هذا السيف أمضى من العصا

تنكيت عليهم حيث قلبوا الحكمة وأبدلوها، وحَرَّفوا كتب الله وبَدّلوها:

وصفوا يوحنا بصـفة الأرباب فى استغنائه عن الطعام والشراب، فـقالوا: «كان يوحنا لا يأكل ولا يشـرب» واعتقـدوا فى المسيح الربوبـية مع وصفـهم له بنقص العبـودية، فقالوا: «كـان المسيح إنسـانًا أكولاً، شريب خـمر» فسـخر منهم أولوا

(١) النبى يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ يسمى فى الكتاب المقدس يوحنا المعمدانى الذى عَمّد المسيح عليه السلام.

الألباب، وصاروا سُبَّة على ممر الأحقاب، ثم زعـموا أنه كان يتردد إلى أورشليم، للاستفادة والتعليم ويُسائل الأخيـار عن الأخبار، ثم اعتقدوا أنه الذى أنزل التوراة على الكليم، وفدى الذبيح من يد إبراهيم، فيقال لهم: كيف يتعلم كتابًا هو الذى أنزله، ويتتلمذ لرسول هو الذى أرسله؟!

معجزة دالة على نبوته:

قال مَتَّى: «حضر إلى يسوع رجل يابس اليد وذلك بحـضرة جماعة من اليهود، فسألوه: هل يحل أن يداوى فى السبت؟ لكى ينقمـوا عليه، فقال لهم يسوع: أى رجل منكم يسـقط خـروفه فى بئـر يوم السـبت فـلا يقيـمـه فالإنسـان أولى من الخروف، ثم قال للرجل: أمدد يدك، فمدّها، ففـتحت وعادت كالأخرى، فخرج اليهود متـآمرون فى إهلاكه، فعلم يسوع سرهم، وانتقل من هناك، فتـبعه مرضى فشفاهم»[١].

فهـربه وتواريه غير قـادح فى نبوته ولا رسـالته، فذلك كـثير اتفق لأنبـياء الله وصفوته.

﴿فَفَرَرتُ منكُم لَمَّا خفْتكُم﴾ [الشعراء: ٢١] غير لائق بجلال الربوبية وعز الألوهية وهو قادح فى قول النصارى، إنما هذا العالم لخـلاص آدم وذريته من الجحيم ببذل دمه حتى يكون مؤديًا ما وجب على آدم من أكل الشجرة.

فلو كـان الأمر عـلى ما يقـولون لما فـرَّ من ذلك وتوارى وتحـول من بلدة إلى أخرى من أمـر إنما جاء وتَعَنَّى بسبـبه، إذ فى تأخير قـتله استدامـة آدم وذريته فى العذاب.

فإن قالوا: إنما تحول واختفى لأن ساعة أجله لم تحضر بعد.

قلنا: فكان الأولى أن يتـحول، إذا كان لبـثه لا يَجرّ إليـه مكروهًا، ولا يسلط

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«وإذا إنسان يده يابسة فسألوه قائلين هل يحل الإبراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه فقال لهم: أى إنسان منكم يكون له خروف واحد، فإن سـقط هذا فى السبت فى حفرة أفما يمسكه ويقـيمه؟ ثم قال للإنسـان: مُد يدك، فمدّها فعـادت صحيحـة كالأخرى» (مت ١٢: ١٠/١٣).

عليه سفيهًا، وهل سُمِعَ بإله له ساعة ترتقب، وأجل ينقرض ويقتضب، وقد كان أهل زمان فيه على قسمين: قسم كذَّبوا، وقسم آمنوا به واستجابوا لدعوته.

قال مَتَّى: «لما دنا يسوع وأصحابه من أورشليم أرسل من جاءه بأتان وجحش، فركب، وفرش الناس له ثيابهم، فارتجت الناس لدخوله، وقال الجميع: هذا يسوع النبى الذى جاء من ناصرة الجليل، فدخل إلى هيكل أبيه، وأخرج الباعة الذين فيه، وأمر برفع موائد الصيارف، وكراسى باعة الحمام، وقال: مكتوب أن بيت الله بيت الصلاة والذكر»[١].

وفى الفصل: إن أحسن كلام[٢] الناس فيه أنه كان نبيًا من الأنبياء.

وفى الفصل: أنه ركب حمارًا من التعب والإعياء وذلك مكذّب لأمانتهم؛ لأنه كان من جوهر أبيه فقد خلق الخلق فى ستة أيام وما مَسَّهُ من لغوب، وكيف يفتقر من هو من جوهر أبيه إلى المأكول والمشروب، بل هو من جوهر أبيه يعقوب كما شهد به الإنجيل عن جبريل، ومن الدلالة على نبوته عدم إنكاره من يقولها، بل كان يحب نسبتها.

ومن الدليل على نبوته:

دعاؤه إلى الله سبحانه أسوة بغيره من الرسل.

قال مَتَّى: «قال له قائل: يا معلم! أيَّما أعظم الوصايا فى الناموس؟ قال: أعظمها أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قوتك»[٣].

ففى هذا جميع نواميس الأنبياء، ولم يقل أعظم الوصايا فى الناموس أن تحب الثالوث والصليب، وتشرك بالقريب المجيب.

---

(١) قد سبق أن خرّجنا هذا النص فاطلبه تجده فى (مت ٢١: ٢/ ١١).

(٢) فى النسخة المطبوعة: أقوال.

(٣) النص الصحيح ليس فى إنجيل متى؛ ولكنه فى إنجيل مرقس هكذا:
«فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هى: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك» (مر ١٢: ٢٩/ ٣٠).

دليل على نبوته:

قال مَتَّى: «قال يسوع: يا أورشليم قاتلة الأنبياء كم من مرة أريد أن أجمع بنيك حولك كما تجمع الدجاجة فراريجها»(١) ووجه الدلالة من هذا الكلام: أنهم كانوا يثبون عليه فى المجالس بأورشليم يريدون قتله، إذ كان يفحمهم بالحُجج، فربما تناولوا الحجارة ليحصبوه فيتوارى ويخرج من بينهم ويذهب، وقد قتلوا عدة من أنبيائهم بها فكأنه يقول: تريدون قتلى كما قتلتم من تقدمنى، فالخطاب للبلد، والمراد أهلها.

فالقول بنبوته ألزم على قول النصارى أنه قُتِلَ بأورشليم لأنه سماها قاتلة الأنبياء ولم يقل يا قاتلة الإله.

وفى الكلام ما يمنعهم عن اعتقاد ربوبيته لأنه أراد جمعهم على الإيمان فلم تنفذ إرادته، ومن لم تنفذ إرادته لا يصلح للربوبية؛ لأنه شهد على نفسه بالعجز عن جمعهم على الدين والهدى وجعل ذلك لإلهه تعالى إذ يقول: أيها الآب كل شىء بقدرتك.

والعجب أن المسيح أراد، وأرادت اليهود، فنفذت إرادتهم، وقصرت إرادته؛ لأنه أراد أن يجمعهم فلم يريدوا هم الجمع، وأرادوا هم قتله فنفذت إرادتهم - على زعم النصارى - فما ظنكم: إله تقصر إرادته وتنفذ إرادة أعدائه، لكن هذا حال الأنبياء مع الكفار لا حال الإله مع العبيد إذ قال الله تعالى لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وفى كلامه مزّية لموسى عليه السلام لأنه أراد جمع بنى إسرائيل على الإيمان فاستجابوا له، وأمرهم بالنفير معه فسارعوا وظعنوا(٢)، فأخرجهم من مصر،

(١) النص الصحيح هكذا:
«يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا؟» (مت ٢٣: ٢٧).

(٢) ظعن: سار.

وخدمـهم النصر، وشق لهم البـحر، ورفع عنهم السيف، وقـاتل بهم الملوك فلم يُغلَب، وقهـر العمالقة والجـبابرة ولم يُقْتَلْ ولم يُصْلَب، فما ترى مـوسى إلا كان أحق أن يدّعى له مـا أدعت النصارى فى المـسيح، فلو أن النصـارى جمـعت بين قوله: يا قاتلة الأنبياء وبين دعواهم أنه قُتِلَ بها لما وسعهم إلا القول بنبوته، ولكن أفهام القـوم بعيدة عن هذا [النمط][1] قريبـة من السقط والغلط، ألا تـراهم كيف جمعوا فى الاعتـقاد بين الأضداد فقالوا فى تسبيحـة أمانتهم: «نؤمن بالرب يسوع المسيح الذى أتـقن العوالم بيده، وخلق كـل شىء، وقُتِلَ وصُلِبَ أيام هيرودس[2] فبينما هم ينعتونه بالرب المجيد إذ وصفوه بذلٍّ ما عليه من مزيد.

وقـال المسـيح عندما وخـزه الناس بأبـصارهم أنه لا يُقْتَلُ نبـى فى بلدته وعند عشيرته، فذلك واضح فى نبوته لمن أراد الله هدايته، فمن لاحظ هذا الفصل بعين الإنصاف لم يخالجه الشكوك فى نبوته وأن اعتقادها هو الصحيح.

وكثير من عُقلاء النصارى يضمرون اعـتقاد نبوته دون ربوبيته ولكن لا يبوحون بذلك خشـية الجـمهور مع تأنسـهم بمرباهم إذ كل مولود يولد على الـفطرة فأبواه يهودانه أو ينصِّرانه.

وأما قولهم أنه مجسد من روح القدس، فقد قال الإنجيل: «إن يوحنا بن زكريا امتلأ من روح القدس وهو فى بطن أمه»[3].

وقال المسيح فى الإنجيل: قد سمعنا عن إسرائيل وكانت روح القدس تحل عليه. فهذه الروح متى حلَّت على آدمى تنبأ ونطق، وذلك مشهور عند أهل الكتاب.

وقد قال الله تعالى فى حق المؤمنين: ﴿وأَيَّدهُم بروُحٍ منه﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال أشـعيـاء النبى فى كتـابه : «قال الله لـى أخرج إلى بيـعة[4] كذا وكـذا،

---

(١) فى المخطوطة: الغلط.

(٢) فى المخطوطة: هيدروس وهى خطأ.

(٣) النص الصحيح هكذا:

«لأنه يكون عظيمًا أمـام الرب، وخمرًا ومـسكرًا لا يشرب، ومن بطن أمـه يمتلىء من الروح القدس» (لو ١ : ١٥).

(٤) لم أعثر على هذا النص فى فهرس الكتاب المقدس.

فخرجت، فجاءت الروح فدخلت فىّ فأقامتنى على رجلى» فهذه الروح متى جاءت نبيًا كانت وحيًا من الله، ومتى جاءت وليًا أكسبته إلهامًا عن الله وفراسة وصدق توسم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

وفى الحديث عنه عليه أفضل الصلاة والسلام: «إن فى أمتى مُحَدّثين»[1].

وقد قال النصارى: قال المسيح لأصحابه: «لا تهتموا بما تقولون إذا حضرتكم المجالس فإن روح أبيكم الحالة فيكم هى تنطق عنكم بالعلم والحكمة»[2].

دليل على نبوته:

قال لوقا: «رأى يسوع جنازة شاب واحد لأمه وفيها جمع من أهل المدينة ورآها تبكى، فرَّق لها وتحنن عليها، وقال لها: لا تبكى، ثم مَسَّ النعش فوقف الحاملون، فقال يسوع للميت: لك أقول يا شاب قم فاجلس فجلس، الميت وتكلم، فدفعه لأمه، ومجدوا الله، فقال الناس: لقد قام نبى عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح»[3].

---

(١) المتوسمين قيل: للمتفرسين، ومنه قول رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».
وقال الإمام أبو سعيد الخراز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة. وقال أبو عمر بن نجيد: كان شاه الكرمانى حاد الفراسة لا يخطئ ويقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعَمّر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السُّنّة، وتَعَوّد أكل الحلال لم تخطىء فراسته.. اهـ.
(الرسالة القشيرية ـ للإمام عبد الكريم القشيرى ـ طبعة محمد على صبيح).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون؛ لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به؛ لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم» (مت ١٠: ١٩/ ٢٠).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها: لا تبكى، ثم تقدم ولمس النعش، =

فقولهم حجة على النصارى إذ صح عن خيار أسلافهم أنهم شهدوا له بالنبوة، فكيف يَدّعى المتأخرون ألوهيته؟ وإنما طريق من غاب الأخذ عمن حضر.

فإن زعم النصارى اليوم أن قول ذلك الجمع ليس بحجة فى إثبات نبوته، قلنا: لهم الحجة القاطعة تقريره لهم على ذلك والرضى منهم به وترك الإنكار عليهم.

أفتقول النصارى - ويلهم -: إن المسيح عليه السلام أقرهم على الكفر وقول الباطل؟ وهل تسمية الله نبيًا إلا كتسمية النبى إلهًا، وكيف يُعتقد فى المسيح أن يسمعهم ينطقون بالمحال ولا يرشدهم وهو القائل فى إنجيله: لا تدعوا لكم معلمًا على الأرض فإن معلمكم هو المسيح، والأنبياء كلهم معلمون، ولا تدعوا لكم مدبرًا فى الأرض فإن مدبركم هو المسيح. وإذا كان المسيح هو معلهم ومدبرهم فكيف تقول أنه أهملهم وتركهم يخبطون فى عمياء ويتيهون فى ظلماء؟ ويخاطبون ربهم بأنه نبى من الأنبياء ثم لا يرشدهم إلى اعتقاد الحق وقول الصدق.

فإن استروح النصارى فى دعواهم ربوبيته إلى إحياء الميت أريناهم من كتبهم التى بأيديهم جماعة من أنبيائهم قد أحيوا الموتى مثل إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم ولم يخرجهم هذا الصنع عن كونهم عباد الله.

فإن قال النصارى: إن أولئك كانوا إذا راموا شيئًا من ذلك تضرعوا إلى المسيح وسألوه وطلبوا منه المعونة ودعوه فأفعالهم إنما هى منه، قلبنا عليهم السؤال وقلنا: فلعل المسيح كان إذا رام[1] شيئًا من هذه الآيات تضرع إلى أحدٍ ممن ذكرنا وسأله ودعاه وطلب منه، فهم متقدمون عليه وأرواحهم فى حضرة الملكوت قبله، وهو متأخرٌ عنهم فهو أحق فى أن يسألهم من أن يسألوه، فقد وضحت[2] بذلك نبوته واستوت حالته كحالة من تَقَدَّمه من إخوانه الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

= فوقف الحاملون، فقال: أيها الشاب لك أقول قم، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين، قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه» (لو ٧: ١٢/ ١٦).

(١) رام الشىء: طلبه.

(٢) فى المخطوطة: وضح.

دليل آخر على رسالته من لفظه:

قال لوقا: «اختار يسوع سبعين رجلاً وبعثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه وقال: الحصاد كثير والحصادون قليل، فمن شتمكم فقد شتمنى، ومن شتمنى فإنما يشتم من أرسلنى»(١).

فإن قال النصارى: ذلك دليل على الربوبية لأن إرسال الرسل إلى الخلق دليل على ما قلنا.

قلت لهم: أمَّا بَعْث السبعين فليس فيه دليل لكم فقد اختار موسى سبعين رجلاً من قومه وندبهم لإبلاغ بنى إسرائيل، فنبأهم الله ببركة اختياره، فصاروا أنبياء، فأما من اختارهم المسيح فمن سلَّم لكم أنهم كانوا أنبياء مؤيدين بالمعجزات؟ ولعل المسيح إنما اقتدى بسُنَّة موسى عليه السلام فى الإرسال والعدد، فالمسيح نبى ورسول، ولا يبعد أن يكون للرسول رسول، فقد أرسل ﷺ جماعة من أصحابه إلى ملوك الأرض.

فإن قال النصارى: قوله من شتمنى فإنه يشتم من أرسلنى دليل على الاتحاد الذى نقول به.

قلنا: وقوله ومن شتمكم فقد شتمنى دليل على اتحادهم بالمسيح، أفتقولون إن السبعين اتحد جسدهم بجسد المسيح؟

فإن ادعوا ذلك قلنا: فيلزم أن يكونوا قد اتحدوا بذات الله تعالى إذ كانوا قد اتحدوا بمن اتحد به المسيح.

فإن التزموا ذلك قلنا: فالسبعون هم الله تعالى، والله هو السبعون، والرسول هو المرسل، والمرسل هو الرسول، وهذا هو الجنون.

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«وبعد ذلك عيّن الرب سبعين آخرين ـ أيضًا ـ وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعًا أن يأتى، فقال لهم: إن الحصاد كثير ولكن الفَعَلة قليلون، فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فَعَلة إلى حصاده. . . الذى يسمع منكم يسمع منى، والذى يرذلكم يرذلنى، والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى» (لو ١٠: ١, ٢, ١٦).

قلنا: قد اعترف المسيح أن غيره قد أرسله فكيف تقولون هو نفسه؟

فإن قالوا: اعتقادنا المرضى عندنا أن المسيح ابن الله ولا يبعد أن يرسل الله ابنه إلى عباده، وحينئذٍ يحسن أن نعيد عليهم بعض ما مضى لنا ونقول لهم.

ألم تقولوا فى الأمانة: نؤمن بالمسيح الإله الحق الذى أتقن العوالم بيده وخلق كل شىء، الذى نزل من السماء وتجسد، وولدته مريم، وقُتِلَ وصُلِبَ.

ألم تقرؤا [فى صلاتكم][1]: يا ربنا المسيح الذى ذاق الموت من أجلنا ونزل من السماء لخلاصنا لا تضيع من خلقت بيديك.

ألم تنقلوا عن أشياخكم وكبار مشايخكم وعن أفريم: أن اليدين اللتين سُمِّرتا على الخشبة هما اللتان جَبُلَت طينته وأن الشبر التى مسحت السموات والأرض هى التى عُلِّقت على الصليب، وإنَّ من لم يقل أن مريم ولدت الله فهو محروم من ولاية الله تعالى.

وإذا كانت صلواتكم وأمانتكم وأقوال مشايخكم مُصرحة بذلك فقد كذبتم فى هربكم مما ألزمناكم.

وصدق المسيح فى قوله: إن الله تعالى نبأه وأرسله، فالنبى مُنزهٌ عن التفوه بما لا يليق بمنصبه، متعبدٌ بذكر ما أتى به عن ربه، لا يكتم شيئًا مما يُوحى إليه، وليس المعول فى تنزيه من أرسله إلا عليه، وقد قال: «اعبدوا الله ربى وربكم وإلهى وإلهكم».

وأمانتكم تشهد أن المرسل والرسول واحد، فقد كذب فى ذلك معنى الرسالة، وصير الناس فى حيرة وضلالة، وذلك محال على الرسول، ففى الاعتراف بالرسالة إثبات لعبوديته وتنزيه مرسله على كال حاله، وأنتم متحيرون: تارة تقولون إنه ابن أرسله للبيان، وتارة أن الله استعار من امرأة صورة إنسان، فجعلتموه ممن يستعير الصور تسترًا، فدعاؤه لعبادة غيره إضلال وافتراء، وذلك مما يتنزه عن مثله المرسلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما قولهم: ولا يبعد أن يرسل الله ابنه، وتسمية الله أبًا والمسيح ابنًا، فنحن

---

(١) ساقطة من الأصل.

نسألهم ما يعنون بهذه البنوة؟ أمجرد تسمية وتشريف أم لِما خص من الآيات والكرامات والخوارق أم يريدون النبوة المألوفة.

فإن قالوا بالأول قلنا: لا اختصاص للمسيح بها فقد سُمى يعقوب ابنًا وتقدم من ذلك ما يُغنى عن الإعادة، وإن أردتم الثانى وهى البنوة المألوفة بين الناس المتخذة من الزوجة والسُرية على معنى أن المسيح انفصل من الله فلا يصح وإنما ينفصل الجسم من الجسم مثله والله منزه عن الجسمية، ثم ذلك باطل بنص الإنجيل إذ يقول لوقا: إن المسيح من روح القدس، فكيف يقولون إنه ينفصل من ذات الله تعالى؟ فقد بَطُلَ مقصودكم من البنوة على كلا القسمين.

فإن قالوا: إنما استحق المسيح البنوة لَمّا اتحدت به الكلمة فصار بها ابنًا على الحقيقة وغيره ممن ذكرتم لم تتحد به فصار ابنًا على سبيل التشريف.

قلنا: أخبرونا عن هذه الكلمة وما هى وما الذى تعنون بها؟ فإنهم يقولون إنها العلم أو النطق فلا يعدلون عن ذلك.

قلنا لهم: أليس من حكم الصفة أن لا تفارق موصوفها ويجعلها ضدها وهو الجهل أو الخرس وكلاهما مُحال عليه تعالى، فإن كان علمه قد انفصل أو نطقه وقام بغيره فقد صار القديم ناقصًا وذلك محال على الله تعالى، وإن كان علمه وكلامه لم يفارقه فلا حقيقة لهذا الاتحاد الذى تدعونه.

قال لوقا: «جلس يسوع يومًا يتكلم على تلاميذه، فرفعت امرأة فى المجلس صوتها وقالت: طوبى للبطن الذى حملتك والثدى الذى أرضعك، فقال المسيح: مهلاً طوبى لمن يسمع كلام الله فيحفظه»[1].

فلما اشتغلت بمدحه أرشدها لمدح خالقه، انظر إلى هذا الكلام الصادر من هذه المرأة هل خرج من قلب معتقد ربوبية المسيح وألوهيته، وإلا فهل يحسن أن يكون ربًا فى بطن وإله على أيدى المراضع؟!

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذى حملك، والثديين اللذين رضعتهما، أما هو فقال بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» (لو ١١ :٢٧/ ٢٨).

شهادة يوحنا الإنجيلى ـ حبيب المسيح ـ عليه بالنبوة:

قال يوحنا: «كان الناس إذ رأوا المسيح وسمعوا كلامه يقولون: هذا النبى حقًا»[١].

وقال يوحنا: «تفل يسوع على طين ووضعه على عينى أَكْمَه وقال: اذهب واغتسل فى عين سلوحا، ففعل، فانفتحت عيناه، وذلك فى يوم السبت، فوقع بين اليهود فيه خلف فمنهم من يقول: ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحترم السبت، ومنهم من يقول: إن الله لا يستجيب للخاطئين، ومنهم من يقول: هذا نبى»[٢].

فهذا يوحنا ـ حبيب المسيح ـ شاهد بنبوته لأنه ذكر ذلك فى معرض المدح له والثناء عليه، وذلك تكذيب لليهود فى جحدهم وللنصارى فى غلوهم.

وقال أيضًا فى الفصل الثانى[٣] من رسالته الأولى: «أيها الأبناء لا تخطئوا فإن أخطأ أحدكم قلنا: شفيع عند الآب يسوع المسيح البار»[٤].

---

(١) لم أعثر على هذا النص بلفظه.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«قال هذا وتفل على الأرض، وصنع من التفل طينًا، وطلى بالطين عينى الأعمى وقال له: اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مُرْسَل، فمضى واغتسل وأتى بصيرًا» (يو ٩: ٦/٧).

وبِرْكة سلوام: كانت بركة جيحون (عين العذراء) المتقطعة موردًا رئيسيًا للمياه لمدينة أورشليم وكانت مياهها تجرى فى قناة مكشوفة تسيل ببطء على المنحدرات الجنوبية التى تسمى شيلوه أو سلوام، ومعناه: مُرْسل وكانت تستخدم فى أيام العهد الجديد للاغتسال للاستشفاء.

(انظر دائرة المعارف الكتابية ـ ج ٤ ص ٤١١ ـ مادة بركة سلوام).

(٣) فى المخطوط: الأول وهو خطأ والأصوب الفصل الثانى.

(٤) النص الصحيح هكذا:

«يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار» (أيو ٢: ١).

دليل واضح على نبوته:

قال لوقا: «قال الفريسيون[1] ليسوع: أخرج من هاهنا فإن هيردوس يريد قتلك، فقال: امضوا وقولوا لهذا الثعلب: أنى أقيم ههنا اليوم وغداً وفى اليوم الثالث أكمل لأنه لا يهلك نبى خارج عن أورشليم».

فهذا أدل دليل على نبوته، فهذا الفصل حُجة على من يدعى ربوبيته إذ هو صريح فى إثبات نبوته.

فإن قال النصارى: هب أن هذا الفصل يدل على نبوته أليس هنا قد شهد بأنه فى اليوم الثالث يُقتل ويُصلب فذلك دليل على نبوته.

قلنا: لم يقل ذلك وحاشاه منه، إنما قال فى اليوم الثالث يكمل، أى يتم مدة إقامته فى هذا العالم السفلى ثم يرتفع، فإن القتل والصلب وتوابعه لا يعد كمالاً بل الكمال حمايته ورفعه وخيبة كيد أعدائه كما يقوله المسلمون.

قال يوحنا الإنجيلى شاهداً له بالنبوة ومكذباً للمتأخرين فى دعوى الربوبية لأنه تلميذ المسيح وحبيبه وهو أحد مُدَونى الإنجيل: «لما أطعم يسوع خمسة الآف رجل من خمسة أرغفة وحوتين من السمك قال الناس: حقًا إن هذا هو النبى الآتى إلى العالم، فلما أعلم أنهم يريدون أن يخطفونه ويجعلونه ملكًا عليهم خرج من بينهم

---

(١) الفريسيّون: الفريسى كلمة آرامية من فرس أى صار ذا رأى وعلم بالأمور فهو فارسى أى عالم بالأمر، وهم فوارس، وقيل: بل من فرس بمعنى انفصل واعتزل، وهم الفوارس بمعنى المعتزله، وقيل: إنهم ظهروا باسمهم الفريسية فى عهد يوحنا هركانوس (١٣٥ـ١٠٥ ق.م) وكانوا كتبة بمعنى فقهاء معلمين لديهم العلم السلفى الذى هو للشريعة الشفوية، واختلفوا مع الصدوقيين المعطلة الذين قالوا بأن الله قد توقف عن الفعل فى اليوم السابع؛ أى أنه خلق ما نعرف وما لا تعرف فى سته أيام ثم استراح أى توقف عن أن يريد أو يشاء. وقالوا: بفناء النفس مع فناء الجسد ومن ثم فلا قيامة ولا حساب وإنما الثواب والعقاب فى الدنيا اهـ.

(لمزيد من التفصيل انظر: الموسوعه النقدية للفلسفة اليهودية ـ دكتور عبد المنعم الحفنى دار المسيرة ـ بيروت).

وذهب وحده إلى الجليل»[١].

فقد شهد له خمسة آلاف بالنبوة، وهو مُقرهم على شهادتهم حاكم بصحة إيمانهم راض بهذا المعتقد منهم، ولو أنكر عليهم لنقل إلينا كما نقلت منهياته وأوامره، وهل يُحْسن بالإله - وبيده مقاليد الأمور وهو العليم بذات الصدور - الخوف من عباده[٢] أن يخطفوه ويجعلوه ملكًا عليهم ويغلبوه على رأيه فى ذلك؟!

وقد نقلوا أن جبريل حين بَشّر مريم - أم المسيح - بالناصرة قال لها: إن ولدك يجلسه الرب على كرسى أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب. فإن كان ما حكوه عن جبريل صحيحًا فقد كذبوا فى هربه من التمليك عليهم، وإن كانوا ما نقلوه فى الهرب صحيحًا فقد كذبوا فى نقلهم عن لوقا وعن جبريل، وكيف يتقدم الله إليه على لسان جبريل بسياسة عباده والتمليك عليهم ثم يأبى ذلك ويخالف أمره وينكص عنه فلا يمتثله؟! هذا مما يعترض به على النقلة، وبهذا الاضطراب والتخالف رد العلماء كتب هؤلاء القوم واضطروا لعدم الاحتفال بها.

دليل صحيح على نبوته عليه السلام:

قال يوحنا الإنجيلى: «جاء يسوع إلى بئر من آبار السمرة مستسقيًا ماءً وقد عَيَّ من تعب الطريق، ففاوضته امرأة منهم وقالت: يا سيدى! إنى أرى أنك نبى، فقال لها يسوع: أنا هو الذى أكلمك، ثم وافاه تلاميذه فعرضوا عليه طعامًا فقال: إن لى طعامًا لستم تعرفونه، إن طعامى أنا أن أعمل مَسَرّة من أرسلنى وأتم عمله، ثم بعد يومين خرج من هناك لأنه شهد أن النبى لا يكرم فى مدينته»[٣].

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«فقالوا له: ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان، فقال: ائتونى بها إلى هنا، فأمر الجموع أن يتكئوا على العُشب، ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفه للتلاميذ والتلاميذ للجموع، فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد» (مت ١٤: ١٧/ ٢١).

(٢) فى النسخة المطبوعة: العباد.

(٣) النص الصحيح هكذا:

«وكانت هناك بئر يعقوب؛ فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر..=

ووجه الدلالة تصديقها فى دعواها نبوته، والثانى: قوله: أن لى طعامًا لستم تعرفونه؛ يعنى به اللذات الروحانية الحاصلة من المناجاة الربانية، وكنى بالمسّرة عن الإرادة والرضى.

دليل واضح على رسالته:

قال يوحنا التلميذ: «لما انتصف العيد حضر يسوع إلى الهيكل وشرع يُعَلِّم، فقال اليهود: كيف يُحسن هذا التعليم، فقال: تعليمى ليس هو لى بل للذى أرسلنى، فمن عمل بطاعته فهو يعرف تعليمى هل هو من عندى أو من عند الله، إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه، وأما من يريد مجد من أرسله فهو صادق، فعلام تريدون قتلى؟ فقال الجمع: لأن بك شيطانًا، فقال لهم: تزعمون أن موسى علمكم الختان وليس الختان من موسى ولكنه من الآباء، وقد تختنون الإنسان يوم السبت ومن الختان يهلك الإنسان كيلا تنقضوا سُنّة موسى، فعلام تنقمون على إبرائى للإنسان يوم السبت؟ ثم قال: إنى لم آت من عندى ولكن الذى أرسلنى بحق وأنتم تعرفونه، وأنا الذى أرسلنى أعرفه وهو الذى أرسلنى، فهمّ اليهود بأخذه فلم يقدروا لأن ساعته لم تحضر»[1].

فقد وضحت رسالته من الله إلى الناس وضوح الصبح لذى عينين، ولم يزل أتباع المسيح يختتنون ويتبعون سنة إبراهيم وموسى فى الختان حتى جاء رجل من المتأخرين يدعى بولس ـ وهو الذى يسمونه بولس الرسول ـ فادعى أن المسيح تراءَى له وأرسله إلى أهل دينه، فأحلّ لهم بولس أشياء وحلهم مما كانوا مرتبطين به من أقوال موسى والمسيح، فكان مما حلهم منه سُنّة الختان[2] التى شرعها الأنبياء

= فجاءت امرأه من السامره لتستقى ماءً، فقال لها يسوع: أعطينى لأشرب. قالت له المرأة: يا سيد أرى إنك نبى. قال لهم يسوع: طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامه فى وطنه» (يو ٤: ٦/ ٤٤).

(١) النص كاملاً صحيحًا من نسخة البروتستانت ١٩٨٥، الإصحاح الخامس، بأكمله من إنجيل يوحنا حتى آخره.

(٢) «وعلى هذا لم يكتف «بولس» بأن مبادىء المسيحية وشعائرها؛ بل شرع قوانين للمسيحين يتبعونها فى حياتهم العامة، فهو الذى أوصى بما نراه اليوم فى الكنائس من التسابيح والأغانى الروحية والمزامير والتراتيل، وهو الذى يقول بعدم وجوب الختان =

عليهم السلام، فراجعوه فى ذلك، فقال لهم: إن الختان ليس بشىء، فأطبق الملكية على ترك الختان، وتربَّص بقية طوائف النصارى فلم يتجاسروا على إهماله.

وهذا بولس له كلمات تدل على تهكم وتلاعب بدين النصارى ستأتى متفرقة فى هذا المختصر.

وقد قال بعض النصارى: كل كلمة ينطق بها المسيح مركبة من اللاهوت والناسوت، فيلزم أن الإله قال لليهود: إنكم تريدون قتلى، وذلك خطأ عظيم.

معجزة دالة على نبوته:

قال يوحنا التلميذ: «أحيا[1] يسوع العازر وجاء إلى القبر مع أخته وقال لها: أين دفنتموه؟ فأشارت إلى المغارة التى هو فيها، فقال: ارفعوا الحَجَر عنه، ثم دمعت عيناه، فقال لليهود: انظروا حُبَّه له، فقالت أخته: يا سيدى إنه قد أنتن لأن له أربعة أيام، فقال: إن آمنتى رأيتى مجد الله، فرفعوا الحَجَر عن القبر، ورفع يسوع بصره إلى فوق وقال: يا أبتاه أشكرك لأنك تسمع منى، وأعلم أنك تسمع لى فى كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتنى، ثم نادى بصوت عظيم: اخرج فخرج الميت ويداه ورجلاه ملفوفة باللفائف ووجهه مستور بعمامته، فقال يسوع: حلّوه ودعوة يمضى إلى بيته».

فهذا وشبيهه ثبتت نبوته ووضحت رسالته بصريح لفظه وعجيب فعله، فهو إنسان من خواص المقربين وسادات المرسلين، أمده الله تعالى بالمعجزات وأيده بالآيات، والرب هو معيد الروح إلى قالبها، ويفعل ذلك عند دعوة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ليتوجه إلى العباد قبول أمره واجتناب نهيه، فهى كالشهادة من الله أنه أرسله بمنزلة قوله تعالى: صدق عبدى فأطيعوه، وقد تقدم أن جملة من الأنبياء أحيوا الأموات ولم يُتخذوا أربابًا وآلهة.

واعلم أن فى هذه القصة ما يدل على العبودية:

= ويدلل على ذلك بقوله «دُعِىَ أحد وهو مختون فلا يصير أغلف ودُعى أحد فى الغرلة فلا يختتن، ليس الختان شيئًا، وليست الغرلة شيئا، بل حفظ وصايا الرب» (اكو ٧:١٢/١٩) (انظر المسيحية ـ دكتور أحمد شلبى : ص ١٢٧ ـ مكتبة النهضة المصرية).

(١) قد سبق وخرّجنا هذا النص فاطلبه بين ثنايا الكتاب.

منها قوله: أين دفنتموه؟ وهل يخفى على الرب خافية؟!

ومنها قوله لأخته: إن آمنتى رأيتى مجد الله، فأضاف القدرة على الإحياء إلى الله تعالى.

ومنها: ابتهاله وطلبه وإظهار فاقته وحاجته إليه سبحانه، وعجزه وقصوره عن أن يأخذ إلا ما أعطاه، فكم صَرّح فى موضع من الإنجيل إذ يقول: إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئًا ولا يتفكر فيه إلا أن يأمره الآب، فلو كان المسيح كما يزعمون صفة من صفاته لجر إلى تلبيس عظيم، إذ سؤاله غيره وطلبه من غيره مطلوبًا منه تلبيس وتدليس وحمل لخلقه أن يقفوا به دون حقه وأن يعاملوه بما يقصر عن جلاله، فيخاطبونه مخاطبة الآدميين، وينسبونه إلى نبوة يوسف ومريم وهم من المخلوقين، فيجب إظهار ما بيناه من دلائل نبوته ورسالته للمسلم والكافر، أما المسلم فيزداد إيمانًا بقوله تعالى حكاية عنه:

﴿ما المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَم إلاَّ رسَوُلٌ قَدْ خَلَتْ منَ قَبْله الرُّسُل﴾ [المائدة: ٧٥].

وأما الكافر فحين تظهر عليه الحجة وتتضح له المحجة ويلزم من بسطت يده فى دنياه وأهمته العناية بأخراه أن يجمع من وجوه طائفة النصارى ومن رهابينهم وكبراء دينهم ويتلو عليهم هذه الفصول الدالة على العبودية والنبوة؛ ليهلك من هلك عن بينّة ويحيا من حيّ عن بينة، عسى يحصل لهم شكوك فى أباطيلهم ويتحققون الحق من أناجيلهم.

* * *

الباب السادس

فى أن المسيح عليه السلام ما أتى بعجيب إلا سبقه بمثله المرسلون وأتى به من أمة سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام الأولياء العارفون

قد تقدم آنفًا أن عيسى عليه السلام أزال بَرَص الأبرص السائل له لوقته، قلنا: لا خصوصية للسيد المسيح فى إزالة البرص بعد أن قرّب صاحب البرص قربانًا، فقد روى النصارى واليهود ما تقدم ذكره من قصة نعمان الرومى[(١)] لما برص ورحل إلى اليسع عليه السلام من بلده وقد تقدمت القصة بتمامها.

فهذا أعجب مما فعل المسيح لأنه أبرأ أبرص من غير تقريب قربان وقد تقدم ذلك.

وأما التوراة فتنطق أن مريم ـ أخت موسى وهارون ـ تغيرت على موسى فى أمر من الأمور، فلما صعدوا إلى قبة الزمان وكلمهم الله سبحانه وتعالى تهدد مريم وغضب عليها فإذا هى قد ضربت بالبرص من مفرقها إلى قدمها، فَرّق لها هارون وسأل موسى أن يدعو لها، فدعا لها فشفيت.

وأما حياة ابنة الرجل القائل له: إن ابنتى قد ماتت، فوضع يده عليها فعاشت.

ففى سفر الملوك أن إلياس أحيا ابن الأرملة[(٢)]، وأن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية[(٣)] وأن حزقائيل أحيا ستين ألفًا فى ساعة واحدة، وهذا أعجب من إحياء المسيح

---

(١) نُعمان: اسم سامى معناه «نعيم»، وكان رئيس جيش «ينهدد» ملك الآراميين فى أواسط سورية واصيب بمرض البرص، وبحث عن علاج، فأخبرته إحدى جوارى امرأته وهى يهودية أن فى السامرة نبيًا لله يقدر على إبراء المرض اسمه اليشع، وقد تحدث يسوع لمستمعيه عن شفاء نعمان ولقبه بنعمان السريانى». . اهـ.

(قاموس الكتاب المقدس ـ مادة نعمان ـ ص ٩٧٣).

(٢) القصة موجودة فى ملوك أول ١٨ : ١٧/ ٢٤.

(٣) القصة موجودة فى ملوك ثان ٤ :٨/ ٣٧.

الابنة المذكورة، وكذلك أعجب من إحياء العازر حبيبه المتقدم ذكره، والتوراة تشهد أن جماعة حملوا ميتًا لهم، فرأوا أعداءً لهم فرموا الميت وهربوا، فأحيا الله تعالى الميت ودخل المدينة بعدهم، ونظروا فإذا هم قد وضعوه على قبر اليسع، فأحياه الله ببركة تربة قبره.

وأعجب من ذلك أن موسى عليه السلام كان يقلب عصاه ثعبانًا، فبينما هى خشبة إذ صارت حيوانًا[1] ذا عينين تأكل ما مرت عليه، فقلبها حيوان أعجب من إعادة الروح إلى ميت.

وأعجب من ذلك أنه كان يذهب إلى كثيب من الرمل فيضربه بالعصا فينقلب الرمل قملاً ينساب على فرعون وقومه، فقد أنقلب من ضربة بعصاه الرمل حيوانًا كثيرًا لا يعلم عدده إلا الله، فكل رملة صارت قملة ذات روح وسَعْى وأعضاء.

واعلم أن معجزات سيدنا بل سيد المرسلين محمد عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك؛ لأنه ألقى الحياة على جماد من الشجر فصار يسعى إليه وينطق بالشهادة وبالرسالة لديه، وسبح الحصى فى كفه بصوت يسمعه الحاضرون، والنطق لا يكون إلا من حى، وكونه من غير آله أعجب، وكذلك حنين الجذع إليه لما فارقه وكان يخطب عليه.

وقلت:

يا عجابًا مِنْ حَنَّ جذعٍ إليه كيف لا تذهل العقول عليه؟

ظل يبكى والناس تعجب حتى ضَمَّه المُصطفى له بيديهِ

عَجَّ من لوعة الفراق فهلّا كان منَّا ما كان منه عليهِ؟!

وقد أحيا الله له بدعائه أبويه فأسلما على يديه[2].

ومن ذلك أنه أتاه رجل فذكر أنه طرح بنيَّة له فى وادى كذا، فمضى معه إلى الوادى وناداها باسمها يا فلانة احيى بإذن الله تعالى، فخرجت وهى تقول: لبيك وسعديك، فقال لها: إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردّك إليهما، فقالت: لا

(١) فى المطبوعة: عادت.

(٢) أفرد السيوطى آراء العلماء فى تلك المسألة فى خمس مؤلفات، فلتراجع. (دكتور مصطفى الذهبى).

حاجة لى بهما وجدت الله خيرًا إلىّ منهما.

وأعجب من ذلك ما جرى على يد امرأة ضعيفة ببركة هجرتها إلى رسول الله ﷺ:

قال أنس: توفى شاب من الأنصار وله أم عجوز عمياء، فجئناها وعزيناها، فقالت أمات ولدى؟ قلنا: نعم، فقالت: اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إلى نبيك رجاء أن يعيننى على كل شدة فلا تحملنّ علىّ هذه المصيبة، فما برحنا حتى كشف الثوب عن وجهه، فأحيى وعوفى، فطعم وطعمنا.

ومثل ذلك: توفى لأستاذنا[1] جارية فعند غسلها وضع سيدى يده[2] عليها وقال لا إله إلا الله فأجابته محمد رسول الله وعوفيت، فسئلت عن ذلك فقالت، قالت الملائكة: ردوها لأجل سيدها.

وقد أحيا الله الموتى لا من أجل أحد، بل معجزة لهذا النبى الكريم من الله العظيم حتى شهدوا له بالرسالة ثم عادوا أمواتًا على حالهم.

قال النعمان بن بشير: بينما زيد بن خارجة مارًا فى بعض سكك المدينة إذ خرّ

---

(١) لم ينوّه المؤلف عن هذا الأستاذ أو صفة من صفاته، وربما يأتى ذكره بعد ذلك صريحًا.

(٢) اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة فى الأعصار؛ ويّدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول.

أما دلائل العقل: فهى أمر يمكن حدوثه ولا يؤدى وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين فيجب وصف «الله» تعالى بالقدرة عليه وما كان مقدرورًا كان جائز الوقوع.

وأما النقول: فآيات فى القرآن العظيم وأحاديث مستفيضة.

أما الآيات: فقوله تعالى فى قصة مريم: ﴿وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا﴾.

قال إمام الحرمين أبو المعالى ـ رحمه الله ـ: ولم تكن مريم نبّية بإجماع العلماء.

وأما الأحاديث فكثيرة:

منها: حديث أنس أن رجلين من أصحاب النبى ﷺ خرجا من عند النبى فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد «منهما» واحد حتى أتى أهله.

أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الصلاة، وفى علامات النبوة.

نقلاً عن بستان العارفين للإمام يحيى بن زكريا النووى ـ نشر دار الصابونى.

.(١٢)

ميتًا، فرفع وسُجِّى، فسمعوه بين العشاءين[1] ـ والنساء يصرخن حوله ـ يقول: أنصتوا أنصتوا، وحَسَر الغطاء عن وجهه، وقال: محمد رسول الله النبى الأمى خاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الأول، ثم قال: صدق صدق، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، ثم خَرّ ميتًا كما كان.

ولما دُفِن ثابت بن قيس ـ وكان قُتِلَ باليمامة ـ فَسُمِعَ حين أُدخل القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم، فنظرنا فإذا هو ميت.

ودُفن خال لى فألحده والدى فسمع له كلام فى القبر فسألت والدى عن ذلك فقال، قال لى: اعمل لى[2] وليمة لوفاتى على الإسلام قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال السامع: سمعت له كلامًا كثيرًا لكن لم يخبرنى والدى إلا بذلك.

وأعجب من إحياء الموتى من الأجساد، إحياء القلوب بالإيمان والعرفان، بينما هو ـ أى القلب ـ جماد فى حكم الأموات إذا أحياه بمجرد نظرة من نظراته ولحظة من لحظاته، فيطير بهمّته إلى أعلى السموات ويكون مع الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وفى حضرة رب العالمين، ثم يفعل بالجسد ـ الذى هو به ـ العجائب والغرائب، فينقله من طور إلى طور، ومن قالب إلى قالب، فيكون الكون بما فيه من سمواته وأرضه وطوله وعرضه وجنته وناره وجميع آثاره لقمة يلتقمها أو ذرة يختبئها، فتطوى له الأكوان بما اختص به من شهود العيان تحت كل ذرّة من ذراته ولحظة من لحظاته وشعرة من شعراته.

وما خفى من أمره فالأعجب ... أمرٌ عظيمٌ مثله لا يكتبُ
هذا لعمركمُ السيادة كلّها ... والأمرُ فيه مُحقّقٌ ومُجَرَّبُ

ثم أورث هذا الإحياء لموات القلوب خواص أمتّه، فيفعلون فى القلوب الميتة كفعلته، فهم رضى الله عنهم لا يحصون عددًا، ولا ينقص منهم على مر الزمان مدد أبدًا، بل لم تزل طائفة منهم قائمين على الحق المبين حتى يأتى أمر الله ـ أى الساعة ـ كما روى عن سيد المرسلين، بل لا خصوصية للإحياء.

(١) العشاءين: هما المغرب والعشاء.
(٢) فى المخطوطة: اعلمى.

وقلت:

بلْ كلّ أمره عجيب   لم يأت فى الأنبياء مِثَالهْ
وإنْ بَدَا منهمُ عجيب   لكن مُمدّ الجميع حالهْ

واعلم أنه ما صدر من نبى من لدن عيسى عليه السلام فمن فوقه من الأنبياء من معجزة أو آية إلا ومعجزات سيدنا ونبينا محمد ﷺ أعجب وأعظم(١) وأبقى وأكرم؛ لأن منها ما بقى بعد وفاته معجزًا باقيًا على إعجازه شاهدًا بنبوته ورسالته وهو الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٢)، إذ كتب

---

(١) لمزيد من الوقوف على معجزات سيد الخلق يرجى الاطلاع على:
١ـ الروض الأنف ـ شرح سيرة بن هشام للإمام السهيلى.
٢ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير.
٣ـ دلائل النبوة ـ البَيْهَقى.
٤ـ إثبات دلائل النبوة ـ للقاضى عبد الجبار الاسترابادى.

(٢) ومن وجوه إعجاز القرآن ما أورده صاحب «مناهل العرفان» هكذا:
١ـ النظم البديع المخالف لكل نظم معهود فى ألسنة العرب.
٢ـ الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.
٣ـ الجزالة التى لا يمكن لمخلوق أن يأتى بمثلها.
٤ـ الإخبار عن المغيبات التى لا تعرف إلا بالوحى.
٥ـ عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.
٦ـ الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد، ومن الصور المعجزة ما يأتى: الإخبار بالمغيبات.
أـ فى غزوة بدر: سيُهزم الجمع ويوَلُّون الدبر؛ نزلت هذه الآية الكريمة على رسول الله ﷺ والمسلمون مستضعفون بمكة ويقول عمر بن الخطاب: إن رسول الله ﷺ خرج عليهم فى غزوة بدر وهو يردد هذه الآية الكريمة، ففهم عمر ـ رضى الله عنه ـ معناها وأنها أخبرت عن هزيمة المشركين من قبل وقوعها بزمن بعيد.
ب ـ ﴿غلبت الروم فى أدنى الأرض وهُم من بعد غَلَبِهم سيُغْلَبون﴾.
جـ ـ الإخبار عن بعض الأمور العلمية التى لم تكن معروفة وقت نزول القرآن والتى أظهرها التقدم العلمى فيما بعد.. اهـ.
(انظر: مناهل العرفان فى علوم القرآن ـ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى . أحكام التجويد وفضائل القرآن محمد محمود عبد العليم رئيس جماعة تلاوة القرآن الكريم).

الأنبيـاء من قبله وقع بها التـحريف والتبديل كـما فى التوراة والإنجـيل، والكتاب العزيز محفوظ من الله من التغيير والتبديل، ينادى على خلق الله جيلاً بعد جيل: ﴿قل فأتوا بسورة من مثله﴾ على طول المدى.

ثم ما أبـداه من المعجزات وظـهر على يديه من الآيات أعـجب من معـجزات الأنبياء قبله، إذ ليس منهم أحد مثله.

وقلت:

[شق لموسى] البحر فى أرضه ... وللمنيـر البـدرَ فـوق السَّمَا[1]
أحيـا لعيسى الميت لكـن له ... أحيا القلوب الغُلْفَ بَعْدَ العَمَا
وأنطق الحصباءَ فى كَفِّه ... والنُّطق مِنْ إحيائها استلزَمَا[2]
صار جَمَاد القلب من نوره ... طـيرًا إلى العليـاءِ قـد يَمَّمَا
يختـرق السَّبـعَ الطِّبـاقِ التى ... كـان بها إسراؤه مِثْـل مَـا
خصّ به للقلبِ يفضى به ... مكرّمًا لمـا إليـه انْتَمَـا
أعْجَبْ من طيرٍ من الطِير إن ... طَارَ فلا يبلغ أدنى الحما
مـا باطن تحمـــد آثاره ... كغيـره، ليس الثّرى كالسَّمَا

وقلت:

والحق إنا لا نرى من غيرهِ ... عجبًا وذلك نوره وهـداهُ
أبدى العجائبَ قبل مبدأ خلقهِ ... وَضَحَ الخفا ليس العجيب سِوَاهُ

ومصداق ذلك:

وكلّ آيٍ أتى الرسلُ الكرامُ بها ... فإنما اتَّصَلَتْ مِنْ نورهِ بِهِمِ
فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناسِ فى الظلمِ

وكـذلك ما بدا مـن أمتـه المتـبعـين آثار سُنّتـه والمتـحلين بحُلَى شـريعتـه من الكرامات، مـعجز له على مـدى الأوقات فمن أتباع أتبـاع أتباع أتباع أتبـاع أتباع

(١) «شق لموسى» ساقطة من الأصل فأثبتناها لتمام المعنى واستقامته.

(٢) فى المخطوطة: استهدما.

الأتباع فمن فوقهم ومن دونهم من هذه الأمة المحمدية من السادة العارفين المقربين بحضرة رب العالمين من أحيا الأموات[1] وأتى ببديع الكرامات ، فمنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد القادر الكيلانى[2] وهبت له امرأة ولدها للتربية ثم جاءت لزيارته فوجدت معه قرص شعير وعليه آثار المجاهدة، فدخلت على الشيخ فوجدته يتغذى وبين يديه عظم دجاجة، فقالت: يا سيدى، ولدى يأكل الشعير وأنت تأكل الدجاج؟! فقال للدجاجة: قومى بإذن الله، فقامت تسعى وتصيح، وهذا من غير دعاء وتضرع.

---

(١) ما سيورده المؤلف من أمثال هذه الحكايات والادعاءات يُضْرب به عرض الحائط، فليحذر منها القارئ.

جار المؤلفُ وحَادَ به القلمُ ليت المؤلف لم يُبْرَ له قلمُ
شطحاتٌ وتُرَّهاتٌ وبأمثالها ضاعت من قبلنا بها أممُ
لولا الأمانة لمحوتها وما كنتُ لأصول التحقيق مُلتزمُ

(دكتور مصطفى الذهبى)

(٢) الشيخ عبد القادر الكيلانى: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكى دوست الحسنى أبو محمد محى الدين الجيلانى أو الكيلانى أو الجيلى. مؤسس الطريقة القادرية من كبار الزهاد والمتصوفين ولد فى جيلان «وراء طبرستان» وانتقل إلى بغداد شابًا سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ التصوف والعلم وبرع فى أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر وتصدر للتدريس والافتاء فى بغداد عام ٥٢٨ هـ وتوفى بها، وله كتب منها «الغُنْية لطالب الحق» و «الفتح الربانى».

وللمستشرق مرجليوت الإنجليزى رسالة فى ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الأسياوية الإنكليزية.

وقالوا عنه أنه أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها، وأنه فاق أهل زمانه فى علوم الدين ووقع له القبول التام حتى أن عبد الله بن قدامة (٥٤١ـ ٦٢٠ هـ) الفقيه الحنبلى المشهور وصاحب رسالة «ذم ما عليه مُدَّعُو التصوف» امتدحه فقال: لم أسمع عن أحدٍ يحكى عنه من الكرامات اكثر مما يُحكى عنه، ولا رأيت أحدًا يعظمه الناس للدين أكثر منه، وأشاد بسلوكه ابن كثير لقيامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتأثر به الإمام ابن تيمية وقال عن طريقته: إنها الطريقة الشرعية الصحيحة. . اهـ.

(انظر: الأعلام ـ خير الدين الزركلى ـ ج ٤ ص ٤٧ . الموسوعة الصوفية ـ دكتور عبد المنعم الحفنى ص١١٤).

ومثل ذلك ما حدثنيه بعض أصحـاب أستاذنا رضى الله عنه: أنه أتى إليه بطير حسن الريش مـات فى يده، فقال: يا سـيدى، هممت أن آتى به لولدك فـمات، فأخذه الأستـاذ فى كفه، فرأيت الحياة تسرى فى ريشـه وعظمه، حتى طار من يد الشـيخ، وذلك بدون دعاء وتضـرع، فانقض عليـه باشق[١] فقال الأسـتاذ: أردنا إحياءه، وأراد الحق إماتته.

ومما يُحكى أن بعض التجار ببغداد صنع وليمة ودعـا فيها كُبراء بغداد وأولياءها كالشيخ عبد القـادر والشيخ أحمد الرفاعى[٤]، فلما قُدِّم السماط[٢]، أتوا بسلة[٣]

(١) الباشق اسم طائر، أعجمى مُعَرّب. (لسان العرب ١/ ٢٧٩ ـ طبعة دار المعارف).

(٢) السماط: ما يُمَد ليوضع عليه الطعام فى المآدب ونحوها وجمعه سُمُط وأسمطه. (المعجم الوجيز ص ٣٢١).

(٣) فى النسخة المطبوعة : جاءوا.

(٤) الشيخ أحمد الرفـاعى: السيد أحمد بن السيد ابن الحسن على الرفـاعى الحسينى مؤسس الطريقة الرفـاعية أو البطائحـية، وينسب إلى جَده رفاعـة المغربى الحسـينى وكانت ولادته بقريـة حسن من أعمـال واسط بالعراق سنـة ٥١٢ هـ ووفاته بقـرية أم عبيـدة بين واسط والبصرة سنه ٥٧٨ هـ ولم يخلف كـتبًا إلا أن تلاميذه جمعوا مـا قال فى ثلاثة أسفار هى «جمع أسرار الشريعة والحقيقة والطريقة» والمشهور باسم «البرهان»، و«النظام الخاص لأهل الاختصاص»، و «رحيق الكوثر».
ونظرية التصوف عند الرفاعى أساسها احتـرام الشريعة أولاً وأخيرًا، والطرق الصوفية التى تخالف الشـريعة زندقـة، وما لم تشـرق مناهجهـا بنور علم النبى وعمله فـهى باطلة؛ فالطريق الحق هو طريق النبى، والصوفى المتبع هو الذى يعظم شأن النبى لأنه الداعى إلى الله والمخبـر عنه والآخذ منـه، ومن اتصل به اتصل، ومن انفصل عنه انـفصل، وجمـيع الخلق مخاطبون بشريعته ومن رد أخباره الصادقة كمن رد كلام الله تعالى، والتصوف الحق لا يأخذ بالرأى فما هلك من هلك إلا بالرأى.
فالصوفى آدابه تدل على مقامه، وأقواله وأفعاله وأخلاقه ميزانها الشرع.
ويقول: وينقلون عن الحَلّاج أنه قـال: أنا الحق، وقد أخطأ الحلاج بوهمـه فلو كان على الحق ما قال أنا الحق، ويذكرون له شعـراً يوهم الوحدة، وكل ذلك ومثله باطل، وما أراه رجلاً واصلاً أبدًا.
وقال رضى الله عنه: الطريق محَجّة بيـضاء، وكل ما فيه من قـول وفعل بَطُن أو ظهر لا يتجاوز دائرة الشرع، وكل ما خالف الشرع فهو زندقة، والطريق أن تقول: آمنت بالله، =

يحملها اثنان ووضعوها فى طرف السماط، فأطرق الشيخ عبد القادر، فلم يجد أحد أن يمد يده إلى الأكل منه، ثم قال لنقبائه: احملوا السلة وائتوا بها إلىَّ، ففعلوا، وكشف عنها وإذا بها صبى مُقْعَد أجزم أعمى لا حراك به، فقال له: قم بإذن الله تعالى، فقام معافى يسعى.

ومثل ذلك ما حكى ابن محرز، حضر زائرًا إلىَّ ابن أبى يزيد القيروانى، وكان عنده بنت مقعدة كسيحة لا حراك بها، فقال له: يا سيدى ادع الله لها. فقال: لا يخدمن على السماط إلا هى، فقامت كأنها نشطت من عقال[1].

فقد أقام الأولياء من هذه الأمة المقعد من غير دعاء ولا تضرع، وهكذا شأن كراماتهم رضى الله عنهم.

ومن عجيب ما حكى عن بعضهم أنه كان تاجرًا بأرض الشام، فأتى بستة أحمال من الحرير والقماش، فامتنعت الجمال من أكل عليقها، وكان فى مفازة[2] حيث لا يمكنه أن يكرى عن أحماله عند فقدها، فاستغاث بأستاذنا وتوجه إليه، فمكثت ستة أيام لم تأكل عليقها وهى تحت أحمالها لم يضعف مسراها، ولم يتغير حالها، حتى وصل إلى بلدٍ يمكنه الكراء منها، فسقطت ميتة، منفوخة بادٍ نتنها، فمرَّ بها رجل عارف، فقال: هذه لها ستة أيام ميتة[3].

= ووقفت عند حدود الله، وعظمت ما عظم الله، وانتهيت عما نهى الله، ولا طريق بعد هذا أبدًا. . اهـ.

(الموسوعة الصوفية ـ دكتور عبد المنعم الحفنى ص ١٧٩/ ١٨٠ نشر دار الرشاد ١٤ ش جواد حسنى ـ القاهرة).

(١) العِقال: الحبل الذى يُشَد به البعير.

(٢) المفازة: الصحراء.

(٣) هذه القصص التى جاء بها المؤلف خارجة عن موضوع الكتاب الأصلى، وليته أعرض عنها، ففى صحيح المنقول ما يغنى عن أمثال هذه القصص والحكايات المرزولة، التى لم تثبت عن معصوم؛ فضلاً عن أستاذه المجهول، فليحذر منها القارئ وليكن على بصيرة من دينه.

(دكتور مصطفى الذهبى)

فـأحيى الموتى بذكـر أتبـاع أتباع المصطفى ﷺ فى حـال الغـيبـة فكيف به فى الحضور.

وقال صاحب البردة:

لو ناسبَت قَدْرَه آياتُهُ عِظَمًا

أحيى اسمُه حين يدعى دارس الرمم(١)

فبـذكر اسم بعض أتبـاعه فى غيـبتـه أحيا الله تعـالى الجمال، وحـملت ثقل الأحمال إلى مبلغ مأمنه، فأظهر الله كرامة وليه بموتها ونتنها، وذلك معجزة للنبى ﷺ والتوسل إلى الله بأوصافه الكرام.

وقـد رأينا من أستـاذنا من هذا الأمر عـجـائب وغرائب، بذكـر اسمـه تنجح المطالب وتنقضى المآرب، ويحصل للمستغيث الأمان، وينبت شعب الإيمان.

وقلت:

تحيا بذكر اسمه موتى القلوب — كما تحيى من الجدب أنواءٌ وأمطارُ(٢)

وما استغيث به فى كلِّ حادثةٍ — إلا استجابت إلى داعيه أنصارُ

وما ادلهمت صروف الدهر داجية — إلا وافاها بنورِ الأمنِ إسفارُ(٣)

ومـــا وفــاكـمُ لو كتبت — آثاره ضمَّت الأخبـارُ أسفـارُ

(١) حاصل معنى البيت: أنه لو كـانت آياته العظام مناسبة لمقدار كماله لأحـيا الله تعالى بعد وفاته ببركة اسمه العظام البالية والأجسـاد الفانية؛ لكن ما أحيى الله تعالى بعد وفاته تلك العظام لستر غايات كمالاته بين الأنام.
(شرح بردة المديح ـ للشيخ عمر بن أحمد الخربوتى ـ طبعة تركيا).

(٢) النوء: النجم إذا مال للغروب، والمطر الشديد (ج) أنواء.
(المعجم الوجيز ـ باب ناء ـ ص ٦٣٨).

(٣) ادلهم الظلام: كَثُف، والليل: اشـتـد ظلامه فـهـو مُدْلَهِمّ. (المعجم الـوجيـز باب ادلهم ص: ٢٣٣).
و «داجية»: الظلمة (ج) دَواج. (المعجم الوجيز باب دجا ـ ص ٢٢١).

وبذكـر اسمـه ـ كمـا عـهدنا منه رضى الله عنه ـ تنـكشف الكروب وتنكسف الخطوب.

وقلت:

وإذا الكروبُ تزاحمت   وتميَّـزت غيـظًا وقهرا
يُدَعى بكشاف الكروب   وقلبهـا فرحًا ونصرا

وقد تقدم قول يوحنا المعمـدانى ـ وهو يحيى بن زكريا ـ وقد أرسل إلى المسيح اثنين من تلاميذه وقال: قولا له: أنت الآتى أو يرجى آخر، فقال لهما عيسى عليه السلام: اذهبـا وأخبراه بما رأيتـما، العمى يـبصرون، والبـرص يطهرون، والموتى يقومون، فطوبى لمن لم يشك فىّ، ثم قـال: الحق أقول لكم لم تلد النساء أفضل من يحيى، والصغير فى ملكوت الله أفضل منه؛ يريد نفسه.

فاعلم وفقك الله تعالى أن ما فعله السيد عيسى عليه السلام ـ مما أخبر به يحيى ـ صدر مثله وأعجب من سيد المرسلين صـلوات الله عليهم أجمعين، ومن السادة العارفـين وأولياء الله المقـربين، فقد رَدّ الـعيون بعـد عماهـا، وأزال غُمة القلوب وزكَّاها وآتاها هداها، الموتى من خواص أمـته فضلاً عنه بنفحـة من حاله الشريف دون دعاء فى الغـيبـة والحضور يقـومون، وعُمْى القلوب التى فى الصـدور بهُداه يبصـرون، والأشقـياء بلمـحة من نوره يسـعدون، فـالأنبياء والمرسلـون والأولياء والعارفـون من فيض نوره يقـتبـسون، وعلى موائد فـضله يتطفلون، فـأعداؤه بما أسدى من مكارمه بذيول حيائهم يتعثرون، وبما بهـر عقولهم من عجائب معجزاته يتحيرون.

وقلت:

صـيَّرَ أعــداءَه برحـمــتـه   هُمُ الأحـيـاءُ نِعْمَ مـا فَعـلا
قـابلـهم بالجمــيل تكْرمـة   فكم أنـار القلوبَ والـسُّبُلا
وكم كعيسـى من خاص أمته   يفـعل فى العـالمين ما فَعـلا
نشــــهــدُ أن الإله أيَّدَه   بالروح منه وغـيـر ذَاكَ فَلا

وأنه عـبـده وآيتـه أرسله رحـمـةً لمن قَبـلا
مصـورٌ فى الحشـا بلفظة كن ووصف رب العـباد ما نـقلا
له فخـارٌ على الذين سبـقوا فـكـان أولاهَمُ بـكلٍّ عُـلا
من حيث كان البشير قبل بمن فـاق النبـيين بعـد والرُّسُلا
جـزاء بُشْراه عند خـالقـهِ بالنصرِ منه على السـماءِ عَلاَ

وما ذكر من معجزات المسيح أنه حـضر عنده خلق كثير وليس عنده إلا خمس خبزات وحوتان، فرفع بصره إلى السمـاء، ودعا وبارك على الطعام، فأكل الجميع وشبعوا.

فلو جاز دعوى الربوبية بمثل ذلك لكان موسى ومحـمد عليهما الصلاة والسلام أولى بذلك؛ لأن موسى أطعم أهله وقومه المنَّ والسلوى وكانوا ستمائة ألف سوى النساء والصبـيان، فكان المن يسقط على الأرض بالليل كأنه الجـليد، أبيض كحب الكزبرة، وطعمه كالشهد، وأما السلوى فطائر السمانى[1] كان يتراكم على الأرض حتى يملأ الأرض، وأما سيد المرسلين فقد أتى من ذلك بالعجب العجاب: أطعم أهل الخندق وكانوا جمعًا كثيرًا من صاع وشـويهة فصدروا والعجين بحاله والبُرْمَة بحالها لم ينـقص منها شىء، وقد ورد فى معنى ذلك من إطعـام الجم الكثير من الزاد القليل مـا يضيق عـنه هذا الكتاب، وسـيأتى مـا اختـص به من تكثيـر الماء القليل، وذلك فى أحاديث كثيرة شهيرة.

قال أبو أيوب: صنعت لرسول الله ﷺ طعامًا قدر ما يكفـيه وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فأكل منه مائة وثمانون رجلاً حتى تركوه.

---

(١) السُمَانَى: قال الزبيدى: هو بضم السين وفـتح النون على وزن الحبارىَ، اسم لطائر يلبد بالأرض ولا يكاد يطيـر إلا أن يطـار، هو طائر مـعـروف، ولا تقل سُمّانى بالتَشـديد، ويسمى قتيل الرعد؛ من أجل أنه إذا سمع الـرعد مات، ومن عجيب أمره أنه يسكت فى الشتـاء فإذا أقبل الربيع يصبح ويتـغتذى بالبـيش والبيشاء وهمـا سُمّ نافع قاتل، وهو من الطيور القـواطع لا يدرى من أين يأتى، ولأهل مصر به عناية ويتـغالون فى ثمنه، ويُحَل أكله بالإجماع. . اهـ.
(حياة الحيوان الكبرى ـ كمال الدين الدميرى ـ ج ع).

وقد أتى عليه الصلاة السلام بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غُدوة إلى الليل، يقوم قوم ويقعد آخرون.

ودعا فى بعض مغازيه بِجَمْعِ ما معهم من الأزواد، فَجُمِعَ كل ما فى الجيش من ذلك فصار كربضة العنزة، ثم دعا الناس بأوعيتهم فلم يبق فى الجيش وعاء إلا مَلأه، وفضلت فضلة عن ذلك.

وأَطْعَمَ عليه الصلاة والسلام ثمانين رجلاً من ثلاث أقراص شعير جاء بها أنس تحت إبطه.

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: أصاب الناس مخمصة[1]، فقال عليه الصلاة والسلام: هل من شىء، قلت: نعم، شىء من تمر فى مِزْود، فقال: ائتنى به، فأدخل يديه وأخرج قبضة، ثم دعا بالبركة، ثم قال: ادع عشرة، فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا، حتى أكل الجيش كله وشبعوا، ثم قال عليه الصلاة والسلام: خذ ما جئت به، فأكلت وأطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر، وجهزّت منه كذا كذا وسقًا فى سبيل الله، وكان عِدّة ذلك التمر بضعة عشر تمرة، وهذا من أعجب العجائب.

وأما ما صدر من الأولياء العارفين فكثير جدًا، من ذلك ما شاهدته عيانًا أنه كان بمكة سيد من العارفين يسمى عبد الله المساوى، كان شريفًا معمرًا، أخبر أن سنّه ثلاثمائة عام، وكان يُطعم أهله وعياله ومريديه وكانوا نحو ثلثمائة رجل وعيالهم وأولادهم مما يدرسوه لهم[2] فى كل يوم نحو قدحين مصرى، ومريدوه يحكون عنه من ذلك العجائب.

وقد سأل فى زيارة أستاذنا لما كان مجاوراً بمكة، فأذن له، وطبخ له طعامًا لظنه أنه يأتى له بمفرده، فأتى إليه بجميع مريديه، فقدم إليهم سماطًا من أول السرحة إلى آخرها، والطعام لا يكفى اثنين، والخبز نحو خمسة أرغفة، فأكلوا حتى صدروا شباعًا، والسماط بحاله، فقد أكرمه وأكرم مريديه بمثل كرامته، وقد رأينا

---

(١) المخمصة: المجاعة. (المعجم الوجيز).

(٢) فى المخطوطة: يدروزلهم.

من أستاذنا فى ذلك عجبًا.

تنكيت: اعلم أن الحق أن روح القدس هو جبريل عليه السلام لما كان مظهرًا فى نفخ الروح فى درع مريم فتكوّن المسيح بذلك ليكون آية من آيات الله تعالى، وقد سبق أمثال له فى خلقه وأعجب إذ آدم خلقه من غير أم ولا أب فهو أعجب من المسيح من جهة أنه لا أم له، فلما نفخ جبريل فى درع أمه، صار المسيح روحًا مؤيدة بروح القدس فى بطن أمه فصار يكسب الأجساد الميتة حَياة، ويصور طيرًا من الطين فينفخ فيه فيصير طيرًا، كل ذلك من آثار تلك النفخة من روح القدس.

ألا ترى إلى السامرى لما علم بجبريل عند شق البحر لموسى واستعصى فرس فرعون على الدخول أخذ من تحت حافر فرسه ترابًا لعلمه أنها ليست بفرس حقيقية وإنما هى طور من أطوار جبريل، فألقى ذلك التراب على عجل مصنوع من ذهب، فانقلب جسدًا ذا لحم وعظم وشعر وروح له خوار، فهذا من آثار تراب مَسّه طوره، فكيف بالمسيح وقد تكون جسده من نفخه ولازمه بالتأييد بعد بعثه، والنصارى يزعمون أن روح القدس إله ثالث، ولم يرد ذلك فى كتاب ولا أثارة من علم، بل هو جبريل ولى النعمة وحامل آثار الكلمة، إذ الكلمة صفة المتكلم، وهى لا تفارق موصوفها، إذ ذلك ممتنع عقلاً ولا ثبت نقلاً، فلا عجب إذ أبدى العجائب، وأظهر من محاسنه الغرائب.

واعلم أن نبينا محمدًا ﷺ قد حاز أشتات المحاسن كلها، إن لم يكن أهلاً لذلك من لها؟!

فما خص نبى بمعجزة إلا أتاه الله خيرًا منها أو مثلها، فلما كان عيسى روحًا بمعنى أن الروح من أعظم صفاته وأوصافه البشرية اضمحلت فى معانى ذاته، رفعه الله بجسده إلى السماء لأنه صار روحًا كله، فعَظُم فضله وشرف محلّه، ولسيد المرسلين من ذلك أشرف الأوصاف وأعظم الائتلاف، فصار سرًا كله، إذ هو أعظم الأرواح، يكسب الحياة ما شاء من الجمادات؛ فالشجر يسعى وينطق بالشهادتين بين يديه، والحجر يصلى ويسلم عليه، والجذع يحن لفراقه، والحصى ينطق فى كفه بتسبيح خلاقه.

فعيسى كان تأييده من روح القدس بنفخة واحدة، فكيف من كان روح القدس ولى أمره من صغره إلى كبره، شق عن صدره وعن قلبه، وملأه حكمة من إسرار ربه مما يعجز عنه البيان ولا يطلع عليه الجنان فيقوله اللسان، وفعل ذلك به عند إسرائه ليتأهل لحضرة ربه ولقائه، فله الشرف الباذخ والقدم الراسخ والسيادة الكبرى، فسبحان الذى أسرى بعبده فكان الصاحب له فى السفر فحبذا الصاحب فى إسرائه، والمانح له أعظم الكرامة عند لقائه، ورافعه بجسده الشريف إلى أرفع من سمائه، والروح القدس خادمه وحامل لوائه، إلى أن انتهى إلى حجب الجلال فتخلف من ورائه فى مقامه المعلوم، فنال عليه الصلاة والسلام من رتب القرب فى حضرة الحى القيوم ما تقصر عنه الأحوال وتعجز الفهوم.

وقلت:

رُتَبٌ تترك الأمانى حَسَرى ... دونها ما وراءهن وراءُ
فحباهُ منها بأسنى مقامٍ ... دونه المرسلون والأنبياءُ
فهو أدنى من قاب قوسين لكن ... ما له فى الدّنوِ بعد انتهاءُ
فإذا رُمْت مَدْحه قلت فيه ... قَوْلَ صدقٍ لا يعتريه المِرَاءُ
ليس ترقى رُقِيَّك الأنبياء ... يا سماء وما طاولتها سماءُ
إنما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماءُ
أنت مصباح كل فضل فما يصـ ... ـدر إلا عن ضوئك الأضواءُ
قسمًا بالذى أنالك فخرًا ... يقصر المدح عنه والإطراءُ
ما يرى فى الوجود شبهك حتى ... صار فى بعض ما مُنحت كفاءُ
ليس لله من شريك ولكن ... آله المكرمون والأصفياءُ
إن عيسى وهو ابن مريم عبدٌ ... عمَّه من إلهه النعماءُ
شاكرًا نعمة الإله نبيًا ... زانه العلم والهدى والتقاءُ
ليس عيسى كما يقولون ربًا ... هو من ذلك المقالِ براءُ

وقلت:

ومبشرًا أهل السما بقدومه وبأنه الآتى لهم من بعدهِ

لكن لأرفع رتبة وأعزها عند الإلهِ فلا يُقاس بمجدهِ

حتى ترقى عن مقام يُسْمَع فيه صرير القلم بما قدر وحكم، فلما ترقى لرفعة يعظم خطرها على الأنام، من دونها صُعِق موسى عليه السلام، فما زاغ بصره وقد سمع السلام من السلام بالتحية والإكرام، فخصص وعمم، وتفضل وتكرم، فقال وعلى عباد الله الصالحين؛ لأنه ولى أسرارهم، ومعدن أنوارهم، ومفيض عليهم النعم، ومموليهم أسباب الفضل والكرم، فالنبى نبوته، من أسرار نبوته والرسول رسالته من معنى رسالته، والولى ولايته من فيض كرامته، فكل من أمته داخل فى تحيته بل من أمة هذا النبى الكريم رجال - وأى رجال - خلفاء نبيهم، لا يفترون عن مشاهدة جمال ربهم، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار، رُهْبان الليل أُسْدٌ بالنهار، كما وصفهم الله تعالى فى الكتب القديمة بالصفات الكريمة.

واعلم أن الله تعالى نجّى نبيه عيسى عليه السلام بصعوده إلى السماء من أعدائه وألقى شبهه على رجل من أهل ولائه، وقد تمالأت قريش فى بيت النَّدوة - وهو بيت المشورة لمهمات أمورهم - على قتل سيدنا محمد ﷺ فجمعوا من كل قبيلة رجلاً بسلاحه، فأمر عليه الصلاة والسلام عليًا أن يمكث فى مكانه ليفديه بنفسه، فامتثل مطيعًا لأمره، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل أنى جعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فمن يفدى صاحبه بنفسه، فامتنع كل من الفداء، فقال لهما: إنى واخيت بين نبيّى وبين علىّ وها هو قد فداه بنفسه، فانزلا فاحرساه، فنزلا بحراسته، وصارا يقولان: بخ بخ يا ابن أبى طالب يباهى الله بك الملائكة، وبالجملة فقد كان النبى ﷺ فى مَنَعَة من ربه، وحراسة من خالقه، فمن ذلك قصة سُرَاقة لما قصده - وقد سمع الجعالة[١] على الدلالة عليه - فغاصت قوائم فرسه فى صلب من الأرض، ثم لما زجرها طلعت ولقوائمها دخان من الأرض، فكان أولاً

---

(١) الجَعَالة: ما يُجْعَل على العمل من أجر (ج) جعائل (الجعل). (المعجم الوجيز باب جعل ص ١٠٨).

أتى للدلالة عليه فصار دليلاً بين يديه، يسـأله الأمان وأن يكتب له عهدًا، فانقلب يصرف الناس عن طلبه وعن تتبع مذهبه، يقول لهم: كفيتم ما ههنا، بل كفى الله نبيه أسباب العنَا.

وقلت:

ووالله لم يحتج لقول سراقة	ولو أبصروه نالهم كلما لهْ
وساختْ بهم أيدى الجياد وأحجموا	وصاروا جميعًا حالهم مثل حالهْ
ومـا كان أعنى ذاته عن تسترٍ	بغارٍ ونسج العنكبوت ببابهْ
ولو أنَّ كلاً منـهمُ قـد بدا له	لحلَّ به ما لم يكن فى حسابهْ
إذا كان عونُ اللهِ للمرءِ لم يكن	كلاءته فى كلِّ حالٍ سوى بهْ

لقد كفاه المـستهزئين من قومه ورماهـم بأنواع البلاء، فلم يكن ﷺ لعظم شأنه مستـترًا من أعدائه بل هم الخائفـون من سطوته الراغبون فى أمـانة، قد نصره الله بالرعب من مـسيرة شـهر، فالقلوب مـنه واجفة، والافـئدة من صولـته وسطوته راجفة، وقـد خاطر أبو جهل بنفـسه فأتى بصخرة يطـرحها عليه، فحـين شاهده يبست يداه فلم يستطع الدنو إليه، فسئل عن انتقـاع لونه وجبينه ورجوعه القهقرى وضعفه ووهنه، فذكر أنه عَرَض له دونه فحلٌ لم ير مثله هَمّ أن يأكله، فقال عليه الصلاة والسلام: ذلك جبريل، لو دنا لعجل قتله.

وفى رواية أخرى: ولى هاربًا ناكصًا على عـقبيه متقـيًا بيديه، فسُئل عن ذلك فقال: لما دنـوت منه أشرفت على خندق مملوء نارًا كدت أن أهوى فيـه، وأبصرت هولاً عظيمًا وخفق أجنحة ملأت الأرض، فقال عليه السلام: تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضواً عضواً.

وعن شيبة بن عثمان الحجى قـال: فلما كان يوم حُنَين ـ وكان حمزة قتل عمى وأبى ـ قلت: اليـوم أدرك ثأرى من محمـد، فلما اخـتلط الناس أتيتـه من خلفه ورفعت سـيفى لأصـبّه عليه، فلمـا دنوت منه ارتفع لى شواظٌ من نـار أسرع من البـرق، فوليت هاربًا، وأحس بى النبى ﷺ فـدعانى، فـوضع يده الشريفـة على صدرى ـ وهو أبغض الناس إلىّ ـ فما رفعها إلا وهو أحب الناس إلىّ، وقال: ادن

وقاتل، فتقدمت أمامه اضرب بسيفى وأقيه بنفسى.

وعن فضالة بن عمر قال: أردت قتل النبى ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت، قال: فضالة؟ قلت: نعم، قال: ما كنت تحدث به نفسك؟ قلت: لا شيء، فتبسم واستغفر لى ووضع يده على صدرى، فسكن قلبى، فوالله ما رفع يده حتى ما خلق الله من شيء أحب إلىّ منه ﷺ.

وقال الحكم بن أبى العاص: تواعدنا على النبى ﷺ حتى إذا رأيناه سمعنا صوتًا ظننا أنه ما بقى بتِهَامَة أحد، فوقعنا مغشيًا علينا، فما أفقنا حتى قضى صلاته وذهب إلى أهله.

وقال عمر: تواعدت أنا وأبو جهم ليلة على قتل رسول الله ﷺ فجئنا منزله، فسمعناه يقرأ: ﴿**الحاقه * ما الحاقه...**﴾ [الحاقة: ١، ٢] حتى انتهى إلى قوله: ﴿**فهل ترى لهم من باقية**﴾ [الحاقة:٨] فضرب أبو جهم على عضدى وقال: انج، ففررنا هاربين.

وربما أخذ الله على بصر من يريده كحمالة الحطب.

وقصده أعرابى والسيف فى يده وقال من يمنعك منى؟ قال: الله، فسقط السيف من يده فأرعد.

وأعرابى آخر أسلم، فلما رجع إلى قومه عاتبوه، فقال: رأيت شخصًا طويلاً أبيض دفعنى، فعلمت أنه مَلَك فأسلمت.

ومن عصمة الله تعالى له أيضًا أن كثيرًا من اليهود والكهنة أنذروا بقتله قريشًا، ووصفوه لهم، وأخبروهم بسطوته لهم، وحرضوهم على قتله، فحماه الله وعصمه من كل سوء حتى بلغ فيه كرامته.

وأتى رجل إلى النبى ﷺ ليقتله، فطمس الله على بصره فلم يره، وكان يسمع قراءته ولا يهتدى إليه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه.

وقد روى أفاضل الصحابة أنهم سمعوا ليلة ولادة رسول الله ﷺ يهوديًا ينادى على أطم[1] من آطام المدينة أنه قد طلع نجم أحمد فى هذه الليلة، وذلك مواطىء

---

(١) الأطم: الحصن، و (ج) آطام: أى حصون

لقول المجوس الذى حكاه النصارى فى إنجيلهم عند مولد المسيح، وقد حكى النصارى أن أم المسيح هربت به إلى مصر حين خافت عليه من هيرودس.

واعلم أن سر نجاة المسيح برفعه إلى السماء، والحق قادر على نجاته بحمايته منهم كما نجى حبيبه ونجيّه ونبيّه محمدًا عليه أفضل الصلاة والسلام بما ألقى فى القلوب من الرعب عند رؤيته وعصمته فى كل حال من سائر خليقته، كان ذلك مبشرًا بنبوته أهل ملّته لأن يكون بعد ذلك من خواص أمته حكمًا عدلاً بشريعته، مدفونًا بعد مماته بتربته وذلك جزاء بشارته، وقد تقدم أن اختفاء المسيح من أعدائه وتواريه منهم وهربه وانتقاله من مكان إلى مكان خوفًا من كيدهم غير قادح فى نبوته ولا فى سُمُو رتبته، بل وتسلط الأعداء عليه وعلى السادة الأنبياء كيحيى وزكريا وتمكنهم من قتلهم ليس قادحًا فى شرفهم وإنما أنالهم الله تعالى فوق رفعة النبوة الشهادة، فصاروا شهداء أنبياء، وقد أنالها الله تعالى لنبيه عليه السلام وهو مرفوع الجناب مالك الرقاب لكن لكل مقام مقال، فمحمد عليه الصلاة والسلام مخصوص بزيادة العصمة والإكرام، منصور بالرعب من مسيرة شهر على الأعداء اللئام، مرفوع الرتبة عالى الجناب، كفّ الله عنه الأيدى التى همت بالبسط إليه كما سطر فى الكتاب، أعطاه الله العصمه من الناس، فصرف عن بابه الحجاب والحراس، فلقد آتاه الله ملكًا عظيمًا، وهداه صراطًا مستقيمًا، ولما كان رحمة للعالمين لم يحق القول على أمته كما حق قبله على الكافرين؛ لأن كلمته تمت، وهيبته حقت، فوجبت رحمته، ووسعت ملته، وإنما أراد الله تعالى تمام اللعنة على الأعداء واليهود بأنهم نسبوا إلى أنفسهم قتل المسيح وصلبه وإن كان غير مقتول ولا مصلوب بل مرفوع الجناب مخطوب، ليحق القول عليهم بنسبتهم إلى أنفسهم ما يوجب غضب ربهم، وليسوا على ذلك بيقين من صَلْبه كما تقدم غير مرة.

والعجب كيف وافقهم على هذه النسبة الذميمة طائفة من أهل حزبه فصاروا إمَّعة لاعدائه الطغاة المتمردين البغاة، فتيقنوا ما شك فيه الأعداء[1]، ونسبوا[2] إلى

---

(١) فى النسخة المطبوعة : العدى.

(٢) فى المخطوطة: نصبوا.

من هو مُنزّه عما زعموا تجرع غصص الردى، وما كفاهم ما اختلقوا من الزور والبهتان حتى جعلوا آدم صفى الله وخليفته فى أطباق النيران لولا فداه المسيح وذريته بنفسه لدام فيها معذبًا، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

والعجب من طائفة النصارى ينكرون تكلمه فى المهد ببراءة أمه وقوله: ﴿إنّى عَبْدُ الله آتَانِيَ الكتابَ وجَعَلَنِي نَبيًا وجَعَلنى مُبَاركًا أينما كنت﴾ الآية [مريم: ٣٠].

وينكرون أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، وينكرون نزول مائدة عليه من السماء، والمسلمون شاهدون بذلك مؤمنون به، وقد قال الله على لسانه:

﴿وأنبّئِكُم بما تأكُلُون وما تدّخِرون فى بيوتكم﴾ [آل عمران: ٤٩].

فنقول: أما عِلْم الغيب فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أمته بما كان وما سيكون إلى يوم القيامة حتى قال أبو ذر: تركنا رسول الله ﷺ ما يحرك طائر جناحه فى السماء إلا ذكرنا منه علمًا، وقد خرَّج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به رسول الله ﷺ أصحابه من الظهور على أعدائه، كفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وظهور الأمن حتى تظعن[1] امرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، وبفتح خيبر على يد على رضى الله عنه فى غد يومه، وبما يفتح الله تعالى على يد أمته من الدنيا وبما يؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وبأنهم سيكون لهم أنماط ويغدو أحدهم فى حُلّة ويروح فى أخرى ويوضع بين يديه صفحة ويرفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة، وأنهم سيمشون المطيطاء[2]، وتخدمهم بنات الفرس والروم، وأخبرهم بذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده.

وأخبرهم أن الروم ذوات قرون إلى آخر الدهر، وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس، وقبض العلم، وظهور الفتن والهرج، وقال: فَزُوِيَت لى الأرض فأريت

---

(١) (ظعن) فلان ـ ظعنا: سار وارتحل. (المعجم الوجيز باب ظعن ص ٤٠٠).

(٢) تمطى فى مشيته: تبختر ومد يديه، وفى القرآن الكريم: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ (ج) أمطاء. (المعجم باب امتطى ص ٥٨٥).

مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلْك أمتى ما زوى لى منها، فامتد ملكهم من المشارق والمغارب حتى بلغ أقصى الهند إلى بحر طنجة[١] حيث لا عمارة.

وأخبر بملك بنى أمية واتخاذهم مال الله دَوْلاً [٢]، وبخروج بنى العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا، وبخروج المهدى وبما ينال أهل بيته، وبقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه من أشْقَى الناس، وبقتل عثمان رضى الله عنه وهو يقرأ فى المصحف، وأن الله تعالى سيُلْبِسَه قميصًا ـ يريد الخلافة ـ وأن المنافقين يريدون خلعه منه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وَهُوَ السميع العليم﴾ [البقرة:١٣٧].

وأخبر أن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيًا، وبقتال الزبير لعلى رضى الله عنه، وأن عمارًا ستقتله الفئة الباغية.

وقال لعبد الله بن الزبير: ويل لك من الناس وويل للناس منك، وقال لجماعة فيهم أبو هريرة وسَمُرَة بن جُنْدُب وحُذيفة: آخركم موتًا فى النار، فكان سمرة آخرهم هِرَم وخرف، فاصطلى بالنار فاحترق فيها.

وقال: إن فاطمة أول أهل بيته لحَوقًا به.

وقال: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير مُلْكًا، فكانت كذلك بولاية الحسن رضى الله عنه.

وأخبر بشأن أويس القرنى[٣] ووصفه بحليته، وأن له والده، وأنه كان به برص

---

(١) طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر، قال ابن حُوْقل: طنجة مدينة أزلية آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر وليس لها سور وهى على رأس جبل وهى خصبة وبين طنجة وسَبْتَة مسيرة يوم واحد وهى آخر حدود إفريقية.. اهـ. (معجم البلدان ـ ياقوت الحموى ـ ج ٤ ص ٤٣ ـ طبعة دار صادر).

(٢) دال الدهر ـ دَوْلاً، ودولة: انتقل من حالٍ إلى حال والأيام: دارت ـ يقال: دالت الأيام بكذا.. اهـ. (المعجم الوجيز ـ باب دَالَ ص:٣٩).

(٣) أُوَيْس بن عامر بن جَزء بن مالك القرنى من بنى قَرَن بن ردمان بن ناجية بن مراد: أحد النسّاك المقدمين من سادات التابعين أصله من اليمن يسكن القفار والرمال وأدرك حياة =

فدعا الله فشفاه إلا موضع درهم.

وأخبر بظهور القدرية[١] والرافضة[٢] والخوارج[٣] ووصفهم بصفاتهم.

وأخبر أن رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان، وأن الأَمَة تَلد ربَّتها، وأن قريشًا لا يغزونه أبدًا بل هو الذى يغزوهم، فكان كذلك.

وهاجت ريح فى بعض غزواته فقال: هاجت لموت منافق فكان كذلك.

وقال لجلسائه: ضرس أحدكم فى النار أعظم من أحد، قال أبو هريرة: فذهب القوم وبقيت أنا ورجل، فقتل مرتدًا يوم اليمامة.

وأخبر بمكان ناقته حين ضلت وتعلقت بشجرة بوادى كذا، فوجدت على النعت الذى ذكر.

= النبى ﷺ ولم يره فوفد على عمر بن الخطاب، ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع على، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها.. اهـ.

(الأعلام. خير الدين الزركلى ـ ج٢ ص ٣٢).

(١) القدرية: أول من تكلم فى القدر هو «معبد بن خالد الجهنى البصرى»، قال أبو حاتم «قدم المدينة فأفسد فيها ناسًا»، وقال الدارا قطنى: «حديثه صالح ومذهبه ردىء»، وقال محمد بن شعيب عن الأوزاعى: «أول من نطق فى القدر رجل من أهل العراق يقال له «سوسن» كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر، أخذ عنه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد».

(الفرق بين الفِرقَ ـ البغدادى ـ ص ١٨).

(٢) الرافضة: وسميت الرافضة لرفضهم أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وقيل: لرفضهم زيد بن على ـ رضى الله عنهما ـ لما تولى أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وقال بإمامتهما فقال زيد ـ رضى الله عنه ـ رفضونى فسموا رافضة، واجمعت الرافضة على إثبات الإمامة عقلاً وأن إمامه على وتقديمه ثابتة نصًا وأن الأئمة معصومون لا يجوز عليهم الغلط والسهو والخطأ وقالوا بتفضيل على على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ. اهـ. (البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان ـ السكسكى).

(٣) الخوارج: وسميت خوارج لخروجهم عَلَى عَلىّ ـ رضى الله عنه ـ يوم الحكمين حين كرهوا التحكيم وقالوا: لا حكم إلا لله تعويضًا بسبب على ـ رضى الله عنه ـ وخرجوا من قبضته وقالوا: شككت فى أمرك، وحكمت عدوك من نفسك، فسموا بذلك الشكاكين.

(المرجع السابق ـ ص ١٧ ـ نشر دار المنار الأردن).

وأخبر بكتاب حاطب إلى أهل مكة، وبالمال الذى تركه العباس عند أم الفضل، فكان ذلك سبب إسلامه.

وأخبر عن مَصَارع أهل بدر قبل كونها، وأخبر بموت النجاشى يوم مات وهو بأرض الحبشة، وأخبر بقتل الحسين بالطائف وأخرج تربة وقال: هذه مضجعه.

وقال لزيد بن صوحان: يسبقك عضو منك إلى الجنة، فقطعت يده فى الجهاد.

وقال لسُراقة: كيف بك إذا لبست سوارى كسرى، فلما أوتى عمر بها ألبسهما سُراقة.

وقال لخالد بن الوليد [عندما أرسله](١) لأكيدر: ستجده يصيد البقر، فكان الأمر كذلك.

وكان يخبر جلساءه بأسرارهم وخواطرهم، ويخبر المنافقين بما انطوت عليه سرائرهم حتى صار يقول أحدهم للآخر: اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبر أخبرته حجارة البطحاء.

وأعلم قريشًا أن الأرضة(٢) أكلت صحيفتهم التى كتبوها على بنى هاشم خلا اسم الله.

ووصف لقريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الإسراء، وأخبرهم بشأن العير الواصلة، فلم يخرم من ذلك حرف.

وقد قال حذيفة: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدًا إلا وقد سمَّاه لنا واسم أبيه وقبيلته. وفى رواية: ما ترك شيئًا يكون إلى يوم القيامة إلا حدثنا عنه حفظه من حفظه، ونسيه منْ نسيه، فكان يذكر عند كل واقعة تقع أخبار رسول الله ﷺ بها كفتح

---

(١) غير موجودة بالمخطوط وأثبتناها لإتمام المعنى واستقامته.

(٢) الاسم الصحيح هو الأَرَضَة ـ بفتح الهمزة والراء والضاء والمعجمة ـ دُوَيْبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب، قال القزوينى فى الإشكال: إذا أتى على الأرض سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما وهى دابة الأرض التى دلت الجن على موت سليمان ـ عليه السلام ـ والنمل عدوها وهو أصغر منها. وحكمها: أنه يحرم أكلها لاستقذارها.
(حياة الحيوان الكبرى ـ الدميرى ـ ١/ ٤٧).

البلاد، وقتل على رضى الله عنه، وملك بنى أمية، وقتل عثمان، وشأن أويس القرنى، وملك كل ملك، وخروج المهدى، وأشراط الساعة، وغير ذلك مما لا يمكن حصره.

وبالجملة فهذا باب واسع ذكرنا نبذة منه يسيرة، وذلك أعم مما كان يخبر به المسيح عليه السلام من علم الغيب.

وأما ما صدر من الصحابة بعده فكثير جدًا؛ فمن ذلك قول عمر رضى الله عنه وهو على المنبر: يا سارية الجبل، فانحازوا إليه فوجدوا فيه كمينًا عليهم، فقتلوه، فكان ذلك سببًا لنصرتهم.

وذلك كثير من الأولياء والعارفين والسادة المقربين من أمة هذا النبى الكريم، حتى كان أستاذنا يخبر[1] المريد بما كان منه من بداءة أمره إلى نهايته حتى عن مناماته والمهول منها يؤمّنه منه، ويقول إنه من النفس، وربما يقع ذلك المنام بعد عام، ويخبر بما يكون ولو بعد ثلاثين عامًا وأكثر، على قدر حال ذلك المريد، وكذلك أحوال الزائرين ومرادهم، وما يتمنونه عليه من أكل وغيره، وينسب ذلك لنفسه سترًا، فيفهم من يفهم، ويخبر أرباب الصنائع بدقائق صنعتهم وما يحتاجون إليه من تعرفها فيفهمون ما يقول، فيجدون مطلوبهم غاية، وقد قال: عجبت لمن ينطق عن الهوى.

وأما نزول المائدة من السماء على المسيح بدعائه، وتمنى الحواريين منه أن يجعلوها عيدًا، فهذا صدر للصحابة والتابعين والأولياء المقربين فضلاً عن سيد المرسلين؛ فمن ذلك أن أم أيمن هاجرت من مكة إلى المدينة فى يوم شديد الحر فكانت ماشية، فعطشت، فتدلى دلو من السماء فتناولته، فشربت منه فلم تظمأ بعد ذلك أبدًا.

ومما سمعته عن بعض الأولياء أنه كان خادمًا للفقراء يطبخ لهم، فذهب عنهم مغاضبًا، فوجد فئة فسألهم الصّحبة، فأجابوه على أن تفعل مثل ما نفعل، فلما جاء وقت العشاء نزلت لهم مائدة من السماء فأكلوا، فصار نزولها فى كل يوم

(١) لا يخفى ما فى ذلك من مخالفة لأصل من أصول الدين.

على واحد منهم، إلى أن انتهت النوبة إليه، فسألوه الدعاء بنزولها، فنزلت عليهم مائدتان من السماء، فتعجب وتعجبوا منه، فقال: ناشدتكم الله، ما تقولون فى دعائكم لنزول المائدة؟ فقالوا: نقول اللهم بحق خادم الفقراء الذى يطبخ لهم يعنونه أنزل علينا مائدة من السماء، ثم قالوا له: ما قلت حتى نزلت علينا مائدتان؟ قال قلت: اللهم بحق ما تسألك به هؤلاء إلا أنزلت علينا مائدتان من السماء، فكانت ما ترون، فرجع حينئذ إلى خدمة الفقراء والطبخ لهم.

وأما الخلق من الطين بعد تصويره طائرًا من الطين فيصير طائرًا بعد أن ينفخ فيه بإذن الله ربه فقد وقع لبعض العارفين مثل ذلك من غير تصوير ولا نفخ.

ومن ذلك ما سمعته من أستاذنا أبى السعود حاكيًا عن بعض الأشياخ أنه ولدت له ابنة فجاء بعض المريدين لخطبتها فقال: أنا ما عندى بنات، ليس عندى إلا ولد ذكر، فتدنى له حينئذٍ فرج وانثيان بمجرد قول ما عندى إلا ذكر[1].

ومما حكى عن بعض أولياء اليمن رضى الله عنهم أنه جاءه رجل فقال: يا سيدى، أريد منك ولدًا ذكرًا ! فقال: انذر لنا مائة دينار، فقال: نعم، فجاء للنقيب بتسعين دينارًا وبخل بتمام المائة، فولدت امرأته أنثى، فجاء للشيخ وقال: يا سيدى، ولدت امرأتى أنثى ! فقال: لو أكملت لنا أكملنا لك، فجاءه بالعشرة الباقية، فتدلى لابنته حينئذ فرج رجل وأنثيان[1].

فانظر رحمك الله إلى هؤلاء السادة، وما خصهم الله تعالى بمثل ما أنعم على الأنبياء والمرسلين، وذلك كله من معجزات سيد المرسلين.

وأما كلامه فى المهد بتوحيد الله تعالى فذلك رأيناه من أولاد سيدى وأستاذى أبى السعود ـ نفعنا الله به، وأسبغ عليه فيض الرحمة والرضوان ـ فكانوا ينطقون فى مهدهم بالجلالة[1].

وقد تكلم فى المهد ـ كما فى الحديث ـ أربعة أولاد: صاحب براءة يوسف

---

(١) هذه القصص يأباها العقل وتأباها السجية السليمة، وإنى أراها ما هى إلا من الخزعبلات التى يتحاكى بها القوم فى مجالسهم، وما هى من الدين فى شىء، والله تعالى أعلى وأعلم.

وبراءة جريج، وعيسى ابن مريم، والغلام الرضيع الذى كانت أمه تتمنى أن يكون من أرباب الدنيا، فقال: اللهم لا تجعلنى مثلهم، واستعاذت أن يكون مثل الجارية المتهمة، فقال: اللهم اجعلنى مثلها.

وقد قال رسول الله ﷺ لولد فى أول ولادته: من أنا؟ فقال: أنت رسول الله، ثم لم يزل متكلمًا.

فمن نطقت له الأشجار، وسلَّمت عليه الأحجار، وسبَّح الحصى فى كفه تسبيحًا يسمعه الحضار، وشهد الضب[1] برسالته ونطق بتوحيد الملك الغفار، وحَنَّ الجذع لفراقه حنين العشار، أيبعد أن ينطق برسالته الأولاد[2] الصغار؟! صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقب الليل والنهار.

* * *

(١) الضَّب: بفتح الضاد: حيوان برى معروف يشبه الورل، وقال ابن خالويه: الضَّبُّ لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعدًا، ويقال: إنه يبول فى كل أربعين يومًا قطرة، ولا تسقط له سن، ويقال: إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة. وقال عبد القاهر: الضب دويبة على حد فرخ التمساح الصغير وذنبهَ كذنبه، وهو يتلون ألوان بحر الشمس كما تتلون الحرباء. اهـ.

(٢) فى النسخه المطبوعة: الأطفال.

الباب السابع

فى أن المسيح وإن قُصِدَ وطُلِبَ ما قُتِلَ ولا صُلِب

اعلم ـ وفقك الله ـ أن النصارى فى ربقة الشيطان أسَارى، زعموا والزعم مظنة الكذب، ﴿وحَسِبُوا أَن لا تُكون فِتْنَة فَعَموا وَصَمّوا﴾ [المائدة: ٧١] فعلى كل منهم إثم ما حسب.

قالوا: إنما جاءهم المسيح يسوع لينصرهم على اليهود ويطلع عليهم بالثالوث شمس السعود.

فيقال لهم: يا أصحاب المُحال، ويا عُبّاد الرجال، إن كان الأمر على ما تصفون فقد كان يقضى أمره على ألسن رسله والحال صالحة، وميزان التوحيد بطاعات العبيد راجحة، والخلائق مقبلون على أنبيائهم إقبالهم على آبائهم وأبنائهم، فما الذى دعاه إلى نزوله عن مجده الرفيع وعزه المنيع إلى حضيض النَّصَبْ، ومقر الآفات والتعب، حتى ولج فى بطن امرأه من إمائه، ومكث فى رحمها منغمسًا فى المشيمة، على حال ذميمة، بين فرث ودم، وضيق وغم، ثم ولدته وأرضعته وفصلته، وأدّبته فأمرته وألزمته بحقوقها، ونهته عن عقوقها، وكان ملزمًا بطاعتها، مُعْرِضًا كل الإعراض عن مخالفتها، أسير أمرها ونهيها، تحميه بالفرار به عن الأشرار، وتقيه بالاستتار عن كيد الفجار، تتردد به إلى الأعياد والمواسم، وتريه الشعائر والمعالم، فلما شب وترعرع، وتشوف إلى حنكة الرجولية وتطلع، وشرع ـ كما زعمتم ـ لما جاء به من نصرتكم، وثب عليه اليهود فكذبوا فمه، وأهدروا دمه، ووسموه وكدّروا عليه روح الحياة وأنكروه، وأجمعوا أن يخربوا جسمانه ويفسدوه، فلما طال عليه تمردهم أعمل مطايا الحذار، وبالغ فى الاستتار خلف الجدار، وتقدم إلى أصحابه أن لا يذكروه، وأن يبالغوا فى طى أمره فلا ينشروه، ولم يزل ذلك حاله واليهود تنقب عليه، وترشى من يرشدهم إليه، حتى دل عليه صاحبه يهوذا، فساق إليه من اليهود جمعًا كثيفًا، وأنزل به من الهول خطبًا منيفًا،

فأنشبوا فيه مخاليب الضّراب[1]، وأمطروه شآبيب[2] العذاب، وسحبوه على زعمكم على شوك السفاه والسباب، وبقى إلهكم كما تزعمون فى أيدى اليهود ممتهنًا، أقبح ما يأتون به إليه عندهم حسنا، فلما بلغوا من إهانته المراد، مضوا به إلى بقعة من الأرض تزعمون أنه دحاها، وألزموه حمل خشبة تدعون أنه أثبت لحاها، وألبسوه ثيابًا زعمتم أنه قد صبغ ورسها[3]، وأظهروه شمسًا هو الذى أضحى مَسّها، فسألهم حين بلغت نفسه الحنجرة شربة ماء مما من العيون فجّره، فبخلوا عليه بذلك، فعوضوه خلاّ مما هنالك، فلما تظافرت عليه الدواهى قال: إلهى إلهى، وصار بين اللصوص ثالثة الأثافى[4]، وعوض عن بلوغ المنى بالمنافى، ثم زهقت نفسه، وفتح رمسه[5]، وصار فى بطن الارض سرًا مكتومًا، وعاد معدومًا، ولما تمت مدته فى الرجام[6] قام من ذلك المكان، وعاد إلهًا كما كان، فتلبس الحال الوبيل، ولم يؤمن به إلا عصابة هى أقل من القليل، فيزعمون أن إلههم عرَّض نفسه للمحن، وأثار بين عباده الأحقاد والإحن[7]، فلقد شَانَ على

---

(١) الضراب: ضرب الفحل الناقة يضربها ضرابًا: نكحها، قال سيبويه: ضربها الفحل ضرابًا كالنكاح. وفى الحديث: أنه نهى عن ضراب الجمل، هو نزوة على الأنثى والمراد بالنهى: ما يؤخذ عليه من الأجرة لا عن نفس الضراب.. اهـ. (لسان العرب ـ لابن منظور ـ مادة ضرب ـ ص ٢٥٦٦ ج ٤).

(٢) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفقة من المطر وغيره (المصدر سابق ص ٢١٧٥ ـ ج ٤ باب الشين).

(٣) الوَرْس: نبت من الفصيلة القرنية ينبت فى بلاد العرب والحبشة والهند، ثمرته مغطاة بغدد حُمر، يُستعمل لتلوين الحرير ونحوه لاحتوائه على ماده حمراء.. اهـ. (المعجم الوجيز. ص ٦٦٥ ـ باب: ورس).

(٤) وقولهم: رماه الله بثالثة الأثافى، قال ثعلب: أى رماه الله بالجبل، أى بداهية مثل الجبل؛ والمعنى أنهم إذا لم يجدوا ثالثة من الأثافى اسندوا قدورهم إلى الجبل.. اهـ. (لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج١ ص ٢٧ـ باب أثف).

(٥) الرمس: القبر (ج) رموس وأرماس. (المعجم الوجيز ـ ص ٢٧٧ ـ باب رَمَس).

(٦) الرجام: الرَجَمْ: الحجارة التى توضع على القبر (ج) رجام وأرجام. (المصدر السابق ص ٢٥٨ ـ باب رجم).

(٧) الإحنة: الحقد (ج) إحَن. (المصدر السابق ص ٨ ـ باب أحن).

زعمهم شأن الربوبية وأزال بهجتها وطمس نورها، وأطلق ألسنتها السفلة بنقصها وثلبها، حتى لقد شكك كثيراً منهم فى الربوبية، وسهل عليهم ارتكاب مذهب الدهرية[١]، وسلبهم من رق العبودية بالكلية، فسحقًا وتعسًا لهم كيف يعبدون إلهًا تدبيره فى تدميره وحكمته فى تغييره؟! فلو أن إنسانًا نشأ فى جزيرة منقطعة عن العمران لم يأنس بالأديان ممن لا يعرفون ربًا ولا يقرءون كتبًا ولا يدينون بملة، عُرِض عليه دين النصارى فقيل له: أن لك ربًا خلقك، وشق سمعك وبصرك، مِنْ صِفَته أنه رجلٌ مثلك يبول ويتغوط، ويبصق ويتمخط، ويجوع ويعطش، ويعرى ويلبس، ويسهر وينام، ويتنازع من الخلق الكلام، وإن أناسًا مثله حقدوا عليه فضربوه وسجنوه، ثم قتلوه وصلبوه، بعد أن حُطِّم ثغره، ولُطِم نحره، فجاور الأموات، وتعذر عليه روح الحياة ففات، لاستنكف الرجل أن يعترف بوجود هذا الإله فضلاً أن يتعبَّد له أو يتصوره، وليس فى النصارى من يجحد مما ذكرنا آنفًا حرفًا واحدًا بل قدموا أعناقهم للذل وأسبلوا[٢] آذانهم للخذى، وآنسوا بسماع التوبيخ، واستلانوا ملابس التقريع، فهم يتلون هذا الفصل فى صفة صلب المسيح تلاوة المبتهج إذ ليسوا له أحبابًا ولا به مؤمنين، وهم أعداء له متسترين، يتبهجون بذكر مصابه على زعمهم، فقد أضلهم الله على علمهم، فالحمد لله الذى خصنا بالفضل المبين فنزهنا إلهنا عن النقائص، ونسبنا إليه أشرف الخصائص، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، فها نحن نورد ذلك على قصة زعموا أنها فى إنجيلهم، وحاشا وكلا إن الإنجيل المنزل من عند الله إنما سمع من لفظ المسيح لا ما يقوله بعض أصحابه فى صفة مصابه، فقد نسبوا إلى المسيح النقائص مع قولهم بربوبيته، فنذكر نبذة من أقاويلهم، وشذرة من أباطيلهم، يتبين بها معنى ما تقدم آنفًا من السخرية بهم وضلالهم على علمهم.

---

(١) الدهرية: لأنهم ينفون الربوبية ويحيلون الأمر والنهى والرسالة من الله تعالى ويقولون هذا مستحيل فى العقول، ويجعلون الطينة قديمة، وينكرون الثواب والعقاب، ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون فى العالم دليل يدل على صانع وخالق ومخلوق. .اهـ. (البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان ص ٨٨ للشيخ منصور السكسكى نشر مكتبة المنار ـ الأردن).

(٢) أسبل الشىء: أرسله وأرخاه. (المعجم الوجيز ص ٣٠٢ ـ باب أسبل).

قالوا: بينما المسيح جالسًا مع تلاميذه ليلة الجمعة لثلاثة عشرة ليلة خلت من شهر نيسان إذ جاء يهوذا الإسخريوطى - أحد الإثنى عشر - ومعه جماعة معهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة ومشايخ الشعب، وقد قال لهم يهوذا: الرجل الذى أقبله هو هو فأمسكوه.

فلما رأى يهوذا المسيح قال: السلام عليك يا معلم، ثم قبّله، فقال يسوع: مثل ما يفعل باللصوص، خرجتم لى بالسيوف والعصى، أنا عندكم فى الهيكل كل يوم أعلم فلم تتعرضوا لى، لكن هذه ساعة سلطان الظلمة.

فذهبوا به إلى رئيس الكهنة حيث تجتمع الشيوخ، وتبعه بطرس من بعيد، ودخل معه الدار ليلاً وجلس فى ناحية منها متنكرًا ليرى ما يؤل أمره إليه، فالتمس المشايخ على يسوع شهادة يقتلونه بها، فجاء جماعة من شهود الزور فشهد منهم اثنان أن يسوع قال: أنا أقدر أنقض هيكل الله وأبنيه فى ثلاثة أيام.

فقال له الرئيس: أما تجيب عن نفسك بشيء؟ فسكت يسوع، فأقسم عليه رئيس الكهنة بالله الحى: أأنت المسيح؟ فقال: أنت قلت ذاك، وأنا أقول لكم: من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى ترونه جالسًا عن يمين أبيه وآتيًا فى سحاب السماء.

فلما سمع رئيس الكهنة ذلك شق ثيابه، وقال: ما حاجتنا إلى شهادة، هو ذا قد سمعتم، ماذا ترون فى أمره؟ فقالوا: هذا مستوجب الموت، فحينئذ بصقوا فى وجهه ولطموه وضربوه وهزءوا به، وجعلوا يلطمونه ويقولون: بيِّن لنا من لطمك؟

ولما كان من الغد أسلموه لبيلاطس القائد، فتصايح الشعب بأسره: يصلب يصلب، فتحرّج بيلاطس من قتله وقال: أى شيء فعل هذا؟

فقال الشيوخ: دق عليهم وعلى أولادهم، فحينئذ ساقه جند القائد إلى الأبروطوريون(١)، فاجتمع عليه الشعب ونزعوا ثيابه، وألبسوه لباسًا أحمر، وضفروا أكليلاً من الشوك على رأسه(٢)، وجعلوا فى يده قصبة، ثم جثوا على

(١) لم نعثر على هذه الكلمة «الإبروطوريون» فى المعاجم والقواميس المسيحية المتخصصة، ولعلها رتبة كهنوتية دينية تحكم بين الناس فى ذلك الوقت، والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢) النص الصحيح كاملاً فى الإصحاح ٢٧، ٢٨ من إنجيل متى، ولم نستطع نقله لكثره أعداده الإثنان والثمانون آية، فمن لديه نسخة من الكتاب المقدس فليطلبه هناك.

ركبهم يهزؤن به ويقـولون: السلام عليك يا ملك اليهود، وشرعوا يبـصقون عليه ويضـربونه فى رأسـه، ثم ذهبـوا به ـ وهو يحـمل صليـبه ـ إلى مـوضع يعـرف بالجمجـمة، فصلبوه وسَمّروا يديه على الخـشبة، وسألهم شربة مـاء فأعطوه خلاً ممزوجًا بمر، فذاقه ولم يسق، فنادى على الخشبه: إلهى إلهى لم خذلتنى.

وجلس الشرطة فاقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة، وجعلوا عند رأسه لوحًا مكتوبًا: هذا يسوع ملك اليهود، استهزاءً به، ثم جاءوا بلصين فجعلوهما عن يمينه وشماله تحقيرا له.

وكان اليهود يقولون له: يا نـاقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك إن كنت ابن الله كما تقول، انزل عن الصليب!.

وقال اليهود: هذا يزعم أنه خلص غيره فكيف لم يقدر على خلاص نفسه، إن كان متوكلاً على الله فهو ينجيه مما هو فيه.

ولما كان ست ساعـات من يوم الجمعة صرخ يسـوع وهو على الصليب بصوت عظيم: إلوى إلوى إيمـا صاصـا تفسيـره: إلهى إلهى لم تركـتنى، وأخذ اليـهود إسفنجة فيها خل ورفعها أحدهم على قصبة وسقاه.

وقال آخـر: دعوه حتـى نرى من يخلصه، فصـرخ يسوع وأمـال رأسه وأسلم الروح، وانشق حجاب الهيكل، وانشـقت الصخور، وتفتحت القبور، وقـام كثير من القديسين من قبورهم ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للناس.

ولما كان المسـاء جاء رجل من الرّامـة يسمى يوسف وأخذ جـسد يسـوع وكفّنه بلفائف وتركه فى قـبر كان قد نحتـه فى صخرة، ثم جعل على باب القبـر حجرًا عظيمًا.

وجاء مشايخ اليـهود من الغد الذى بعد الجمعة إلى بيـلاطس القائد فقالوا: يا سيـدى ذكرنا أن ذاك الضال كـان قد ذكر لتـلاميذه أنه يقـوم بعد ثلاثة أيام، فلو أمرت من يحرس القبر حتى تمضى المدة كيلا تأتى تلاميذه ويسرقوه ثم يشيعون فى الشعب أنه قام فتكون الضلالة الثانية شرًا من الأولى.

فقال لهم القائد: اذهبوا وسدوا عليه واحرسـوه كما تريدون، فمضوا وفعلوا ما أرادوا.

وفى عشية يوم السبت جاءت مريم المجدلانية ومريم رفيقتها لينظرن إلى القبر ـ وفى إنجيل مرقس إنما جاءت مريم يوم الأحد بغلس ـ وإذا ملك قد نزل من السماء برجة عظيمة، فألقى الحجر عن القبر، وجلس عنده، وعليه ثياب بيض كالبرق، فكاد الحرس أن يموتوا من هيبته، ثم قال للنسوة. لا تخافا قد علمت أنكما جئتما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو هاهنا إنه قام، تعالين انظرن إلى المكان الذى كان فيه الرب، واذهبا وقولا لتلاميذه إنه سبقكم إلى الجليل.

فمضتا وأخبرتا التلاميذ، ودخل الحراس وأخبروا رؤساء الكهنة الخبر، فقالوا: لا تنطقوا بهذا وارشوهم بفضة على كتمان القضية، فقبلوا ذلك، وأشاعوا أن التلاميذ جاءوا وسرقوه، ومهدت المشايخ عذرهم عند القائد، ومضت الأحد عشر تلميذًا إلى الجليل، وقد شك بعضهم، وجاءهم يسوع وكلمهم وقال لهم: اذهبوا فعاهدوا كل الأمم وعلموهم بجميع ما أوصيكم به وهو ذا أنا معكم إلى انقضاء الدهر.

فيقال للنصارى: ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواترًا أو آحادًا؟ فإن زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ولم يثبت العلم الضرورى إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض ذلك لهم فلا يحتج بهم فى القطعيات.

وإن عزّوا ذلك إلى التواتر، قلنا لهم: شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة وهو أن ينقل الجم الغفير عن الذين شاهدوه ـ وهو المصلوب ـ وعلموا به ضرورة، فإن اختل شىء من ذلك فلا تواتر.

فإن زعم النصارى أن خبرهم فى قتل المسيح وصلبه بهذه القصة أكذبتهم نصوص الإنجيل الذى بأيديهم إذ قال نقلته الذين دوّنوه لكم وعليه معولكم إن المأخوذ للقتل كان فى شرذمة يسيرة من تلاميذه، فلما قُبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جاريه منهم إلى بطرس فعرفته، فقالت: هذا كان مع يسوع ولا يقول بقوله، وخادعهم حتى تركوه وذهب، ولم يكد يذهب، وإن شابًا آخر تبعه وعليه إزار، فتعلقوا به، فترك إزاره فى أيديهم وذهب عريانًا، فهؤلاء أصحابه وأتباعه ولم يحضر منهم ولا

رجل واحد بشهادة الأناجيل.

وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر بل كانوا آحادًا وأفرادًا، وهم أعداؤه يحتمل تواطؤهم على عدوهم إيهامًا أنهم ظفروا به وأنهم بلغوا أمانيهم فلا يقولون فيما يحتمل فيه تواطؤهم على الكذب إذ شرط التواتر أن يكون مما لا يحتمل تواطؤهم على الكذب، فمن نازع فيما قلناه فالإنجيل شاهد فيما بيننا وبينه، فلا جرم أنه قدم تواتر القرآن العظيم الشاهد بنجاته من أعدائه كقوله تعالى: **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم﴾** [النساء: ١٥٧].

ومما يزيد الأمر وضوحًا قول الإنجيل: إن مريم لما جاءت لزيارة القبر رأت ملكًا قد نزل من السماء بَرجة عظيمة، وبادر فدحرج الحجر عن فم القبر، وجلس عنده، فكاد الحراس أن يموتوا من هيبته، وبادروا من فورهم إلى المشايخ فأعلموهم بالقصة فأرشاهم المشايخ برشوة، وتقدموا إليهم بستر القصة والإشاعة أن التلاميذ سرقوه كما تقدم، فما يؤمنكم أن تكون هذه العصابة من اليهود قد صلبوا شخصًا من أصحاب يسوع وأتباعه وأوهموا الناس أنه المسيح ليغضبوا منه ويحطوا من قدره، حيث جهدوا جهدهم فى طلبه فلم يقدروا عليه، وأعوزتهم وجوه الحيل فى مغالبته[1] كما فعلوا فى ستر الآية التى ذكرتم، وإذا كان أصحابكم المؤمنون العُدول عندكم لم يحضر منهم أحد ألبتة، واليهود والكفار شرذمه قليلة وأكثرهم لم يعرف المسيح أصلاً، لم يحصل لكم غلبة الظن بقتل المسيح فضلاً عن حصول الأمر الضرورى، وها نحن نورد الحجج المقبولة عندكم فى الباب الآتى فى الدلالة على أن المصلوب الشبه.

فمما يدل على فساد دعوى القتل والصلب ما اشتمل عليه الفصل[2] من الاضطراب كقوله لرئيس الكهنة: «إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى ترونه

---

(١) فى المخطوطة: مقاماته.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«قال له يسوع أنت قلت، وأيضًا أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا على سحاب السماء...» (مت ٢٦: ٦٤).

جالسًا عن يمين القوة وآتيًا فى سحاب السماء» يريد بالقوة الله تعالى.

وقوله: «إن إناسًا من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا فى ملكوته». كقول الملك للنسوة: «تعالين فانظرن إلى الموضع الذى كان فيه الرب فى القبر».

ما أولى هذه المواضع أن تكون وضعت من بعض اليهود أدرجها فى كتب النصارى للهزؤ بدينهم. أسمعتم يا معشر الناس برب فى قبر وإله فى لحد؟! أى جَدث وسعه، أى كفن واراه، أى نعش حمله، هل نجا من ضغطة القبر، هل لُقِّن حُجته عند السؤال[1]، هل ثبت جأشه عند طلعة المَلَك، إن التراب يغشى وجه هذا الإله.

تبًا لكفن ستر محاسنه، سُحْقًا لجذع انتصب تحته حتى صُلِبَ عليه، عجبًا للسماء كيف لم تبد وهو سامكها، والأرض لم تمد وهو ماسكها، وللبحار كيف لم تفض وهو مجريها، وللجبال كيف لم تسر وهو مرسيها، وللحيوان كيف لم يصعق وهو مشبعه، والكون كيف لم يمحق وهو مخترعه، أنى استقام الوجود والرب فى اللحود، كيف ثبت على نظام والإله فى الأرحام، قد لبس الكون ثوبًا من الخلاق صفيقًا، واستمر على البقاء وكان بالفناء خليقًا. وإنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة بهذا الرب والرزية بهذا الإله.

لقد ثكلته أمه التى خلقها وصورها حيث عاشت بعده، وعدمته الدنيا التى أبدعها وفطرها حيث استمرت خلفه، فليت شعرى هل قسم ميراثه وعمل مأتمه، وهل أخذ بثأره وأسلم مُسَلِّمه، هذا وأبيك غاية الخذلان، والتلاعب بالأوثان والركون إلى البهتان.

وقد ذكروا فى الفصل: أن المسيح قال: إلهى إلهى لم تركتنى وخذلتنى؟ فيقال لهم: ألم تزعموا أن المسيح إنما تَعَنَّى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويخلصه من

(١) وهذا السؤال هو عين فتنة القبر، وقيل: هى التلجلج فى الجواب، والأنبياء لا يُسْألون، وقيل: يُسْألون عن جبريل والوحى الذى أنزل عليهم.
(شرح البيجورى على جوهرة التوحيد ـ شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى).

الشيطان ورجسه، أفتقولون أنه تبرم بالإيثار، واستقال العثار[١]، وندم على النزول فجعل يقول: «إلهى إلهى لم تركتنى وخذلتنى؟» فالمخذول لا يصلح للربوبية، والمتروك لا يتأهل للألوهية.

ألم ترووا لنا عن التوراة أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون كانوا حين احتضروا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى[٢] سعيهم، لم يجزعوا من الموت ولا هابوه، ولا كرهوا من مذاقه ولا عابوه، هذا وهُم عبيد والمسيح بزعمكم ولد ورب، أو كان وثوقهم بالله فوق وثوقه، أم حظ المسيح عند الآب دون حظ رفيقه؟!

وأما قولهم فى الفصل: إن يسوع صرخ وأمال رأسه وأسلم روحه، فهو مناسب لكلام المجانين وإلا فكيف يتولى الميت فى حال النزع تسليم روحه من شده الأمر وعظمه الخطب واشتغال البال فى ذلك الوقت عن التسليم؛ فإن من استولت عليه الآلام، ورشقته من جميع جهاته سهام الحِمام[٣]، لغير مختار فى تسليم روحه.

وأيضًا تسليم الميت روحه غير مشاهد بالعيان، فكيف يقع عليه بصر إنسان حتى يخبر به؟! فهذا نوع من الهذيان، أين قول النصارى فى شريعة إيمانهم: نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الذى أتقن العوالم بيده، وخلق كل شىء، وليس بمصنوع،الذى نزل من السماء لخلاص معشر الناس.

وكيف تصح لهم هذه الدعوى والمصلوب ينادى بحضرة اليهود: إلهى إلهى كيف تركتنى وخذلتنى؟ وكيف يكون خالق السموات والأرض مقرونًا باللصوص، مصلوبًا على الخشب له إله يدعوه ويستغيث به ويسأله أن لا يتركه ولا يخذله، فإن كانت الأمانة صادقه فالإله قد استغاث وبكى، وسأل شربة من الماء، وقرن باللصوص، وعُلّق على الخشب، وسُمِّرت يداه بالمسامير، وإن كان الإله الرب الأزلى يتعالى عن هذه النقائص ويتقدس عن مثل هذه الرذائل فالأمانة باطلة،

(١) العِثَار: الزلل. (مرجع سابق).
(٢) فى المخطوطة: على.
(٣) الحِمَام: قضاء الموت وقدره. (مرجع سابق ص ١٧٣).

وأقوال من عقدها لهم فاجرة، وآراؤهم غاشة، وقد مضى الكلام على رد أمانتهم وإثبات خيانتهم.

وأما قولهم فى الفصل: إنه حين مات يسوع على الصليب انشق حجاب الهيكل، وتزلزلت الأرض كلها، وتشققت الصخور، وتفتحت القبور وقام القديسون من قبورهم، ودخلوا المدينة حتى رآهم الناس، وأظلمت الشمس وحال لون القمر [إلى الظلمة][1] فذلك كذبٌ ومُحال، وبُهتانٌ لا يخفى بحال؛ لأنه لو كان صحيحًا لأطبق الناس على نقله ولم يتفق إخفاء مثله، ولزال الشك على تلك الجموع فى أمر يسوع، فحيث داموا على الجحد[2] له والتكذيب دَلّ ذلك على كذب هذا النقل.

وإذا كان اليهود أرشوا حراس القبر حتى لا يخبروا القائد بمَلَك نزل من السماء إلى[3] قبر يسوع كى لا يظن براءته مما نسب إليه أعداؤه، وقد ثبت عنده بما حصل عند موته من الآيات البينات [من] تزلزل الأرض وتشقق الصخور وتفتح القبور وقيام القديسين براءته مما نسب إليه أعداؤه، فَلَمْ يحتج اليهود بعد ذلك إلى رشوة الحراس بعد ما ظهر من براءته وصدق طويته[4] وإعلام نبوته للناس.

وأيضًا ما معنى تفتح القبور وقيام القديسين من قبورهم؟ أهل استبشارًا بمصابه! فليسوا إذًا من جملة أحبابه، فما ظنكم إذًا بممات رب فيه إحياء خواص العبيد، يبدىء ويعيد، أم كيف الحال أم كيف ما ثبت لهم فى المآل، وهل التأم الحجاب والصخور أم دام ودامت على الانشقاق، فسحقًا لما يفتريه من الكذب أهل الشقاق.

فإن قيل: إنما لم يشتهر ذلك لأن أصحاب يسوع لم يحضر[5] منهم أحد خوفًا من اليهود، واليهود الذين شاهدوا هذه الآيات تواطؤا على الكتمان حسدًا وبغيًا.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطة، وأثبتناه لتمام الفائدة.
(٢) فى المخطوطة: الجهد؛ وهى فى غير موضعها لعدم تمشيها مع العبارة التى تليها.
(٣) فى النسخة المطبوعة: على.
(٤) الطَوِيّة: الضمير (ج) طوايا. (المعجم الوجيز ـ ص ٣٩٨ ـ باب طوى).
(٥) فى المخطوطة: يحتضر.

قلنا: هذه الآيات إذا وقعت عَلِمَهَا من حضر وغاب من الأعداء والأحباب؛ لأنها آيات نهارية، إلا أن يكون لليهود شمس ليست إلا لهم لا يشهدها إلا هم وقمر كذلك لم يخبروا بذلك ولا بلاد الهند والصين والسودان والفرس والترك وسائر الطوائف الذين لم يتعصبوا للأديان ولا حاذوا[1] الملة والشريعة ولم ينقلوا هذه الآيات ولا حرفًا واحدًا من ذلك، فعلم بالضروره أن ذلك مما اخترعه كذبة النصارى ليخدعوا بذلك ضعفائهم ويتوصلوا به إلى جلب الحطام، وجذب الدنيا الدنيّة بالخطام[2].

وأما قولهم فى الفصل: إن يسوع جاء إلى تلاميذه الأحد عشر بالجليل وأوصاهم أن يعمِّدوا الناس، وأن يكون معهم إلى انقضاء الدهر، فأقول: انطفىء السراج على التلميذ[3] الثانى عشر وهو المشهود له فى الإنجيل بولاية حساب سبط إسرائيل، وبقى كرسيه شاغرًا، ودسّته فى القيامة غامرًا، وصار أحد الأسباط فى القيامة ليس له من يدينه، فاستراح من العقاب وسوء الحساب.

ومعنى ذلك: أن يسوع قال لتلاميذه الاثنى عشر وفيهم يهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه للقتل: إنكم ستجلسون يوم القيامة على اثنى عشر كرسيًا تدينون اثنى عشر سبط بنى إسرائيل، وذلك شهادة للكل فى الزعامة يوم القيامة، يقال لهم: كيف صنع أصحابكم فى يهوذا وسبطه؟ فإن المسيح يقول: الويل لمن يسلم ابن الإنسان، الخيرة له أن لا يولد.

فإن قيل: يمكن أن يعوض رجلاً غيره فينصب بدله لتتم العدة.

يقال لهم: ليس هو المخاطب بوعد المسيح بل غيره، فقد أخلف وعده أن كرسيه لا يجلس عليه غيره ولا يدين سبطه سواه، والمسيح يقول فى الإنجيل: «إن السموات والأرض يزولان، وكلمة من كلامه لا تزول»[4].

---

(١) فى المطبوعة: تحمسوا.

(٢) الخطام: الزمام، وما وضع على خَطْم الجمل ليقاد به (ج) خُطُم، وأخطمه. (المعجم الوجيز ـ ص ٢٠٤ ـ باب خَطَمه).

(٣) فى المخطوطة: التلاميذ.

(٤) النص الصحيح هكذا: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول» (مت ٢٤: ٣٥).

وأما حكايتهم عنه أنه معهم إلى انقضاء الدهر، فإنا نسألهم فنقول: هل تقولون إن هذا الكلام محمول على ظاهره أو على معناه دون ظاهره؟ فإن زعموا أنه محمول على الظاهر لزم منه أن يكون التلاميذ الاثنى عشر فى قيد الحياة، وسيرهم تكذب ذلك إذ تقول إن القوم اخترموا موتًا وقتلاً.

وإن قالوا: إن ذلك محمول على المعنى دون الظاهر، وهو أنه الآن مع كل جاثليق[1] وأسقف[2] ومِطْران[3] وقس[4] وراهب[5] منهم، قيل: أهو معهم بذاته أم بعلمه؟

فإن قالوا: بذاته، أكذبهم الإنجيل وشاهد العقل، أما شاهد العقل فإنه شاهد أن الشخص الواحد لا يكون فى عدة مواضع فى حالة واحدة بل إن شغل مكانًا فرغ الآخر بلا محالة، وأما شاهد الإنجيل فإنه مصرح بأن المسيح إذا كان بالناصرة فارق أورشليم، وإن حل بأورشليم فارق الناصرة، ولم يتجدد له ما يرفع هذا الحكم.

---

(١) الجاثليق: عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية مقدم الأساقفة (ج) جثالقة. (المعجم الوجيز ـ ص ٩٢).

(٢) الأسقف: رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران. (ج) أساقفة.
والأسقف ذو درجة ورتبه لتقديم القرابين وعمل كل ما يعمله الكاهن وله الحق فى وضع اليد لرسامة القسوس والرياسة عليهم. (الوجيز ص ٣١٤، المبادىء المسيحية لحبيب جرجس ٢/ ١٤٣).

(٣) المطْران: رئيس دينى عند النصارى وهو دون البطريرك وفوق الأسقف. (مصدر سابق ٥٨٥).
والمطران: بكسر الميم: عبارة عن القاضى الذى يفصل الخصومات بينهم (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ للقلقشندى ٥/ ٤٧٤).

(٤) القَسُّ: رئيس من رؤساء النصارى فى الدين، وهو الآن فى مرتبة بين الأسقف والشماس (ج) قسوس. (مصدر سابق ص ٥٠١).
والقَسُّ كلمة سريانية معناها (شيخ)، وهو القارىء الذى يقرأ عليهم الإنجيل وغيرها ولا يصير أحد قسيسًا حتى يزّكى من خمسة رجال ويبلغ ثلاثين سنة.
(المبادىء المسيحية ـ حبيب جرجس ٢/ ١٤٣).

(٥) الراهب: المتعبد من النصارى فى صومعة يتخلى فيها عن أشغال الدنيا وملاذها (ج) رهبان. (مصدر سابق ـ ص ٢٧٩).

فإن قالوا: [المسيح][(١)] معهم بعلمه كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

قلنا: فاسلكوا التأويل فى جميع ظواهر الإنجيل ترشدوا، فلو أُلْهِمَ النصارى رشدهم لمحوا هذا الفصل من الإنجيل، فإن اللافظ به إنما يعرض بسبّ إلههم والتنقيص من معبودهم، إذ مضمونه أن اليهود الملاعين عَدَوًا على إلههم ورصدوه[(٢)]، وتوقعوا غرته، فوضعوا أيديهم عليه ذليلاً وأناطوا[(٣)] به جوامع وكبولاً [(٤)]، فلم يجد إلى الانفلات منهم سبيلاً، وهرب تلاميذه عنه وأسلموه، فتناوله أعداؤه بعد القهر وأسلموه[(٥)]، وساقوه بينهم يحمل جذعة أسيرًا، ثم لُطِم حتى حُطِم، وارتضع ألبان الهوان حتى وَدَّ لو فُطِم، وتفلَ فى وجهه القيّام والقعود من أرازل اليهود، واستسقاهم ماء فسقوه خلاًّ، وسأل البقيا فزادوه فأسمعوه إهانة وذلاً، فصرخ على جذعه: إلهى إلهى كيف تركتنى؟ فصرح بالعبودية لا يتلقب ولا يكتنى، ولم يزل فى قوس النزاع حتى مرق سهم روحه، فأعول عليه أحبابه وتفرّق من الفرَق أصحابه وسأل أحدهم الوالى جسده فَدُفِن، وتُصدّق عليه باللحد والكفن، وهذه لعمرك مَعرّة يأنفها العاقل ويأنف إلصاقها بكلبة، فكيف يلصقها بربه؟! ولعل ملصق هذا الفصل بكتاب النصارى قد جعل له اليهود جَعْلاً على إلصاقه، ألا ترى إلى يهوذا ـ أحد الاثنى عشر ـ كيف فتنته الدنيا فقبل الرّشا على قتل يسوع، وقد شهد له بالزعامة فى القيامة، فلم يرع الصحبة القديمة لميله للدنيا الذميمة، فكيف بغيره فيمن لم ير المسيح ولم يتدين بدينه الصحيح ألف هذا الفصل استهزاء بدينهم، وهوانًا واستخفافًا لعقولهم، ليصيروا ضحكة على ممر الزمان، وسبّة بين أرباب الأديان. فالحمد لله الذى شرفنا بالإسلام، وكشف عنا أستار الضلال والظلام بنبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) لم ترد فى الأصل وأثبتناها ليتم المعنى.

(٢) فى المخطوطة: صدروه.

(٣) ناط الأمر بفلان، ونيط عليه الشىء: عُهِد به إليه. (المعجم الوجيز ـ ٦٣٩ ـ باب ناط).

(٤) الكَبْل: القيد من أى شىء كان (ج) كُبُول. (المصدر سابق ـ ٥٢٦ ـ باب كبل).

(٥) فى النسخة المطبوعة تسلموه.

ومن أدل الدلائل على كذب النـصارى فى دعواهم فى القـتل والصلب ما رواه مَتَّى فى إنجيله.

قال مَتَّى: «سأل اليهود المسيح أن يريهم آية، فقال: الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى إلا آيه يونان النبى»[1]. يعنى يونسًا عليه السـلام؛ لأنه أقام فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال وكذلك ابن الإنسان يقيم فى بطن الأرض ثلاثة أيام، وثلاث ليـال وذلك كذب وغلط بإجـماع نـقلة الإنجيل؛ لأنه لا خـلاف بينهم أن المصلوب صلب فى الساعـة الثالثة من يوم الجمعـة، ثم أنزل من يومه ذلك فدفن ليلة السـبت، وأقام يوم السـبت كله مـدفونًا، ثم طلب ليلة الأحـد بغلس[2] فلم يوجد، فمنهـم من قال: قام ليلة، ومنهم من ذكر أنه قـام يوم الأحد باكرًا، وإذا كان كذلك فـإنه لم يقم فى بطن الأرض سوى يوم واحد وليلتـين أو ليلة واحدة، وإذا كان كذلك فقد انخرمت الثقـة بدعوى القتل والصلب، لحصول الخلل وظهور الكذب.

وقلت:

تبًا لقومٍ حـيث خصُّوا ربّهم ... - فى زعمهم - بقبائحِ الأقوالِ

جعلوه مـقهـورًا لأدنى خلقه ... وأخسّهم فى جـملة الأحوالِ

جعلوا اليهود أعـزّ من معبودهم ... بالقهـرِ إذ ساموه[3] بالإذلالِ

قرنوه بـاللصينِ سـاعةَ صَلْبِه ... ظلمـوه بالأقـوالِ والأفـعـالِ

عجبًا ! فهل يبقى الوجود وربّه ... فى لحـده مُتَقَطّع الأوصالِ؟!

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«فأجـاب وقال لهم: جـيل شرير وفاسق يطـلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى؛ لأنه كمـا كان يونان فى بطن الحـوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابـن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (مت ١٢: ٣٩/ ٤٠).

(٢) الغَلَس: ظلمة آخـر الليل إذا اختلطت بضوء الصـباح. المعجم الوجـيز ص: ٤٥٣ ـ باب أغلس).

(٣) سام: الإنسان ونحوه ذُلاً أو خسفًا أو هوانا: أولاه إياه وأراده عليه. (المعجم الوجيز ـ ص ٣٣٠: باب سام).

هذا لعمركمُ الصَّغَارُ بعينهِ ... لا يرتضيه سوى عديم البالِ
قومٌ تسربلَ بالخبالِ عقولهم ... فتراهمُ فى حيرةٍ وعقالِ
عبدوا الصليبَ لأجل أنَّ إلههم ... صُلِبَتْ عليه يداهُ فى أغلالِ
أهو العدو أم الإله فبيِّنوا ... هذا لعمرى غاية الإضلالِ
قَدْ زَيَّن الشيطانُ فى أفكارهم ... معنىً يُبَدِّلُ هديهم بضلالِ
مِنْ أنّ آدمَ والذرارى بَعْدَه ... بذنوبهمِ فى النارِ والأهوالِ
لولا الإله فداهمُ - فى زعمهم - ... داموا بها فى الغُلِّ والإنكالِ
قولوا لهم: قد تاب آدمُ فاغتنى ... بالعفوِ والغفرانِ والإفضالِ
لَمْ يَدْرِ ما مَسّ الجحيم وحرّها ... ومآله الفردوس خير مآلِ
يا ويحهم مِنْ شؤمٍ ما فاهوا به ... فى شأنِ آدمَ فهو شرّ مقالِ
واعَجْزَ ربّ لم يُنج عبيده ... - فى زعمهم - ويخصّهم بنوالِ
إلاّ بإذهابِ الحياةِ وروحه ... ويُهينها بالقتلِ والإذلالِ
ويصيرُ مَيْتًا لا حراك لجسمه ... فيبوء عند نجاتهم بوبالِ
أنْ أَمَّلوا مَيْتًا يُحقّق ظنّهم ... بنجاتهم ، يا خيبة الآمالِ
حاشا وكلاّ فالإلهُ مُنَزَّهٌ ... سبحانه وهو العزيزُ العالِ
تعسًا لقومٍ حيث صاروا ضحكة ... فيما تَعَانوه من الأقوالِ

وقلت:

قُلتم بأنَّ عِداهُ نالته بما ... لا يرتضى حتى دَهَتْهُ بمكْرِهَا
صلبتهُ ظلمًا فهو فوق صليبه ... ظمآن يُسقى ما يُشاب بمرِّهَا
ماذا يليقُ بربهم وهو الذى ... فَطَرَ الخلائقَ أن يموت لأجْلِهَا !
هذا لعمركمُ الهوان فبينما ... فعل العداة بربّهم فى زَعْمِهَا
جعلوه يَفْدِى عَبْدَه بمماتهِ ... يا عجز ذاتِ نفعها فى ضرِّهَا
الله قد قهر العباد بحكمهِ ... وهو العزيزُ فلا يسامُ بقهرِهَا

سبحانه ، ولأمرِه فى خلقه … فوق الذى قد أبرمت من أمْرِهَا
وصموا إلههمُ بما لا يرتضى … لكلابهِ مَنْ ذا يقولُ بقيلِهَا ؟!
أهمُ العداةُ أم الولاةُ فخبّروا … حارتْ عقولُ أولى النُّهى فى خُبْرِهَا
وقد ارتضوا قول العداةِ بأنها … نَصَبَتْ لمولاهمُ حبائل مكرِهَا
كى يوقعوا عباده من بغيهم … فى ظلمةٍ لا يستضاءُ بفجرِهَا
أبدوا اعتذارًا فى مُصَابِ إلههم … فَجَنَتْ نفوسهمُ فضائح عُذْرِهَا
هلاَّ غفرتم لليهودِ لأنهم … أبدتْ نفوسهمُ الصواب بفعلِهَا
ماذا عليكم أن تودوهم وهمُ … سبب النجاةِ من الجحيم وحَرِّهَا
أو تحمدون الدهرَ مَنْ قَبَلَ الرّشا … فى ربكم وأتى لكم بالمُشْتهى
يا غىّ نفسٍ تهتدى بضلالها … سُحْقًا لمن علق الضلالَ بفكرِهَا
عبدت صليب مصاب مولاها الذى … قَدْ عوّضته عن عبادةِ ربِّهَا
أَهُمُ ارتضوا جهلاً بمصرع ذاته … هلاَّ تحزَّبَ جمعهم فى نصرِهَا؟
وهجوا صليبًا كان فيه حتفه … أو قابلوا خشب الصليب بكسرِهَا
لعن الإله القائلين وأنهم … قتلوه من فئة اليهود وحزبهَا
وكذلك من فئة الضلال وكلهم … سفهًا تساووا فى المقالة كُلِّهَا
سُحْقًا لهم ضلّوا السبيلَ وزيَّنت … آراؤهم ما زيَّنت تعسًا لَهَا

* * *

وهنا أسئلة أذكرها متوالية متعاطفة، من ردّها من النصارى كفر بالتوارة والإنجيل والنبوات كلها ، ومن قبلها كفر بالأمانة التى لهم والصلاة النصرانية جملة، نسألهم:

إن الإله الأزلى خالق العالم ونافخ الروح فى حواء وآدم فرد حى قادر فريد سميع بصير متكلم، أحق ذلك أم باطل؟ .

ثم هذا الإله الأزلى الواحد ـ جلّ وعلا ـ أهو جسم ذو لحم وعظم وشعر وظفر أو يتنزه ويتقدس عن ذلك إذ هو خالق الأجسام؟ .

ثم نسألهم عن الإله الرب الخالق الأزلى، إله إبراهيم وداود وسائر العوالم، هل يفتقر إلى الطعام والشراب فيجوع ويعطش، وينام ويسهر، ويحزن ويفرح، ويمشى ويركب أم لا؟.

ثم إن هذا الإله هل كان معه فى الأزلية ثان أم ثالث يشاركه فى الربوبية ويساويه فى الألوهية أم لم يزل واحدًا من غير ثان وثالث؟.

ثم إن هذا الرب هل يجوز عليه أن يُقهر أو يُعذب أو يُقتل أو يُصلب أم لا؟.

ثم نسألهم إن ما تضمنه الإنجيل من أقوال المسيح وأقوال تلاميذه أحقٌ هى أم باطل؟.

ثم إن يسوع هذا الذى تجعلونه مع الله إلهًا آخر، هل كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون وأهل مللهم يعرفونه أم لا؟.

ثم نسألهم عن آدم عليه السلام لمَّا زلّ وهفا هل استرجع وتاب وأقلع وأناب أم لا؟.

ثم نسألهم هل كان البارى تعالى يوصف بالقدرة على خلاص آدم وذريته دون قتل المسيح وصلبه والتنكيل به أم لا؟.

فهذه عشرة أسئلة.

فإن قالوا فى السؤال الأول الدال على توحيد الله تعالى أنه حق أبطلوا الأمانة وكفروا بها وبدين النصرانية، إذ سائر فرق النصارى يدينون بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية وإنسان من بنى آدم يسمى يسوع، إذ يقرأون فى أمانتهم: نؤمن بالله الآب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالإله الرب الواحد يسوع المسيح الإله الحق.

وفى صلاة النوم: أيها الآب! إنك لم تزل وابنك - نظيرك فى الابتداء - وروح القدس - مساويك فى الكرامة - ثالوثًا واحدًا. وذلك مضاد للتوحيد الذى سلموا صحته.

وإن قالوا: ليس بحق بل كفر وباطل لما تقرر من مذهبهم فى أمانتهم فقد كفروا بتوارة موسى وإنجيل عيسى ومزامير داود ونبوءة إشعياء وسائر النبوات فى إفراد البارى بالوحدانية.

ففى التوراة كثير من ذلك، قال الله تعالى لموسى فى التوراة: «أنا الله إلهك فلا يكن لك إله غيرى، أنا أميت وأحيى، وأنا أسْقم وأبرىء، ولا ينجو أحد من يدى»[١].

وقال المسيح فى إنجيل متَّى: «لا صالح إلا الله الواحد»[٢].

وفى إنجيل يوحنا: «ورفع يسوع بصره إلى فوق وقال: إلهى إن الحياة الدائمة تجب للناس إذ علموا أنك الواحد الحق»[٣].

وفى إنجيل يوحنا: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم، إنى لم أعمل بمشيئتى لكن بمشيئة من أرسلنى»[٤].

إلى غير ذلك مما تقدم فى أدلة العبودية.

وفى مزامير داود: «لا إله إلا الرب ولا عزيز مثله».

وقال بولس فى رسائله: «إن كان فى الوجود آلهة وأرباب كثيرة فإن إلهنا نحن واحد هو الآب الذى منه كل شىء»[٥].

* * *

الثانية: إن نفوا الجسمية عن الإله الأزلى ـ المتقدم ذكره ـ أخرجوا المسيح من الربوبية، إذ الإنجيل يشهد من فاتحته إلى خاتمته بأن المسيح جسم لا يفارق المخلوقين بشىء، وإن وصفوا البارى بهذه النقائص الجسمية كذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات.

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«انظروا الآن أنا، أنا هو وليس إله معى، أنا أميت وأحْيى سحقت، وإنى أشفى، وليس من يدى مخلّص» (تث ٣٢:٣٩).

(٢) مت (١٩/ ١٧).

(٣) يو (١٧/ ٣).

(٤) يو (١٦/ ١٠).

(٥) النص الصحيح هكذا:
«لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان فى السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء». (ألو ٨/ ٥).

ففى التوراة: «لا تشبهونى بشىء مما فى السموات فوق، ولا فى الأرض أسفل، ولا فى البحار تحت، ولا بشىء مما بدت من الحشرات والهوام»[١].

وقال فى المزمور السبعين: «أنت صانع العجائب لا نظير لك يا قدوس إسرائيل»[٢].

* * *

الثالثة: فى افتقاره إلى الطعام والشراب، فإن قدّسوا البارى عن ذلك تركوا القول بربوبية المسيح، والإنجيل يشهد بملابسة المسيح لهذه الأمور، وإن جوزوها على البارى كفروا بالإنجيل والمزامير، ففى الإنجيل: «الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد».

ومثله فى مزمور داود، فمن زعم أن البارى مفتقر إلى هذه الأمور فللحيوان عليه فضل عظيم.

* * *

الرابعة: هل كان معه فى الأزلية شريك؟.

فإن قالوا: لم يزل واحدًا بغير ثان وثالث وافقوا الملة الحنيفية وفارقوا دين النصرانية لما تقدم من نص الأمانة، وإن قالوا: بل كان معه فى أزله آلهة أخرى، كذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات، فالتوارة من أولها إلى آخرها مُصرّحة بتوحيد الله تعالى وأنه ليس معه إله غيره، ففيها: «واعلموا أن الله هو إله فى السماء فوق وفى الأرض أسفل وليس له إله غيره»[٣].

وفيها: «الله ربنا فأحبوه من كل قلوبكم وأنفسكم وأموالكم، ولا تعبدوا آلهة

---

(١) لم أعثر على هذا النص بلفظه.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده» (مز ٧٢/ ١٨).

(٣) النص الصحيح هكذا:

«لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض» (خر ٢٠/ ٤).

أخرى فالله، ربكم إله غيور»[١].

وفيهـا: «إن دعاك قريبك أو صديقك إلى عـبادة إله غير الله تعـالى فاقتله ولا تتحنن عليه ولا ترحمه، أنا الله وحدى وليس معى غير».

وقـال رجل للمسـيح فى الإنجـيل: «يا معلـم: ما أول الوصـايا؟ فقـال: أول الوصايا من الأنبياء كلهم: اسـمع يا إسرائيل، الرب واحد، أحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل قوتك»[٢].

وعلى هذا جميع نـواميس الأنبياء، وقد تقـدم فى باب الدلالة على نبوته شىء كثير من ذلك.

وقال فى النبـوات: «أنا الله الأول، أنا الله الآخر، وليس معى غـيرى»[٣] فمن زعم أن مع الله غيره كـفر وخرج من سائر الملل، ومن صـرح بذلك لم يقبل منه سوى الإسلام أو السيف.

* * *

الخامسة: هل يغلب ويقهر ويصلب؟.

فإن نزهوه عن ذلك أبطلوا الأمانة؛ إذ يقرأون فى صلاة الساعة السادسة: «يا من سُمِّرت يداه على الصليب خرق العهد المكتوب فيها خطايانا وخلصنا، يا من سُمِّر على الصليب وبقى حى لصق دمـه عليه، قد أحبـبنا الموت لموتك، نسألك يا الله

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«فقال له يسـوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك» (مت ٢٢: ٣٧).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«فأجابه يسوع: إن أول كل الوصـايا هى اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك مـن كل قلبك ومن كـل نفسـك ومن كل فكرك ومن كـل قـدرتك» (مـر ١٢/ ٢٩).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«هكذا يقول الرب ملك إسـرائيل وفاديه رب الجنود: أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غـيرى» (إش: ٤١/ ٦).

بالمسامير التى سُمِّرت بهم نجنا!».

وإن جوزوا ذلك على الله أكذبتهم التوراة والإنجيل والمزامير، إذ التوراة تشهد فى السفر الأول أن الله أنزل الطوفان فأهلك الجبابرة والطغاة والنماردة وأغرق فرعون وجنوده فى ساعة واحدة، ولم يُغلب سبحانه ولم يُقهر، بل هو القاهر فوق عباده الغالب[1].

وفى المزمور السابع عشر: «لا إله إلا الله، لا عزيز مثل إلهنا الذى علَّم يدى القتال، وشدَّ ذراعى مثل قوس النحاس، عضَّدنى فى الحرب بقوته، جعل الذين قاموا علىّ تحتى، سحق أعدائى مثل التراب وطين الطريق، أطؤهم، صيَّرنى رأسًا للشعوب»[2].

* * *

السادسة: ما تضمنه الإنجيل من أقوال المسيح حق أم باطل؟.

فإن زعموا أنه باطل كفروا بالمسيح، وإن قالوا: إن ما تضمنه من الأقوال حق وصدق اعترفوا بعبودية المسيح ونبوته ورسالته أسوة بغيره من الأنبياء والمرسلين، إذ قال فى الإنجيل: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم» وفيما حكوا عنه: إلهى إلهى لم تركتنى. ولا خلاف بين النصارى أنه تعمَّد وصام وصلَّى وتعبد، وقال: أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم.

وقال فى الكتاب العزيز حكاية عنه: ﴿إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِى الكِتَابَ﴾ [مريم: ٣٠].

ولما أحيا ابن الأرملة قال الناس: قد قام فينا نبى، وقد تقدمت أدلة العبودية

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأُهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما فى الأرض يموت» (تك ٦/ ١٧).

(٢) جاء النص ليس كما قال المؤلف فى المزمور ١٧ ولكن فى المزمور ١٨ هكذا:
«لأنه من هو إله غير الرب، ومن هو صخرة سوى إلهنا الإله الذى يمنطقنى بالقوة، ويصيِّر طريقى كاملاً، الذى يجعل رجلى كالإبل، وعلى مرتفعاتى يقيمنى، الذى يُعلم يدى القتال، فتحنى بذراعى قوس من نحاس، وتجعل لى ترس خلاصك ويمينك تعضدنى ولطفك يعظمنى» (مز ١٨: ٣١/ ٣٥).

ونبوته ورسالته بما يغنى عن الإعادة.

* * *

السابعة: هل كان الأنبياء والمرسلون فيمن تقدم ذكرهم فى السؤال يعرفونه أم لا؟.

فإن قالوا: لا يعرفونه، فقد شهدوا على الأنبياء بالكفر الصريح إذ كانوا لا يعرفون ربهم وخالقهم الذى لا يصح التوحيد دون معرفته.

وإن قالوا: كانوا عارفين، وهو ربهم وخالقهم أكذبتهم كتبهم ونبواتهم إذ ليس فيها شىء من هذا القبيل، وأخطأ[1] التلاميذ فى أقوالهم إذا كانوا يخاطبونه بلفظ العبودية والرسالة.

وقال شمعون الصفا: يا بنى إسرائيل اعلموا أن المسيح جاءكم من الله بالأيد والقوة.

وكيف يكون ربًا لداود، وهو يقول فى مزاميره إن المسيح يكون كاهنًا مؤيدًا من الله، يشبه ملكى[2] صادق خادم بيت المقدس؟!.

وقد تقدم قول المعمدانى يوحنا عند تعميده له.

* * *

الثامنة: هل تاب آدم واسترجع أم لا؟.

فإن قالوا: لم يتب أكذبتهم الكتب التى بأيديهم، وإن اعترفوا بتوبته ولابد لهم من ذلك، قيل لهم فلا حاجة إلى قتل المسيح؛ لأن التوبة تنفى القتل، والقتل ينفى صحة التوبة.

* * *

(١) فى المخطوط: خطؤ.

(٢) ملكى صادق: اسم سامى معناه «ملك البر» وهو ملك شاليم أى أورشليم، كاهن الله العلى وهو رمز إلى المسيح الذى هو كاهن على رتبة ملكى صادق.
(انظر: قاموس الكتاب المقدس).

التاسعة: هل يوصف البارى بالجهل بالغيب أم لا؟.

فإن وصفوه بالجهل كذبوا إذ التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة تشهد بأنه عالم المغيبات محيط علمه بكل شىء.

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللَّطِيف الخبير﴾ [الملك: ١٤].

فإن قالوا: لا يصلح من حاله الجهل بالغيب للربوبية تركوا ما يهتفون به من ربوبية المسيح إذ سُئل عن القيامة وعن يومها فقال: «لا أعرف يومها ولا ساعتها، ولا يعرفها إلا الله وحده»[1] وقد تقدم كثير من ذلك.

* * *

العاشرة: هل كان البارى يقدر على خلاص آدم دون قتل المسيح أم لا؟.

فإن قالوا: لا يقدر، كفروا لنسبتهم العجز إلى الله تعالى، وان نسبوه بالقدرة جوّروه ونسبوه إلى الحيف على المسيح، وذلك جار على القول بالتحسين والتقبيح؛ وذلك أنهم يقولون: إن آدم لما خالف ما أُمِرَ به استحق العقاب، فأشفق من ذنبه، فرحمه الله ولطف به وفداه بابنه المسيح، فكان كل ما نزل به من أعدائه فداءً لآدم وقضاء عنه، فضرب عِوضًا عن رفاهيته، وأهين بدلاً عن عزه الذى أمّله فى الخلود فى الجنة، وصُلِب على خشبة لتناوله من الشجرة، وسُمِّرت يداه لامتداد يده إلى الثمرة، وسُقى الخل عند عطشه لاستطعام حلاوة ما أكله، ومات بدلاً عن موت المعصية الذى كان آدم يتوقعه لولا موت المسيح، وذلك إظهاراً لشرف المسيح إذ جعله كبش قربان العالم، فصبر ولم يمانع، واستسلم ولم ينازع.

والجواب: يقال لهم: ألستم تقولون أنه استرجع وتاب فأى شىء أبقت التوراة من ذنبه، والتائب كمن لا ذنب له، وصار قتل المسيح عبثًا تعالى الله منه.

ثم يقال لهم: أخبرونا عن هذا القضاء، أليس هو استدراك مصلحة الأداء وهو أن يأتى القاضى بمثل ما فوق.

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (مت ٢٤/٣٦).

فإذا قالوا: نعم، قلنا: فالذى فوته آدم الانكفاف عن الأكل فيكون قضاؤه بصوم المسيح ووصى له الأربعينيات فلا حاجة إلى قتله.

فإن قالوا: إن آدم وجب عليه موت المعصية وهو الخلود فى النيران وهو أعظم الميتتين، فجاء موت المسيح قضاء عن ذلك الموت فصار من جنسه.

فنقول: هذا باطل لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم لكان أماته الله موت الخطيئة وكان مخلدًا فى النار بدلاً عن آدم، فموت الطبيعة ليس بدلاً عن موت الخطيئة، وإذ بطلت دعواهم بطل قتل المسيح إذ صار ساذجًا عن المعنى، فارغًا عن الفائدة، والرب يتعالى عن العبث.

وقلنا لهم: أليس ولد الصلب أولى من ولد البنت فى كثير من الأحكام؟ فولد صلب آدم أولى فى الفداء من ولد بنته وهو المسيح.

فإن قالوا: المسيح هو ابن الله فلا يصلح لفداء الخلائق غيره.

قلت: أليس إسرائيل عندكم فى التوراة هو بكر الله، والبكر أولى وأفضل عند أبيه، فهلا فداه به ولم يَدَعْ الناس فى عذاب إلى مجىء المسيح.

ثم نقول: إن المسيح عندكم هو الله الأزلى، وعند طائفة هو ابن الله، فكيف يستقيم أن يقتل الله نفسه او ابنه بدلاً عن عباده؟! الله الذى يتوفى الأنفس، فيتحد القاتل فيكون قاتلاً قتيلاً.

ثم نقول: أرأيتم أن رجلاً أمر عبده بأمر فخالف العبد، وتوعده فخاف العبد وأشفق من عقوبته، وراجع خدمته وشمَّر فى مرضاته، فعطف عليه مولاه ورحمه، ثم التفت إلى ابنه فقال: هذا فداؤك أو إلى نفسه فقتل نفسه عن عبده، أكنتم تعدونه حكيمًا أو عاقلاً؟! ثم نقول ألستم عبتم قول ربنا: **﴿وما قَتَلُوه وما صَلَبُوه ولكن شُبِّه لهم﴾** [النساء: ١٥٧][1].

وقد بشر عيسى بمحمد وشهد بنبوته، وكذلك جميع الأنبياء فى كتبهم شاهدين

---

(١) قضية الصلب أو صلب المسيح، كتابٌ أهيب بكل مسلم يبحث فى الأديان أن يقتنيه، وهو للداعية أحمد ديدات، وقد غيرت اسمه إلى «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم».

بنبوته ومأخوذ عليهم العهد إذا بُعث فى اتِّباعه ونُصْرَته، والنبى محال عليه الكذب فإنه لا ينطق عن الهوى، وقد أخبر عن الله تعالى بقوله: ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ ففى تكذيبه تكذيب لكل نبوات الأنبياء، عيسى فمن فوقه منهم، وقد زعمتم أن قتل الشبه [فداء][1] عن عيسى ظُلم وحَيْف لا يليق بالحكمة، فكيف نسيتم نفوسكم هنا وجوَّزتم أن يُقتل الله المسيح ويُنكل به فداءً عن آدم ولم تجعلوا ذلك ظلمًا وحيفًا؟ والجَوْر لا يجوز على الولد كما لا يجوز على العبد.

ثم يقال لهم: لم تنكرون أن الذى فدى آدم هو هابيل لوجهين؛ لأنه من جوهر أبيه إنسان حق من إنسان حق، وأما المسيح فهو عندكم إله حق منه إله حق من جوهر الله[2].

الوجه الثانى فى ذلك: المبادرة إلى خلاص الخلائق من الجحيم، وفى الفداء بالمسيح بقاء الخلائق وأبيهم آدم فى العذاب خمسة آلاف سنة، فكان الفداء بهابيل أولى ولا سيما إنكم توجبون على الله رعاية الأصلح لعباده، وليس من الصلاح - فضلاً عن الأصلح - أن يعاقب الله عبيده آلافًا من السنين وله مندوحة عن ذلك، ألستم رويتم عن توراتكم أن الله تعالى قد فدا ولد عبده إبراهيم بذبح عظيم؟ فإن قالوا: بلى، قلنا لهم: أفكان ولد عبده أزكى لديه وأعز عليه من ولده المسيح، أم تقولون أنه أعوزته الغنم فلم يقدر على رأس يذبحها ويريح العالم من فتنة المسيح، وقد رويتم فى التوراة أن الله تقدم إلى إبراهيم فى ذبح ولده، فلما عزم على امتثال أمر الله تعالى لطف بهما وفدى الولد رحمة لعبده، وإذا كان ذلك جائزًا فى حكمه فلعله قد أمر المسيح فى حق نفسه بما أمر به إبراهيم فى حق ولده فاستسلم وصار يخبر بذلك تلاميذه كما كان إبراهيم يخبر به ولده، ثم لما صح عزم المسيح على تجرع الكأس لطف به وفداه برجل قد حضر أجله فإن عناية الله بالمسيح لا تقصر عن عنايته بولد إبراهيم.

وقد أوحى الله إلى إشعياء عليه السلام: قل لحزقيال ملك يهود يوصى فإنه ميت فى علّته، فأخبره بأن يوصى، فبكى وتضرع، فنزل الوحى على إشعياء قبل

---

(١) غير موجودة فى الأصل وأثبتناها لتمام المعنى واستقامته.

(٢) فى المطبوعة: أبيه.

خروجه من الدار وقال: قل لحزقـيال إنك تعافى من علتك هذه وتنزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام وقـد زيد فى عمرك خمـسة عشر سنة، وإذا كـان هذا وشبهه غـير مستحيل عند النصارى فما الذى أحاله فى حق المسيح وقد تضرع إلى الله غير مرة فى صرف كأس المنية عنه كما شـهد به الإنجيل؟ والمسيح لا ترد له دعوة فلعل الله قد أجاب دعاءه ورحم نداءه وحال بين اليهود وبين ما أرادوا منه.

ويقال لهم: لم تنـكرون أن الله تاب على عبده آدم وعـافى عبده المسـيح وفداه بكافـر أو بمؤمن عجَّله إلى الجنة لا سـيمـا وقد اسـتعـمل المسيح لما سـأله رئيس الكهنة: أهو المسيح؟ فاستعمل الحَيْدة بالجواب.

وهل تقـولون: إن أحدنا الـيوم إذا عـصى ربه أتجزيـه التوبة أم لابد أن يُقـتل ويُصلب؟

فإن قلتم: تجـزيه، فهل هو أولى من صفى الله آدم إذ قلـتم لابد فى توبته من قتل المسيح لأجله.

وإن قلتم: لا تجزيه أكذبتم بولس حيث يقول فى رسالته: أو لا تعلم أن إهمال الله لك من العقوبة إنما هو لِيُقْبِلَ بك إلى الـتوبة، فقد صرح أن التوبة مـجزية فلا حاجة إلى قتل وصلب.

ثم يقال لهم: ألستم تقولون أن الله تعـالى فَدَى آدم بالمسيح رحمة لآدم وامتنانًا بدلاً من الموت الذى وجب على آدم، فـإذا قالوا: بلى، يقال لهـم: أليس ناسوت المسيح من بنى آدم يحس ويتألم ويفرح ويغتم؟ فإذا قالوا: بلى، قيل لهم: فكيف فدى آدم ببعض آدم فقد صارت النعمة مشوبة بالكدر.

فإن قـالوا: هذا بمثابة مال يشـرف على الهلكة فتـقضى الحكمة باتلاف بعـضه صونًا لبقيته.

يقال لهم: إنما ذلك لعُسْر الأمـر على المالك إذ لابد من هلاك الكل أو البعض فهـو كالمكره، والله تعالى لا مسـتكره له وليس مضطرًا ولا يفعل مـا يفعله لعلَّة، فلو عفا عن جُرْم آدم وأحـسن إليه لم يعد ذلك منه إلا إحسـانًا، ولو عاقب أَقَبح الناس لم يقبح ذلك، وقد أخـبرت التوراة أن الله تعالى عفـا عن الساوى مع قبح

جرمه، وأهلك بلعام بن باعورا[١] مع سابق معرفته ﴿لا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل وَهم يُسْأَلون﴾.

وكيف تعم خطيئة آدم سائر أولاده والنبوات والتوراة ترد هذه المقالة الشوهاء[٢]، قال الله تعالى فى بعض النبوات[٣]: «ولا آخذ الولد بخطيئة والده ولا الوالد بخطيئة ولده، بل طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطىء عليه تكون».

وقال فى كتابه العزيز: ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال داود فى مزمور له: «والذى تهمّون به فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم، اذبحوا لله ذبيحة البر وتوكلوا على الرب»[٤].

فهذا يقتضى أنه لا حاجة إلى قتل المسيح إذ الندم والتوكل فيه مندوحة عن ذلك.

وقال المسيح فى الإنجيل: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشرى»[٥]. فقد شهد المسيح أن التوبة مستقلة بمحو الآثام فلا حاجة إلى شىء آخر.

---

(١) بلعام ومعناه «مبتلع» وهو ابن يعور من بلدة تدعى فتور فى أرام النهرين، وكان نبيًا عرّافًا.

انظر بقية قصة حياته فى كل من:

١ـ قاموس الكتاب المقدس ـ د. بطرس عبد الملاك.

٢ـ دائرة المعارف الكتابية ـ نخبة من رجال اللاهوت.

(٢) شاه الشىء شَوْهًا: قَبُح. ويقال: شاهت الوجوه فهى شوهاء. (المعجم الوجيز ـ ص ٣٥٥).

(٣) لم يُشر المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى هذه النبوات بأدنى إشارة، وعلى الرغم من هذا بحثنا عن مظان وجود النص فى فهارس الكتاب المقدس فلم نعثر عليه.

(٤) النص الصحيح هكذا:

«ارتعدوا ولا تخطئوا، تكلموا فى قلوبكم على مضاجعكم، واسكتوا سِلاه، اذبحوا ذبائح البر وتوكلوا على الرب» (مز ٤/ ٤ـ٥).

(٥) النص الصحيح هكذا:

«ويقول قد كَمَل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (ق ١/ ١٥).

ويقال لهم: ما تقولون فيمن مات قبل مجيء المسيح أكفاراً كانوا أم مؤمنين؟

فإن قالوا: مؤمنين فقد سلَّموا أن لا حاجة إلى قتل المسيح فى تخليصهم، إذ إيمانهم مُخَلِّصهم لا غيره.

وإن قالوا: كانوا كفاراً كذبهم المسيح، إذ قال فى الإنجيل: «إنى لم أرسل إلا إلى الذين ظلموا من بنى إسرائيل وإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء»[1].

وأنتم قلتم: أن المسيح إنما نزل من السماء لخلاص كل الناس، فإن قالوا: نعم، قلنا لهم: فما تقولون فيمن مات قبل نزوله عليه السلام وكيف الطريق إلى بلوغ دعوته إليهم.

فإن قالوا: تعذر تلافى أمره وفات استدراكه بموتهم، قلت: جوَّرتم المسيح ونسبتموه إلى الظلم والحيف حيث لم ينزل لخلاصهم قبل موتهم، فَلِمَ أخَّر ذلك حتى ماتوا على الضلال والكفر، وكيف صار الأحياء أحق بالرحمة من الأموات، وفى هذه المقالة هدم أصلكم فى التحسين والتقبيح.

وإن تحامقوا وقالوا: إن المسيح دعا الأحياء وهو حى، ثم مات فدعا الأموات فى قبورهم فمن أجابه نجا ومن أبى هلك، فنقول: دعاهم فى قبورهم وهو حى أم دعاهم وهو ميت؟

فإن قالوا: دعاهم وهو ميت، سقطت مكالمتهم وتبين[2] جنونهم.

وإن قالوا: دعاهم وهو حى، نقضوا قولهم أنه مات، فدعا الأموات.

ثم يقال لهم: أدعا المؤمنين والكفار أم اقتصر على دعاء المؤمنين فقط؟

فإن قالوا: دعا الجميع، قلنا لهم: فلعله دعا فرعون ونمرود فآمنا، ودعا جماعة من الموحدين ولم يجيبوا، فهل تشكّون فى أحد الفريقين؟ فإن توقفوا فى ذلك فقد جوّزوا أن يكون فرعون وأشباهه فى الجنان ومن مات على التوحيد فى دركات النيران لاحتمال تغير الحال.

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«فأجاب وقال: لم أُرْسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ١٥/ ٢٤).

(٢) فى المخطوط: بان.

وإن قالوا: بل كلٌّ علـى ما مات عليـه من كفر وإيمـان، قلنا: فدعـاء المسيح إياهم وكونه مات بسببهم وقع عبثًا بلا فائدة.

فإن قالوا: لابد من صورة الدعوة لإقامة الحجة عليهم فى القيامة، قلنا: دعتهم أنبياؤه ورسله وأقاموا الحجة عليهم فمـا حاجته إلى تجشمه أمرًا قد فُرِغَ منه إلا أن يقولوا إنه اتَّهم أنبيـاؤه ورسله فى السفارة[1] ولم يدر ما أحـدثوا فى التبليغ عنه، فنزل ليعلم حقيقة الأمر!.

فيقال لهم: أليس قـد دعاهم فى حال حياته فزعمتم أنهم وثبـوا عليه فقتلوه، أفترون أنه فى حـال مماته أقوى منه فى حال حياته؟! فمـا يؤمنكم أنه حين دعاهم فى القبور وثبوا عليـه وفتكوا به كما فعلوا به وهو حى، فإذا كـان لا يستحيل من الأموات الدعوى والإجابه [لا يستحيل][2] منهم القتل والإهانة.

ويقال لهم: أليس [المسيح][3] عندكم عبـارة عن لاهوت وناسوت اتحدا فـصار مسيحًا؟ فإذا قالوا: بلى، قلنا: فـالميت أيهما؟ فإذا قالوا: الناسوت، قلنا: فكيف استقل بهـدايه الخلق ناسوت ميت، وعجز عن ذلك لاهوت حى؟ أفـتقولون: أن ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته.

وأيضًا فإن الناسوت فـى حال اتحاده أقام فوق الثـلاثين سنة بالناصرة وأورشليم لم يتـجـاوز ذلك، فلمَّا فارق لاهوتـه يومًا وليلة قلتم إنه أتى الأمـوات وهم فى أكناف الأرض متفرقـون فدعاهم، فما ترى الناسوت على مـقتضى ذلك إلا أعظم حالة من إحـاطة اللاهوت، وما نرى لاهوت الرب الذى كان مـتحدًا بجـسده إلا حبسـه عن خير كثـير إذ عطله عن الانبعاث ونشـر الدعوة، فكيف يكون إله حى أنهض منه جسد ميت؟! والقسمان باطلان على ما لا يخفى.

فإن قالوا: بل أحيـاه غيره فهو الذى أماته، قلنا: فذلـك الغير الذى تولى موته وإحياءه أهو حى أم ميت.

---

(١) فى المخطوط: الشفارة.

(٢) ساقطة من المخطوط.

(٣) ساقطة من المخطوط.

فإن قالوا: ميت، كان ذلك محالاً إذ الميت لا يُحيى ولا يُميت، وإن قالوا: كان حيًا قادرًا أمات المسيح ثم أحياه، قلنا: فقد اعترفتم أن المسيح عبد من العبيد تجرى عليه الأحكام من الموت والإحياء، وفى ذلك بطلان شريعة إيمانكم إذ تقولون: إن المسيح إله حق غير مخلوق وأنه أتقن العوالم وخلق كل شىء.

ثم يقال: أخبرونا هل إماتة المسيح ممن أماته وأعدمه فضلٌ وحكمةٌ أم سَفَهٌ وعبث؟

فإن قالوا: فضل وحكمة فقد اثنوا على اليهود لمساعدتهم على ذلك، وعلى يهوذا لأنه فاز بالدلالة عليه وأعان على حصول ذلك.

فإن قالوا: لعن اليهود ويهوذا مُتَعَيِّن لأن ذلك هو كسبهم وإن وافقوا الفضل والحكمة وصادفوا ذلك مصادفة، يقال لهم: فكيف يقول المسيح على الصليب: إلهى إلهى كيف تركتنى وخذلتنى؟ وكيف قال: إلهى إن كان يحسن صرف هذا الكأس عنى فاصرفه. فلزم بمقضتى قولكم أنه لم يرضى بهذا الفضل والحكمة والتمس البقاء، وذلك فيما زعمتم سفه يناقض الحكمة.

ثم يقال لهم: خبرونا لو لم يتب آدم هل كان قتل المسيح يستقل بخلاصه دونها؟

فإن قالوا: نعم فى دم المسيح خلاص وإن لم يتب، فحينئذ خلت التوبة عن الفائدة ولزم أن يكون كل فاجر وكافر وظالم خلصوا، فإن التزموا ذلك يقال لهم: فاليهود ويهوذا وفرعون ونمروذ قد خلصوا أيضًا، وأنتم لا تقولون بذلك. لكنه لازم لكم.

فإن قالوا: بل الخلاص بمجموع الأمرين، قلنا: فلا يكون دمه مكافئًا لآدم ما لم ينضم إليه التوبة، ومن عجز عن خلاص عبد واحد فإنه عن خلاص سائر العباد أعجز. وقال مرقس فى خاتمه إنجيله: إن المسيح حين ودع تلاميذه صاعدًا إلى السماء قال لهم: «كرّزوا بالإنجيل فى الخليقة فمن آمن خَلَص، ومن لا يؤمن فإنه يُدان»[1].

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن» (ق ١٦, ١٥/١٦).

فالإيمان هو المُخَلِّص بشهادة المسيح ولا يُقتل ولا يُصلب.

ويقال لهم: هل كـان خلاص آدم من غير أن ينال المسيح سـوء ممكن فى قدرة الله تعالى أم كان سبحانه عاجزًا من سلامة عبده وصونه من المحن والبلايا؟

فإن قالوا: لا يمكـن، جعلوا الله عاجزًا مضطرًا، وسـائر كتب الله تكذبهم إذ هى شاهدة له بالقدرة على كل ممكن.

وإن قالوا: كان قـادرًا جوّروا الله ونسبوه إلى الظلم إذ عـذب آدم وقتل المسيح وهو قادر على سلامته وكفايته، وذلك مشـوش على أصولهم بالتحسين والتقبيح، والله أعلم.

* * *

الباب الثامن

فى الأدلة على أن المصلوب الشَّبه ، وأنه عند قتله على قاتليه اشتبه والدلالة على رفعه إليه ، لشرفه عنده ومكانته لديه

قد تقدم أن أصحاب المسيح المؤمنين لم يحضر منهم أحد، واليهود والكفار شرذمة قليلة أكثرهم لم يعرف المسيح أصلاً، ولم يحصل لهم غَلَبَة ظن بقتل المسيح فضلاً عن حصول العلم الضرورى به، وها نحن نورد من الحجج المقبولة عندكم ما يقضى بغلطكم فى قتل المسيح وصلبه ويحقق لكم أن المفعول به ذلك سواه، وهو الشبه الذى نطق الكتاب العزيز به، وقد ثبت ذلك عن الله بنبوات الأنبياء ورسالات المرسلين، إذ كلٌ مُصَدِّقٌ وشاهدٌ بنبوة سيدنا محمد سيد المرسلين وأن ما ينطق به عن الله تعالى، وأنه معصوم عن السهو والغلط، وقد شهد الله على لسانه أن المسيح ليس[1] مقتولاً ولا مصلوبًا وأنه شُبِّه لهم، ويدل على ذلك ما سنورده من الحجج:

الحجة الأولى:

أن المسيح نشأ بين أَظْهُر اليهود وتردد معهم في مواسمهم وأعيادهم، وزاحمهم فى مجامع قراءتهم، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأسباطهم، وأنه حين بهر فى علم التوراة والنبوات كان عندهم فى الهيكل بأورشليم، ويناظر أحبارهم فيبهتهم بحُسن[2] تعليمه، وبما مُنح[3] من الفهم الثاقب والحجة البالغة، ويقولون متعجبين من شأنه: أليس هذا ابن يوسف، أليس أمه مريم، أليس إخوته وإخوانه عندنا، فمن أين له هذه الحكمة؟! فحينئذ ما حاجتهم أن اكتروا[4] رجلاً من تلاميذه بالأجرة حتى عرَّفهم بشخصه لولا وقوع الشبه الذى نقول به.

---

(١) فى المخطوط: لا.

(٢) فى المخطوط: فى حُسْن.

(٣) فى المخطوط: منحه.

(٤) فى المخطوط: اتركوا.

الحجة الثانية:

على أن المقتول غير المسيح، وأنه كان قد شبه لهم قول النقلة أن رئيس الكهنة أقسم على المأخوذ: بالله الحى أنت المسيح ابن الله الحى؟ فقال له: أنت. قلت: ولم يجبه بأنه هو المسيح، فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له: نعم، ولم يستجز أن [يورى][1] بالجواب وهو مُحلَّف بالله الحى، ثم إن المسيح إنما جاء لبثّ الحق ونشر الصدق فكيف يأتى بشىء ويتكلفه ثم يكتمه.

قالت النصارى: [لو كان غيره][2] لبينه ولم يُخفِ ذلك وكان يقول لست المسيح وإنما أنا سواه.

فنقول: إن الشبه ربما أدركته دهشة تمنعه من البيان والإيضاح أو يقال: أخذ الله على لسانه فلم يستطع أن يخبر عن نفسه صونًا لنبيه أن يفصح[3] الرجل عن أمره، أو نقول: يحتمل أن الشبه لصديقه آثر المسيح بنفسه وفعل ذلك بعهد عهده إليه رغبة فى الشهادة، فلهذا ورَّى[4] فى الجواب، وقد وعد المسيح التلاميذ قَبْلُ بقولهم لو دفعنا إلى الموت معك لمتنا، والشبه من جملتهم، فوفّى لما وعد من نفسه على عادة الصدّيقين من أصحاب الأنبياء، فهو من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد عاهد أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ وبايعوه على أن يفدوه بأنفسهم وأموالهم فوفوا بما وعدوا، فأثنى الله عليهم فى كتابه العزيز بقوله:

﴿إنَّ الله اشتَرَى من المؤْمنين أنفُسَهُم وأمْوَالهم بأنَّ لهم الجنّة يقَاتلون فى سَبِيل الله فيَقْتُلُون ويُقْتَلُونَ وَعْداً علَيه حقًا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومَن أوْفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايَعْتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبه: ١١١].

فلو كان المُقْسم عليه هو المسيح لم ينكر ولم يُورِ، فإن قلت: قال تعالى: ﴿ولكن شُبِّه لهم﴾ [النساء: ١٥٧].

---

(١) فى المخطوط: أن؛ وهى فى غير موضعها.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) فى المخطوط: يفضح.

(٤) ورَّى عن الشىء: أراده وأظهر غيره. (المعجم الوجيز - ص ١٦٦ - باب ورَى).

فإذا شبه لهم، يسألون: هل هو المسيح أم لا؟ أما كان فى شبهه بالمسيح ما يغنيهم عن السؤال عنه؟

قلت: وإن ألقى الله عليه شبه الصورة فلم يلق عليه ما كان كسى به المسيح عليه السلام من المهابة وأبّهة الرسالة وعظم الشأن، فهم يعهدون منه ذلك حتى كانوا إذا أنكروا عليه شيئًا مما يقوله بين ظهرانيهم مما لا تحتمله عقولهم يمنعهم من الوقوع به هيبة سلطانه وعظيم مهابته، فوجدوا معهم رجلاً ذليلاً حقيراً لا يمتنع عليهم بشىء مما يقصدونه به من الإهانة والضرب والصفح، ولا سيما وقد أخذوه ليلاً فرابهم أمره ولم يتيقنوا أنه المسيح، فاحتاجوا إلى السؤال والقسم، وإلا فأى حاجة لهم فى ذلك لو عرفوه يقينًا، وزادهم ريبة فيه حيدته عن الجواب.

* * *

الحجة الثالثة:

على حماية المسيح عليه السلام وأن المصلوب غيره والدلالة على رفعه، قال لوقا: «المسيح صعد إلى جبل الخليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا، فبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه، وابيضت ثيابه وصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيليا قد ظهرا له، وجاءت سحابة فاظلّتهم، وأما الذين كانوا مع المسيح فوقع عليهم النوم فناموا»[1].

وهذا من واضح الدلالة على رفعه وحصول الشبه الذى نقول به، وذلك أقوى ما يتمسك به فى حماية المسيح ووقوع شبهه على آخر سواه، إذ لا معنى لظهور موسى وإيليا ووقوع النوم على أصحابه إلا رفعه، وما بقى بعد ذلك ورأوه بعد يقظتهم ليس المسيح إنما هو طور من أطوار روحه؛ لأن المسيح كان له قوة التطور، وهذا من أحكام الروح، ولو رُفعت إلى المحل الأسنى يكون له طور فى هذا

(١) النص الصحيح هكذا:
«وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب، وصعد إلى جبل ليصلى، وفيما هو يصلى صارت هيئة وجهه متغيرة، ولباسه مُبيضًا لامعًا؛ وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم، وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم» (لو ٩: ٢٨/ ٣٢).

العالم، وقد شوهد[١] جماعة من الموتى يمشون فى الأسواق بصورهم وليس ذلك سوى طور من تشكل أرواحهم، وحكاياتهم فى هذا عجيبة يضيق عنها هذا المختصر، ألا ترى أن اليهود كان يسمعون منه أن إيليا يأتى، فلما رفعوه على الخشبة قالوا: ادعوه حتى نرى إن كان أيليا يأتى فيخلصه، فصاروا فى شك يريدون تحقيقه، فإن أتى إيليا فإن الذى رفعوه هو المسيح، وإن لم يأت فهو غيره ـ كما فى ظنهم ـ، فلما لم يأت زادوا ريبة فى أمره.

والدليل على غلط النصارى قول بولس الرسول فى صدر رسائله زاريًا[٢] عليهم: «إنهم لم يعرفوا الله ولكن أضلت قلوبهم التى لا تفق، فجهلوا واستبدلوا بالله الذى لا يناله فساد صورة الفاسد، فلذلك أهملهم الله وتركهم وشهوات قلوبهم النجسة، فبدلوا حق الله بالكذب، وعبدوا الخلائق وآثروها على خالقها الذى له التسابيح والبركات، فلذلك وكلهم الله إلى الأدواء الفاضحة» فكان بولس هذا ألهمه الله ما سيفعله فتأخروا النصارى إلهامًا، فنطق بذلك ردًا عليهم ومصرحًا بكفرهم وضلالهم.

* * *

الحجة الرابعة:

أن المأخوذ قد غُيرت صورته لما سبق ذليلاً، وألبس من الشوك إكليلاً، وجُذِب وسُحب، ولُزم وضُرب، وحَمَلَ خشبته التى صلب عليها.

قال يوحنا: أُخِذَ فى ليلة باردة من بستان بوادى الأرز كان يخلو فيه مع تلاميذه، فاجتمع فى القصة ما يفضى إلى الغلط، فترجح فى النقل اللغط وهو أن المصلوب أُخِذ فى ليل مظلم على حين فترة، فلم يصل به الشرط حتى طمست محاسنه، فلم يتحقق أنه المسيح، فما نقله لوقا أعظم دلالة على أنه الشبه.

* * *

(١) فى المخطوط: شهد.

(٢) فى المخطوط: رازيًا.

الحجة الخامسة:

على ما قلناه، قال يوحنا التلميذ: كان يسوع مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود فى طلبه، فخرج إليهم يسوع وقال لهم: من تريدون؟ قالوا: يسوع - وقد خفى شخصه عنهم - فقال: أنا يسوع، وفعل ذلك مرتين، وقد أنكروا صورته.

فانظر رحمك الله وتدبر إلى ذلك لما سألهم من الذى تريدون؟ قالوا: يسوع، وهم أعداؤه، فلم يسعه أن ينكر نفسه، وقال لهم: أنا يسوع لما علم أن الله تولى حراسته منهم وأنهم لا ينالوه بسوء، فكيف ينكر نفسه لَمَّا سأله رئيس الكهنة وأقسم عليه، لكن لَمَّا لم يصدقوه أنه المسيح ألقى شبهه على رجل من أوليائه، وكيف لم يصدقوه وهو الناشىء بينهم وهو المُرَبى بينهم فى جماعتهم.

* * *

الحجة السادسة:

قال لوقا فى إنجيله: «إن المسيح بعد قيامه صحب رجلين من أورشليم وهما يطلبان قرية يقال لها عمواس ، فماشاهما ، وكانت عيونهما ممسوكة عن معرفته، فلما كلمهما عرفاه بعد ذلك»[١].

وقال أيضًا: «بينا التلاميذ فى غرفة لهم إذ وقف المسيح فى وسطهم بعد قيامه والتمس منهم شيئًا يأكله، فأطعموه جزءًا من حوت، وشيئًا من شهد العسل»[٢].

اعلم وفقك الله: [أن الشبه لما فدى المسيح بنفسه أخفى الله][٣] شخص المسيح عن العيون، وإن قيل: رفع حين أخذ الشبه إلى القتل والصلب كان أشبه، ثم ما بدا للناس من صورته بعد انتهاء الصلب والقتل والدفن وبقائه فى القبر مدة إنما هو

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غَلْوَة اسمها «عمواس»، وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته...» (لو ٢٤/ ١٣-١٦).

(٢) النص تكملة لما قبله (لو ٢٤: ٣٦/ ٤٣).

(٣) لم يرد مما بين المعقوفين - وربما تكون قد سقطت من الناسخ - وأثبتناها لإتمام المعنى.

تطور من روحه وليس جسمًا حقيقـيًا، فمضيه إلى الجبل [ومعه][١] بطرس وبياض الأثواب ولمعها وإلقاء النوم على الحاضرين يؤيد أن رفـعه كان قبل قتل الشبه، وأن الذى بقى بعد الجـبل عندهم إنما هو تطور روحانى إن شاء أبقـاه وإن شاء[٢] فكه، وأن الشبه قُضى له بالقتل والصلب ـ وإن كان المسيح غنيًا أن يفدى بشبه أو غيره ـ وفى الكتاب العزيز ما يدل على ذلك، فإنهم أخذوا رجلاً شبّه لهم فعلوا به ذلك، ويحتمل أن يكون المسـيح أخفى الله شخصه عن أعـدائه، وما رُفع إلا بعد صلب الشبه، فقال لـوقا وغيره: «بعد قيامه» ظنًا منهم أنه صلب، وإنما هو بعـد اختفائه عن أعين الناس، حتى خاب مكر أعدائه، لكن الأوجه أنه رُفع قبل ذلك عند تغير لون أثوابه ووجهه وحـضور موسى وإيليا وإلقاء النوم على من كـان معه، وأن ما بدا للعيون بعد ذلك إنما هو [طور][٣] من أطوار روحه الشريفة كما تقدم.

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) يقول الشـيخ الداعية أحمد ديدات فـى كتابه Crucifixion «الصَلْب»: دعنى أيهـا القارئ الكريم أقدم بين يديك موجزًا سريعًا للنقـاط التى ناقشناها حتى الآن أن عيسى (يسوع) ـ عليه السلام ـ لم يُقتل ولم يُصلب كما يدعى المسيحيون واليهود ولكنه كان حيًا.

١ـ كان عيسى ـ عليه السلام ـ حريصًا ألا يموت.

٢ـ تضرع عيسى ـ عليه السلام ـ إلى الله كما ينقذه.

٣ـ يسمع الله دعاءه وهو ما يعنى أن الله استجاب لدعائه أن يظل حيًا.

٤ـ يجد الحاكم الرومانى بيلاطس أنه ليس مذنبًا وهو سبب قوى لابقائه حيًا.

٥ـ ترى زوجة بيلاطـس حلمًا ينبهها أنه لا يجب أن يلحق أذى بهـذا الرجل العادل بمعنى أنه يجب أن ينقذ ليبقى حيًا.

٦ـ حسب الأناجيل فإنه بقى على الصليب ثلاث سـاعات فقط، وحسب المنطق الشائع لا يمكن أن يكون أحد المحكوم عليهم بالموت صلبًا قد مـات فى مثل هذا الوقت القصير مما يعنى أنه حتى لو كان ثبت على الصليب فإنه كان حيًا.

٧ـ تقول دائرة معـارف الإنجيل تحت عنوان الصليب أنه عندما غُزَّ يسـوع بالرمح فإنه كان حيًا».

ولمزيد من التفصيل اقتن كتاب «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» للشيخ أحمد ديدات وترجمة الباحث رمضان الصفناوى ـ نشر المختار الإسلامى.

(٣) ساقطة من الأصل.

الحجة السابعة:

قال يوحنا: وقف المسيح على تلاميذه وهم يصيدون السمك فقال لهم: يا فتيان هل عندكم طعام؟ فلم يعرفوه، فقالوا: لا، فقال: ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن، ففعلوا، فرفعت سمكًا كثيرًا، فحينئذ عرفوه، وقالوا: هو المسيح، وكان أحدهم عُرْيَانا فأخذ مئزره[١] حين عرف المسيح.

فانظر رحمك الله أن المسيح ابن مريم لما كان من الأنبياء والمرسلين آتاه الله تعالى من فنون الولاية وعجائبها شيئًا كثيرًا.

وكان للسيد عيسى من ذلك ما يُجل عن الوصف، فبدا أولاً لمريم المجدلانية فى صفة حارس بستان، ثم مشى مع الرجلين لقرية عمواس فلم يعرفاه لولا أراد إظهاره لهما فتحققاه بالبيان، ثم وقف على تلاميذه عند صيد السمك فلم يعرفوه فلولا أظهر نفسه ما تستر العريان.

* * *

الحجة الثامنة:

إن القول بقتل المسيح يُكذب المسيح، وما أدى[٢] إلى تكذيبه فهو باطل، وبيانه هو: أن المسيح عليه السلام قد بشر فى إنجيله بمحمد ﷺ وقال إنه النبى الصادق الآتى بعده، ومحمد عليه الصلاة والسلام قد جاء وأخبر أنه ما قُتل ولا صُلب، فالقول بقتل المسيح يؤدى إلى تكذيب المسيح.

* * *

الحجة التاسعة:

لو قد صح قتل المسيح وصلبه لبطلت الدلالة على وجود البارى وإبطال جميع النبوات وكذب سائر الأنبياء؛ لأن الأنبياء كل منهم [بَشّر][٣] بمحمد والتزموا

(١) المئزر: الإزار؛ وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن (ج) مآزر. (المعجم الوجيز - باب أزر - ص ١٥).

(٢) فى المخطوطة: إدعى.

(٣) ساقطة من الأصل.

الإيمان به واتباعه، فإذا جاء محمد وأخبر بخبر غير صادق فيه بطلت نبوته لذلك، وبطلت نبواتهم حيث أخبروا أنه نبى، فلا يوثق بأخبارهم عن توحيد الله وحدوث العالم وقدم الصانع وغير ذلك مما جاءوا به، وما أدى إلى ذلك فهو مردود من أصله.

* * *

الحجة العاشرة:

قال لوقا: لما كان فى الشهر السادس من حمل اليصابات - زوجة زكريا - بيحيى، جاء جبريل إلى مريم العذراء بالناصرة من أرض الجليل، وهى إذ ذاك خطيبة يوسف - رجل من نسل داود - وقال لها: «أبشرى يا ممتلئة بنعمة الرب، مباركة أنت فى النساء فلما رأته اضطربت من كلامه، فقال لها: لا تخافى فقد ظفرت بنعمة من عند الله تعالى، وأنت تقبلين حبلاً بولد يدعى يسوع يكون عظيمًا وابن العلاء يدعى، يُعطيه الرب كرسى أبيه داود، يملك على بيت يعقوب، فقالت مريم: أنى لى بذلك ولم أعرف رجلاً، فقال: جبريل روح القدس يحل عليك وقوة العلاء تظلك، فقالت مريم: ها أنا عَبْدة الرب فليكن ما قلت»[1].

ورد ذلك على مريم مورد الامتنان والإنعام وهو أن يجلس ولدها على كرسى أبيه داود ويُمَلِّكه رقاب اليهود.

فالقول بأن المسيح ملك وما ملك يقضى بالسخرية والكذب من الرسول والبذاء من المرسل، والكل محال، فالقول بقتله محال، وحكمه آخر الدهر بَشّر به سيدنا

(١) النص الصحيح هكذا:
«فى الشهر السادس أُرْسِل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها «ناصرة» إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت فى النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك: لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيمًا، وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرس داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب ...» (لو ١: ٢٦/ ٣٣).

محمد عليه الصلاة والسلام وقتله لليهود مصداقًا لوعد السيد جبريل، فإن وعد الله حق.

ومما يدل على فساد دعوى القتل وما اشتمل عليه الفصل من الاضطراب وقبح الألفاظ كقوله لرئيس الكهنة: «إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى ترونه جالسًا عن يمين القوة وآتيًا فى سحاب السماء» يريد بالقوة الله تعالى.

وقوله: «إن أناسًا[١] من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يرون ابن الإنسان آتيا فى ملكوته».

وكقول الملك للنسوة: تعالين فانظرن إلى الموضع الذى كان فيه الرب فى القبر» ما أخلق هذه المواضع بالهزء والكذب إذ ليس من أسماء الله تعالى إنسان، ولم[٢] ير أحد من القيام هناك قبل موتهم [عيسى عليه السلام][٣] آتيًا فى ملكوت السماء، والرب لا يكون فى لحد ولا قبر.

وأيضًا فى الفصل أن المصلوب شكا العطش، والإنجيل مصرح أن المسيح صام أربعين يومًا وأربعين ليلة، أيجزع من فراق الماء شانه، وقد كان يقول لتلاميذه: إن لى طعامًا لا تعرفونه، فمن كان صابرًا عن الزاد[٤] والماء المدة السابقة كيف يجزع من فراقه، وقد كان صابرًا قبل ذلك عن مذاقه، وبذلك يتحقق أن العطشان الطالب، والمستسقى والراغب غيره.

وكذلك قوله وهو على الصليب: إلهى إلهى لم تركتنى وخذلتنى؟ وذلك ينافى الرضا بمر القضاء، ويناقض التسليم لأحكام الحكيم، وذلك لا يليق بالصالحين فضلاً عن أكابر المرسلين، فإن صح ذلك فهو من كلام المصلوب؛ لأن الشبه لمّا سلم نفسه يبتغى فداء نبيه عيسى عليه السلام كان طامعًا فى عدم القتل والصلب، وأن يحصل له من قبل الله تعالى حماية من أعداء المسيح، ولم يحقق وقوع القتل ولا الصلب، فلما آيس من النجاة والحياة ناجى إلهه بما كان فى طويته من ظن

(١) فى المخطوط: إنسانًا.

(٢) فى المخطوط: ولا.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) فى المخطوط: يصير.

النجاة، وقال: لم تركتنى وخذلتنى وما نجيتنى من أعداء يسوع كما كان فى ظنى؟ وما علم أن ذلك خير له عند ربه، وأن الله أناله الدرجة العظمى فى جنة الفردوس لاستسلامه للقتل، وإن لم يحقق وقوعه رجاءً فى النجاة من أيدى عداه، إذ لو كان المسيح هو المقتول أو المصلوب لكان حين احتضر مستبشرًا بلقاء ربه، فرحًا بانقلابه إلى سعيه، كما عهد من الأنبياء والمرسلين قبله [حيث][1] لم يجزعوا من الموت، ولم يخافوا الفوت، إذ فى الموت طلبهم وغاية رغبتهم، لترقيهم إلى حضرة حبيبهم، ووصولهم إلى جنة قربهم.

وإذا قلتم أنه المسيح، ألستم تزعمون أنه تَعَنَّى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه، أفتقولون أنه ندم على ما فعل، وطلب الإقالة فلم يُقلْ؟! وأنه ما فعل ذلك إلا مخذولاً متروكًا، مغلوبًا على أمره، معاتبًا مولاه على فعله، غير راض بالقضاء، ولا متمسكا بحبال الرضا، فتبًا لمن ينسب هذه الحالة لأقل عباد الله الصالحين فضلاً عن أولى العزم والمرسلين.

وأما قولكم: إنه صرخ وأمال رأسه، وأسلم روحه، فمناسب لكلام المجانين! كيف يتولى الميت إسلام روحه؟ أهى فى يده حتى يسلمها أو فى قدرته حتى يجذبها، بل هو فى شغل عن ذلك، وعن الاختيار فى سلوك تلك المسالك، وتسليم الميت نفسه غير مشاهد بالعيان حتى يطلع عليه بصر إنسان فيخبر عما كان، أين قولهم فى شريعتهم: نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الذى نزل من السماء وبيده أتقنت العوالم كلها، وخلق كل شىء وليس بمصنوع، الذى نزل من السماء لخلاص معشر الناس.

كيف يصح لهم هذه الدعوى وهو يُنادى بحضرة أعدائه اليهود: إلهى إلهى كيف تركتنى وخذلتنى؟ هذا لا يصلح من أضعف العبيد، فكيف يكون ممن يبدىء ويعيد؟ وكيف يكون مقرونًا باللصوص مصلوبًا على الخشبة، له إله يدعوه ويسأله أن لا يتركه ويخذله، فإذًا فالأمانة باطلة، وقد تقدم أنها الخيانة فى العاجلة والآجلة، والحق أن المصلوب والمقتول الشبه.

---

(١) ساقطة من الأصل.

وقلت من جملة قصيدة تقدم شيء منها وهى هذه:

ولعبده عيسى خصائص رحمة ... قهرت أعاديه معانى سرِّها
رَفَعَ المُهيمنُ ذاته لسمائهِ ... فى عِزَّةٍ وبما يليقُ بِقَدْرِهَا
وفداه بالشبه الذى ألقاه فى ... أيدى العداةِ فَذَاقَ شدة ضرِّهَا
حتى يكون مُمتَّعًا بجوارِه ... فى جنةِ الفردوس أى بمقرِّهَا
هذا ونحن نقول: عيسى عبده ... بخلافِ قولِ الكافرين ونُكْرِهَا

تنبيه: روى وهب بن مُنَبّه[1] أن المسيح حين أحاطت به اليهود فى بيت، صَوّر الله الجميع بصورة المسيح، فخرج واحد منهم - وكانوا تسعة عشر رجلاً - فأخذوه ليلاً وصلبوه.

وروى ابن إسحاق عمن أسلم منهم: [أن][2] المسيح حين أحضره اليهود قال لأصحابه: من يقبل صورتى ويُقتل وله الجنة؟ فقال بعضهم: أنا، فوقع عليه الشبه، وصعد المسيح من ساعته إلى السماء، وأُخِذَ الشبه فقتل، قاله السدّى وابن جريج وقتادة.

وقيل: بل هرب من كان معه من أصحابه وثبت معه واحد يسمى جرجس، فألقى الله شبهُهُ[3] عليه فأُخِذَ ليلاً وقتل، فلم يَشُكّ من كان هرب أن المأخوذ هو المسيح.

وقد تقدمت رواية بطرس فى صعوده الجبل ولميع وجهه وثيابه، وحضور الأنبياء: موسى وإيليا، ونوم أصحابه، وقد تقدم أن حين ذاك صعوده، وما بقى فى الأرض إنما هى أطوار قلبه وروحه.

(١) أبو عبد الله وهب بن منبّه اليمانى الصنعانى، من رواة الإسرائيليات، من التابعين أبوه من خراسان وأرسل إلى اليمن فى زمن كسرى أنوشروان، وأسلم فى حياة النبى ﷺ، ونشأ وهب فى اليمن وولى القضاء لعمر بن عبد العزيز، وأخرج له البخارى، وأبو داود، والنسائى، والترمذى، وقيل: إن له كتاب المبدأ، وكتاب الإسرائيليات.
(الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية - دكتور عبد المنعم الحفنى ص ٣٥- نشر دار المسيرة).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) فى المخطوط: الشبهة.

الباب التاسع

فى المعهود من فضائح النصارى واليهود
وحيل الرهبان وما رووه من الكذب والبهتان
وما افتراه[(١)] اليهود على الأنبياء الأبرار وصفوته الأطهار

فنذكرها مجملة فنقول:

من ذلك: أن قدماء اليهود عبدت عزيرًا وقالوا: أنه ابن الله، وساووا فى ذلك النصارى فى عبادتهم، وقد نطق الكتاب العزيز بذلك، والمتأخرون ينكرون ذلك لما شهد الله فى كتابه عدوانًا وجحدًا وهو منصوص عندهم، وقال به طائفة من أسلافهم يقال لهم المؤتمنية[(٢)]، وقد أسلم يهودى فتلا من أقاويلهم ما فيه شهادة بأن [عزيرًا][(٣)] ابن الله، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

قال الله: ﴿وما أمروا﴾ أى فى توراتهم ﴿إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا﴾ وسبب ذلك أنه لما أحياه الله بعد مائة عام فتلا عليهم التوراة عن ظهر قلب يَهذها هَذّاً كهذ الشعر، وهم يقرؤنها عن ظهر قلب، فقالوا هذا ابن الله.

ومن فضائحهم: أن قدماءهم عبدت الكواكب والزهرة وقرّبت لها القرابين[(٤)]، وقد أخبر الله بذلك نبيه أرميا فى نبوته، فقام فيهم ووعظهم، وخوفهم بأس الله

---

(١) فى المخطوط: افتروه.

(٢) الاسم الصحيح لهذه الطائفة: هو الميمونية نسبة إلى ميمون بن عمران، وقيل: ميمون بن خالد، وهو أحد قادة الخوارج، وقد زادت الميمونية على كفرها فى القدر نوعًا من المجوسية؛ فأباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين، ورأوا قتال السلطان ومَن رضى بحكمه فرضًا، وأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أغار عليهم أو طعن فى دينهم أو كان دليلا للسلطان.

الفَرْق بين الفِرَق ـ البغدادى ـ ص ٩٦ ـ دار المعرفة.

(٣) ساقطة من المخطوط.

(٤) فى المخطوط: قرابين.

وسرعة بطشه، وذكّرهم بأيام الله، فتواثب عليه[١] الشعب وقالوا: إنا لا ندع السجود للزهرة والكواكب، وهمّوا بقتله، وقد عبدوا العجل أيام موسى حين ذهب إلى مناجاة ربه، فصنع لهم السامرى عجلاً من الذهب، وألقى عليه ما أخذه من [تحت][٢] حافر فرس جبريل، فانقلب لحمًا ذا عصب ودم وعروق، له خوار كما قص الله علينا فى كتابه، فأقبلوا على عبادته، وتركوا عبادة الله تعالى، فقام هارون فيهم خطيبًا ووعظهم، فهمّوا أن يقتلوه، فاعتزل عنهم فى طائفة من قومه.

ومن فضائح طائفة منهم: يقال لهم الأسمعية[٣]، مشبهة مجسمة يعتقدون أن خالقهم فى صورة شيخ أبيض الرأس واللحية، ويزعمون أن له فى السماء الثالثة خليفة يسمونه الله الأصغر، ويزعمون أنه مدبر العالم.

وهم يقولون بالنسخ، ومن اليهود من يحيل النسخ بالعقل والنقل جميعًا، وقد دل الدليلان العقلى والنقلى على جوازه وأنه ليس من البدء المحال على الله تعالى، وإنما هى أحكام مقدرة فى مُدد معلومة ينتهى كل بفراغ مدته على ما تقتضيه المصالح، ولذلك أدلة ذكرها العلماء فى كتبهم.

منها: أن الله أباح لآدم وذريته كل ما على وجه الأرض من طير ووحش ودواب، وقد حرم على اليهود كثيراً من ذلك، وحرم الأخت بعد حلها فى زمن آدم، وحرم الجمع بين الأختين بعد حِله لإسرائيل.

ومنها: تحريم السبت بعد حِلّه، ثم حِلّه بعد تحريمه.

ومنها: فداء إسماعيل بالكبش بعد الأمر بذبحه، وغير ذلك مما ورد فى التوراة من التحليل بعد التحريم وعكسه من أمور لا نطيل بذكرها.

---

(١) فى المخطوط: عليهم.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) قد بحثنا فى كل من المراجع الآتية عن هذه الفرق فلم أجد لها أثراً:

١- الملل والنحل - الشهرستانى.

٢- الفصَل فى الملل والأهواء والنحل - ابن حزم الظاهرى.

٣- الفَرْق بين الفِرَق - البغدادى.

٤- البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان - منصور السكسكى.

ومن فضائح طائفة منهم يقال لهم **الأصبهانية**[١]، أصحاب أبى عيسى الأصبهانى، يزعمون أن أبا عيسى كان نبيًا مبعوثًا قبل موسى وذلك على خلاف رأى سائرهم إذ يقولون ليس قبل موسى نبى، ويقولون أنه مفتاح النبوة وبكر الرسالة، والتوراة التى بأيديهم تكذبهم فإنها مصرحة بأن أوامر الله قد وردت على من قبله، وهذه نبوة دانيال تشهد بأن دانيال يشهد بأن بختنصر لما غزا بيت المقدس حرَّق كتب الله المنزلة على إبراهيم وشيث وغيره، وعدَّتها مائة كتاب وأربعة كتب، فنبوة دانيال وغيره حجة عليهم.

ومن اليهود طائفة تسمى **البنيامينية**[٢] أصحاب بنيامين مُوَحّدة غير أنها تعتقد أن لله مضادِدًا من خلقه يُضَادِدُه، وهو فاعل الشر، غير أنه مخلوق من خلقه.

ومن اليهود طائفة تسمى **الملكية**[٣] يزعمون بأن الذى خلق العالم ليس هو الله إنما هو ملك من الملائكة أقدره الله على ذلك، قالوا: وهذا الملك هو الذى كلم موسى وفلق له البحر، ورأسها ملك الصيدلانى من أهل الرملة.

---

(١) الاسم الصحيح لهذه الفرقة هم العيسويّة، وقد نسبوا إلى أبى عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى، وكان فى زمن المنصور وابتدأ دعوته من زمن آخر ملوك بنى أميه: مروان بن محمد الحمار، فأتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات، وزعم أبو عيسى أنه نبى وأنه رسول المسيح المنتظر، وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدًا، بعد واحد وزعم أن المسيح أفضل ولد آدم، وأنه أعلى منزله من الأنبياء الماضيين، وإذ هو رسوله فهو أفضل الكل أيضًا. وحرّم فى كتابه الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذى روح على الإطلاق طيرًا كان أو بهيمة، وأوجب عشر صلوات، وأمر أصحابه بإقامتها وذكر أوقاتها.. اهـ.

(انظر: الملل والنحل ـ الشهرستانى ـ ص ٢١٦ ـ نشر دار الفكر).

(٢) البنيامينية: يُنسبون إلى بنيامين النهاوندى، وقد قرر لهم مذهب أعلمهم فيه أن الآيات المتشابهات فى التوراة كلها مؤولة، وأنه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر، ولا يشبه شيئًا من المخلوقات، ولا يشبهه شىء منها، وأن المراد بهذه الكلمات الواردة فى التوراة ذلك الملك العظيم.. اهـ.

(الملل والنحل ـ ص ٢١٨, ٢١٩ ـ الشهرستانى ـ نشر دار الفكر).

(٣) الملكِّية: لم أعثر على هذه الطائفة بين كتب الملل والنحل.

وطائفة تسمى **الفارحية**(١) أصحاب يوحنا بن فارح، على زمن أرميا كانوا يعبدون صنمًا يقال له بَعْل، ويقربون لنجوم السماء كما هو مذكور فى نبوة أرميا، والتوراة عندهم باللسان القبطى ولا يعرفون [اللسان] العبرانى.

وطائفة تسمى **العيسوية**(٢) أصحاب أبى عيسى الأصبهانى، يزعمون أن عيسى ومحمدًا عليهما السلام نبيان مرسلان لقومهما خاصة ولم يؤمرا بنسخ شريعة موسى عليه السلام، فيقال لهم: إذا صدقتم بنبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبرسالته إلى العرب فيلزمكم تصديقه فى جميع ما أخبر به؛ إذ النبى معصوم من الكذب، وقد قال الله تعالى: **﴿قل يا أيها الناسُ إنى رسول الله إليكم جميعًا﴾** [الأعراف:١٥٨] والألف واللام فى الناس لاستغراق الجنس من بنى آدم، ولذلك أكده بقوله جميعًا، وفى آية أخرى: **﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا﴾** [الفرقان:١].

وقد قال عليه السلام: «بعثت إلى الأحمر والأسود» يريد العربى والعجمى، وقد أرسل رسله إلى الأطراف يدعوهم إلى دينه، والتواتر لا سبيل إلى رده، وقد قَتَل عليه الصلاة والسلام المخالفين لملته من اليهود.

وطائفة تسمى **السامرة**(٣) وهم طائفتان: طائفة تقر بنبوة موسى وهارون ويوشع

---

(١) هذه الفرق كسابقتها لم نعثر عليها مما بين أيدينا من مراجع فى الملل والنحل وكتب الفِرَق.

(٢) قد ترجمنا هذه الفرقة فى الصفحة السابقة تحت اسم الأصبهانية.

(٣) السامرة: هؤلاء قوم يسكنون جبال بيت المقدس و «قرايا» من أعمال مصر ويتقشفون فى الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود، أثبتوا نبوة موسى، وهارون، ويوشع بن نون ـ عليهم السلام ـ، وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء إلا نبيًا واحدًا وقالوا: التوراة ما بشرت إلا بنبى واحد يأتى من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتة.
وافترقت السامرة إلى دوستانية وهم الألفانية، والى كوستانية.
والدوستانية معناها: الفرقة المتفرقة الكاذبة.
والكوستانية معناها: الجماعة الصادقة وهم يقرّون بالآخرة والثواب والعقاب. . اهـ.
(الملل والنحل ـ الشهرستانى ـ ص ٢١٩).

وتجحد بنبوة من عداهم[١] من النبيين، وطائفة تعترف بنبوة كلّ ما عدا عيسى ومحمد عليهما السلام وتزعم أن المسيح لم يبعث بعد وأنه سيأتى، وآراؤهم غير آراء اليهود: يخالفونهم فى القبلة، فيتوجهون فى صلاتهم إلى جبل بالشام، وإليه يحجون، وهو الذى نُفِىَ اليه السامرى - جدهم - وهم الذين يقال لهم: لا مساس، ويرون تحريم ما مَسّه غيرهم، واليهود تزعم أنهم ليسوا من بنى إسرائيل.

وبالجملة قد ذكر العلماء أنهم يفترقون على إحدى وسبعين فرقة، كل فرقه تضلل الأخرى، والمعروف الآن أربع فرق [هم][٢]: القرائين، والربانيين، والعيسوية، والسامرة، وهذه الفرقة تزعم أنها أهل توحيد، أما القرّاءون[٣] فمشّبهة والربانيون[٤] معتزلة، والعيسوية مخصصة.

ومن فضائحهم: أن الله تعالى حين أكمل خلق العالم، قال: تعالوا حتى تخلق بشرًا مثلنا، فخلق آدم، فلذلك اعتقد كثير من اليهود التجسيم فقالوا: إن الله فى صورة شيخ وإنه جالس على كرسى، والملائكة قيام بين يديه، والكتب تقرأ بحضرته، سبحانه ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) فى المخطوط: أعداهم.

(٢) زائده عن النص لتمام المعنى.

(٣) القرّاءُون: من المقرا وهى التوراة، سميت كذلك لأنها كتاب الله المقروء فى مقابل الكون كتابه المنظور، والقراءون مفردها قَرّاء وهو الداعية الدينى، لأنهم حملة دعوة إن التوراة دون التلمود هى المصدر الوحيد للشريعة، وهم إحدى أكبر الفرق التى تفرق إليها اليهود، وتقابلهم فرقة الربانية وهم الأحبار، والقراءون هم معتزلة اليهود وجلهم من الظاهرين، وأخذوا عن المسلمين القياس والإجماع ويقولون بالاجتهاد.. اهـ.
(الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية - دكتور عبد المنعم الحفنى ص ١٧٢).

(٤) الربانيين: هم أكبر فرق اليهود، والربان هو الحَبْر، وهو أيضًا الحاخام، وكتاب الربَّانية «التلمود»، يقولون إنه الشريعة غير المنزلة المكملة لشريعة موسى المحفوظة فى التوراة، وهو عبارة عن التفاسير والتعاليم، وقالت غالبة الربانية: أن التلمود أعلى منزلة من التوراة، وأن الله نفسه يستشير الربانيين إذا حزبه أمر، والقراءون فرق تناقض الربانيين وتهاجم التلمود وتهدمه وتفند تقاليده، وتكفر الآخذين به، ولا تُقر إلا بالتوراة مرجعًا وحيدًا للعقيدة والقانون.. اهـ.
(مصدر سابق - ص ١٠٧ - نشر دار المسيرة بيروت).

ومن فضائحهم: زعمهم أن الله لما خلق السموات والأرض استراح فى اليوم السابع من التعب، وبعضهم يقول: استلقى على قفاه واضعًا إحدى رجليه على الأخرى، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستّة أيام وما مَسّنا من لغوب**﴾ [ق:٣٨].

ومن فضائحهم: أنهم يزعمون أن روح الله قبل خلق العالم كانت ترفرف على الماء، كيف يزعمون أن حياته تفارق ذاته؟

فإن قالوا: إنما عنينا أن المياه كانت محفوظة بحفظه عن الضياع، قلنا: ليس للمياه اختصاص بذلك، فهلاً قلتم: وصان الله المياه وحفظها كى لا تضيع ولا استعملتم هذا اللفظ الموهم.

ومن فضائحهم: زعمهم أن نمرود لما بنى الصرح نزل البارى إليه فهدمه، وحال بين نمرود وبين ما أراد، ويطلقون فى توراتهم نزول البارى، فكأنهم يعجزون القدرة عن مراده حتى يصفونه بالحركة والانتقال والتفريغ والاشتغال، وذلك كله من صفات المحدثين مما تعالى عنه رب العالمين.

ومنها: أنهم زعموا أن الملائكة حين مَرّت لهلاك سدوم أضافهم إبراهيم، وأطعمهم خبزًا ولحمًا، وسقاهم سمنًا ولبنًا، وعشّاهم لوط طيرًا، وذلك جهل عظيم فإنهم ذكروا أن المؤمنين فى الجنان لا يأكلون ولا يشربون وشأنهم شأن الملائكة، فإن أجساد الملائكة أجساد روحانية، إنما غذاؤها وقوت أرواحها جنس شىء آخر روحانى لا تعرفه اليهود، فقد ناقضوا قولهم، وبهذا التحريف يعلم أنه لم يبق فى أيديهم من نبوة أنبيائهم إلا الرسوم.

ومنها: زعمهم أن الله تعالى لما خلق آدم ورأى معاصى بنيه قد كثرت على الأرض قال: لقد ندمت إذا خلقت آدم، فأرسل الطوفان فأباد به ما على وجه الأرض من النبات والحيوان، فلما فعل ذلك ندم أيضًا وقال: لا أعود أفعل ذلك!

وهل يخفى على علام الغيوب ما سيكون من عباده مما هو خالقه منهم على وفق مراده؟ وهل يخفى ما علمه الملائكة من الإفساد فى الأرض على من يعلم ما كان وما يكون ؟! إن هذا مما حرفوه فى كتبهم وهو نوع من السفه الجنون، إنما يتصور الندم من الجاهل بالعواقب، والبارى عالم بالخفيات مما مضى وما هو آتٍ.

ومنها: زعمهم أن الذبيح إسحاق دون إسماعيل.

والنحر إنما هو بمنى وهو موطن إسماعيل، وكانت قرون الفداء مُعلقة فى جوف الكعبة حتى احترقت فى فتنة الحجاج، وأن القصة كانت قبل مولد إسحاق.

وفى التوراة: «ولما أهوى إبراهيم بالسكين لنحر ولده ناداه الملك: إبراهيم إبراهيم، قد علمت أنك تخشى الله حيث لم تمنعه ابنك وحيدك» وهذا أدل دليل على أنه إسماعيل.

وفيها أنهم ينكرون وجود إبليس وليس له فى توراتهم ذكر ألبتة.

وقالوا: إنما الذى وسوس لآدم فى الجنة الحية، والنصارى يخالفونهم فى ذلك ويعتقدون وجوده، وذكر فى الإنجيل كثير.

ومنها: زعموا أن نوحًا نام فانكشفت عورته ، فضحك ابنه حام، فدعا عليه وعلى عقبه، وذلك من ترّهات[1] العوام ولا حقيقة له، فجعلوه قرآنًا يُتلى فى المحاريب.

ومنها: أنهم يزعمون أن ابنتى لوط اسكرتا أباهما وضاجعتاه فوطئهما[2]، فولدتا ولدين. أبعد الله اليهود كيف يحميه بالأمس ويهتك ستره اليوم[3]، هذا كذب ومحال على نبى الله تعالى المعصوم من الذنب.

---

(١) فى المخطوط: تواهات.
الترهة: الباطل والقول الخالى من نفع (ج) تُرَهّات. (المعجم الوجيز ص ٧٥).

(٢) فى المخطوط: فى طيها.

(٣) إن هذه القصة وما شابهها فى الكتاب المقدس ما هى إلا من الفواحش والدواعر التى تعافها النفس السوية فكيف يتسنى لامرؤ صحيح القلب وسليم العقل أن يقرأ فى كتاب ـ المفروض أنه من عند الله ـ هذه الإثارة الجنسية الفاضحة، فتحت أى مسمىً تقرأ وإلى أى مغزى تقرأ لمغزى أخلاقى أم لإثارة الشجن واللوعة والحرارة الجنسية، وليس هذا بغريب يا سادة، ففى أمريكا حاليًا كاتدرائيات عالمية دولية يديرها الكهنة أصحاب المراتب الرفيعة فى سلك الكهنوت تعقد قران الرجال بالرجال بل ويوثقون هذا العقد من الحكومة على مرآى ومسمع من العالم أجمع ومن لم يعرف فليسأل !!!
أما قصه لوط ـ حاشا لله ـ فإنها وردت كاملة فى سفر التكوين ١٩ : ٣٠/٣٨ فمن أراد الاطلاع عليها فليطلبها هناك.

ومنها: أنهم يزعمون أن روبيل(١) ـ بكر يعقوب ـ زنى بسرية أبيه يعقوب وافترشها فعند وفاته منعه من السهم الذى كان يُعطى للبكر، وأن إبراهيم عليه السلام ورث ابنه إسحاق ومنع إسماعيل وإخوته من إرثه، وهذا كذب وافتراء على أنبياء الله تعالى لأنهم معصومون من قبيل هذه الرذائل.

ومنها: أنهم زعموا أن دينا(٢) ابنة يعقوب زنى بها رجل مشرك يدعى سحيمًا(٣) وأزال بكارتها، وأن أباه أسلم هو وجميع أهل القرية فأمرهم بالاختتان، فلما اختتنوا قتلهم بنو يعقوب وانتهبوا أموالهم عن بكرة أبيهم، ثم خاف يعقوب فركب جملاً ولم يظهر له أثر بتلك البلاد. وهذا كذب ينسبون أنبياء الله إلى قتل المؤمنين وانتهاب الأموال فلا نسلم لهم هذا عن أنبياء الله تعالى؛ فإنهم معصومون من أدنى من ذلك.

ومنها: أنهم زعموا أن يهوذا بن يعقوب زنى بامرأة ابنه ثامار ورهنها خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه فصار شهرة، هذا مع حظوته عند أبيه ودعائه له بتخليد الملك والنبوة فى عقبه حتى يأتى محمد رسول الله ﷺ، فأى فخر فى ذلك وأى فضل حتى يدعونه التوراة ويعظمونه تعظيم الوحى والتنزيل جيلاً بعد جيل، هذا كذب وافتراء على نبى الله يهوذا، فلعن الله اليهود ما أكثر ما يتناولون أنبياء الله قتلاً وقذفًا.

ومنها: أنهم يزعمون أن الله نَزَل [إلى](٤) الجنة حين كلّم آدم، وإلى الأرض حين كلّم موسى من شجرة العليق، وعندما بشر إبراهيم بالولد، وحين [ربط](٥) ألسن نمروذ وقومه ومنعهم من بناء الصرح، وكل ذلك جهل وكذب إذ البارى مُنَزَّهٌ عما

---

(١) الاسم الصحيح: رأوبين وهو الابن البكر ليعقوب.

(٢) الاسم الصحيح هو «دينه»: وهو اسم عبرى معناه «دينونه»، وهى ابنة يعقوب من ليئة ولم يكن ليعقوب بنات سواها. (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٣).

(٣) الاسم الصحيح: شَكيم بن حمور الحوى الذى أساء إلى «دينه» ابنة يعقوب فذهب أخويها شمعون، ولاوى، وقتلا كل ذكر فى المدينة. (مرجع سابق ـ ص ٥١٤).

(٤) ساقطة من المخطوط.

(٥) ساقطة من المخطوط.

يقولون، تعالى علوًا كبيرًا.

ومنها: أنهم يزعمون ان هارون خالف موسى؛ اتخذ لهم عجلاً وأمرهم بعبادته، وذلك مردود بما حكاه دانيال فى نبوته أن الذى صنع [العجل][1] منجا السامرى، وكان آباؤه يعبدون البقر[2] فنفاه موسى إلى الشام.

وكيف ينسبون نبى الله إلى الدعاء إلى الكفر والفساد، وقد عبد بنوا إسرائيل الكواكب والأصنام وقربوا لها القرابين، وعاقروا الزنا، وموسى بين أظهرهم، وقد هجم زمرى - رجل من قبيلة شمعون - على بَغّى من البغايا يقال لها: «كشى» ففجر بها بحضرة الجميع، فضربهم الله بموت الفجأة، فقتل منهم فى يوم واحد أربعة وعشرون ألفًا كما شهدت بذلك توراتهم.

ومنها: زعمهم أن موسى أمرهم عند خروجه ببنى إسرائيل أن يستعيروا حُلى المصريين وثيابهم، وأن يهربوا بها ويغصبوها، حاشا وكلا، وقد قال الله تعالى: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾** [النساء:٥٨].

وقالوا: إن الله أمرهم بالربا فى التوراة ولم يحرمه إلا فيما بينهم، وقالوا لم يُحَرَّم علينا إلا فيما بيننا.

﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [آل عمران:٧٥].

ومنها: أنهم زعموا أن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، واقترح عليهم صفتها، فبنوها كما طلب، فكان موسى إذا أراد الرحيل قال: انهض إلينا يا رب لنكبت شانيك[3]، فكان البارى يظعن بظعنهم ويقيم لإقامتهم، وأنه أبى مرة أن يسير معهم وقال: اظعنوا أنتم فإنى أبعث معكم ملكًا يغفر ذنوبكم، وهذا منهم غاية الاستخفاف والسخرية برب البرية، تعالى الله عما

---

(١) ساقطة من المخطوط.

(٢) فى المخطوطة: القمر.

(٣) شَنَأه - شَنْئًا وشنآنًا: أبغضه وتجنبه فهو شانئ (الشناءة) أشد البغض. (المعجم الوجيز ص ٣٥١).

يقولون[١] علواً كبيراً.

وبالجملة: فإن فضائحهم كثيرة، وأقوالهم أكثرها شهيرة، ولهم في الكفر مذاهب، وأحوال ومشارب، وقد اختصرت من فضائحهم مما اختصره غيري، وهو قليل من كثير، ويسير من خطير.

* * *

(١) في المخطوط: يصفون.

فضائح النصارى

اعلم أن جميع ما سطر فى هذا الكتاب تبيين لفضائحهم وتقرير لقبائحهم.

منها: زعمهم أن الكلمة الأزلية نزلت إلى الأرض فولجت فؤاد امرأة وسكنت بطنها تسعة أشهر تغتذى بدم حيضها، ثم تصورت وخرجت من فرجها إنسانًا فتردد فى الأرض بين الناس، وناله ما ينال الأطفال من تقلب الأحوال إلى أن بلغ إلى مبلغ الرجال، لا يظهر له فيها أثر ولا ينقل عنه خبر، فلما شرع يشهر نفسه ويطهر قدسه وثب عليه طائفة من عبيده، فكذبوا فمه، وسفكوا دمه، وقتلوه عيانًا، وصلبوه عريانًا.

فإذا قيل لهم: ما الذى أحوج الكلمة الأزلية إلى ارتكاب هذه الحرمة الدنية؟

قالوا: إنما فعلت ذلك لتخلصنا من الجحيم وتخصصنا بالنعيم المقيم.

تبًا لهم يزعمون أن البارى أو صفته عجزا عن خلاص عباده بل وما قدر على خلاصهم وهو معافى، بل جاء لخلاصهم فعطب، ورام سلامتهم فقتل وصلب، هذا لعمركم التلاعب بالأديان، والتعلل بالزور والبهتان، عُدموا عقلهم فقالوا ومانوا، واهتدوا بالضلال فيما يعانوا.

ومنها: أن إلههم صُلب مع اللصوص ودفن بين الأموات وقام فى اليوم الثالث إلى السماء وجلس فيها، وهذه الأقوال مَنْ عُدِمَ عقله لا يرتضيها.

ومنها: زعمهم أن إبليس احتمل المسيح ودفعه إلى جبل عال، وأراه الدنيا بأسرها وقال: هذا كله لى وأنا أعطيكه إن خررت لى ساجدًا. وهذا ينقض قولهم أن المسيح رب إبليس ورب كل شىء، فكيف يطمع اللعين أن يكون [له][1] عابد؟!

ومنها: أنهم إذا تقربوا فى الكنيسة أكلوا الخبز وشربوا الخمر وقالوا قد أكلنا جسد الرب وشربنا دمه، ورووا عن المسيح أنه أعطاهم خبزًا وقال هذا جسدى فكلوه وأعطاهم خمرًا وقال هذا دمى فاشربوه؛ فكون هذا جناية توجب العقاب

(١) ساقطة من الأصل.

أقرب من كونه قربة توجب الثواب.

ومنها: ترك الختان لأنهم حرّموه وجعلوه معصية، وأن إطالة الغلفة دين يدان به وشرع لا يسع المكلف خلافه، فراغموا التوراة والإنجيل وسائر كتب التنزيل.

أما التوراة فقد نصت أن إبراهيم الخليل أمره الله تعالى بالختان فقال له: هذا عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك أن تختنوا غرلة كل ذكر منكم ومن عبدانكم ليكون عهدى مَيْسمًا فى أجسادكم عهدًا دائمًا إلى الأبد، فكان كل ذكر لا يختن غرلته فلتهلك تلك النفس من شعبها لأنها أبطلت عهدى فاختتن وهو شيخ كبير وختن أولاده وعبيده».

فقد وضح كفر من خالف عهد الله تعالى والتوراة وأنه يقتل بنصها، والذى أبطل الختان منهم هو بولس ـ أتى بعد المسيح بمدة متطاولة ـ وقال لهم: إن الختان ليس بشىء، احذروا الختان إحذروا قطعه فإنه لا ينفعكم عند المسيح، وقد سلبهم بولس هذا من الدين بلُطف خداعه إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يُلقى إليها.

وقد طمث هذا الخبيث رسوم التوراة فقال فى رسائله: إن الإنسان لا يعمل بسنن التوراة، وأن منتهاها إلى حضور المسيح. فكيف ذا والمسيح يقول: إنى لم آت لتنقيض التوراة بل لأكملها.

تخاريف الرهبان:

اعلم أن للنصارى كنيسة ببعض البلاد يحجّون إليها ويزعمون أن يد الله تخرج إليهم من الستر فتصافحهم فى يوم من السنة، فبلغ ذلك بعض رؤساء دولتهم فمضى إلى الكنيسة فى ذلك اليوم، فلما ظهرت اليد قرّبه الأقساء إليها ليقبلها، فالتزمها، فصاح عليه الأقساء وقالوا: الساعة تخسف الأرض بنا، وترسل علينا الصواعق. فقال: دعوا هذا عنكم، لا أضعها من يدى حتى أرى وجه صاحبها. فقالوا له رجعت عن دينك. فقال: لا ولكنى أردت معرفة ذلك فقالوا: إنها يد أسقف من أصحابنا وراء الستر، فلما أرسل يده اشتهرت القضية.

ومن فضائحهم: أن للنصارى صليبًا من حديد معلّقًا فى قبة كنيسة لهم فى المغرب، وقد وقف بالهواء بغير علاّقة ولا دعامة، وهم يحجّون إليها ليشاهدوا

الصليب، ويتعجبوا من تلك الآية، فأكثرَ التعجب بعض ملوكهم فقال لكاتب كان عنده من اليهود: ألا تعـجب يا فلان من هذه الآية؟ فذكر اليهـودى أن فى جهات الصليب حـجارة من المغناطيس مخـبأة فى الجـدار وفيمـا يوازيه من سقف القـبة وأرض الكنيسـة فهى التى أوجبت قيـامه ومنعتـه من السقوط، فحـضر الملك إلى الكنيسة فى وقت خلْوه، وأمر بالكشف عن الحجارة من بعض الجدران، فاضطرب الصليب حتى خافوا أن يسقط.

ومنها: فى بلاد المغرب كنيسة فيها ثُريا معلَّقة نحو تعليق الصليب ينزل إليها نور من فوق فتتقد فى وقت من السنة، فهم يعظمون ذلك الوقت ويفخّمونه، فعلم بها بعض ولاتهم فصار إليهـا فعرف حقيقة الحال؛ وذلك أنهم مَدّوا من الجـدار قصية حديد مجـوفة وأبرزوا لها أنبوبًا دقـيقًا على وزان أطراف الذُّبالة[1]، فإذا كان هذا الوقت المخصـوص أرسلوا نارًا لتسـقط فى تلك القصيـة فتـخرج بسرعـة فتتـقد للوقت، فلما عرف وجه الحيلة أمر بصفع السَّدَنة[2] وانصرف.

ومنها: أنهم يزعـمـون أن مريم أم المسـيح تنزل من السـمـاء على دار المِطران بطليطلة[3] فى يوم معروف فى السنة بكسوة تلبـسها له، وهم لا يشكّون فى صحة هذا لبلادتهم.

قال بعض من بلغته هذه الحيلة: هل نزولهـا بغير إذن الآب أم بإذنه؟! فإن كان بإذنه فكيف لم يرسل بعض مـلائكته ورسله ويوقر أم ولـده ويصونها عن التـبذل لرجل من جنسهـا أجنبى عنها؟! وإن كانت تنزل بغيـر إذنه فكيف يجوز من الآب

(١) فى المخطوط: النويالة. والذُّبالة: فتيلة المصباح (ج) ذبال. (المعجم الوجيز - ص ٢٤٣).

(٢) السادن: خادم الكعبة (ج) سَدَنَة. (مصدر سابق - ص ٣٠٧).

(٣) طُلَيْطُلَة: هكذا ضـبطه الحميـدى بضم الطاءين وفـتح اللامين. وهى مـدينة كبـيرة ذات خصـائص محمـودة بالأندلس... وهى غربى ثغر الروم وكـانت قاعدة ملوك القـرطبين وموضع قرارهم، وهى على شـاطىء نهر تاجة، وعليه القنطرة التـى يعجز الواصف عن وصفها، ومن خاصيتها: أن الغلال تبقى فى مطاميرها سبعين سنة لا تتغير، وينسب إليها جماعة من العلمـاء منهم: أبو عبد الله الطليطلى روى كتاب مسلم بن الحـجاج، وعيسى ابن دينار بن واقد الغافقى.. اهـ.

(معجم البلدان - ياقوت الحموى - ص ٣٩/ ٤٠ - نشر دار صادر).

أن يصطفى له من تخونه وتخرج بغير إذن لرجل تكسوه وتزينه بها؟! ألا ترون الآب لا يعلم ذلك فهل تتردد إلى المِطران شغفًا به أم كيف الحال، فقد حِرْنا فى أمرها؟!.

ومنها: أن لهم عيدًا ببيت المقدس يسمونه «عيد النور يحجون إليه» فإذا عنده نزلت نار من تجويف القبة فتعلقت بذيّالة القنديل فتتقد بسرعة، فتكثر الأصوات وتعجّ بالدعاء والابتهال، فلا يشكّون إلا إنها آية نزلت من السماء.

ووجه الحيلة فى ذلك أن رجلاً يختبىء فى إفريز القبه من داخل، فإذا كان ذلك الوقت وقرىء الإنجيل أرسل الرجل قبسًا من نار النفط فجرت على خيط مدهون فتتقد، إذ لو كان نورًا لم تتقد القناديل إذ صفة النور الإشراق والنار الإحراق.

ومنها: أن من النصارى من لا يقبل توبة الإنسان ما لم يعترف بذنوبه[1] ويشرح ما فعله طول عمره من أنه زنى وسرق وكيت وكيت، فيعدّد ما ستره الله تعالى عليه، فيجد أكابرهم التحكم فى ماله ويبقى فى أيديهم طول عمره، ويعرف قبائحه من لم يعرفها، وعُيرت به أولاده وعقبه من بعده جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن، وهذا الأمر لا أصل له فى شريعة ولا نص عليه فى ناموس لكنه مما ابتدعه جُهَّالهم بعقولهم.

ومنها: أن الروم من النصارى على كثرة طوائفها لا يرون وجوب الاستنجاء، فيبول أحدهم ويتغوط ويقوم من فوره إلى مُصَلاّه وهو متضمخ بالنجاسة، وذلك مما أحدثوه بعد المسيح، وإلا فسائر الشرائع قاضية بخلاف ذلك.

---

(١) يقول الشيخ عبد الله الترجمان الأندلسى: «اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن النصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفى منه ذنبًا لا ينفعه إقراره فهم فى كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنائس ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذى يقوم بكل كنيسة، وفى سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنب إلا إذا مرض وخاف الموت، فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له، وهم يعتقدون أن كل ذنب غفره القسيس فإنه مغفور عند الله تعالى». . اهـ.
(تحفة الأريب فى الرد على الصليب ـ عبد الله الترجمان. تحقيق الدكتور محمود حماية ـ نشر دار المعارف).

ومنها: أنهم يستدبرون قبلة المسيح التى كان يُصلى إليها ويستقبلون الجهة [التى][١] صُلب فيها، ويسألون آدميًا أن يغفر لهم بحق المسامير التى سمروا بها يديه، والخشبه التى صلبوه عليها بزعمهم، وقد ذكر بعض من اهتدى لدين الإسلام أن لهم فى كنائسهم خشبة مصورة يسمونها «مريم» يُصلون لها طول الليل، ويقولون: يا أم إلهنا اشفعى لنا عنده!

فضيحة:

زاد النصارى فى صومهم جمعة يصومونها لهرقل ملك بيت المقدس؛ وسبب ذلك أن الفرس لما استولوا على بيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس أعانتهم اليهود على ذلك، فلما توجه هرقل إلى بيت المقدس تلقاه اليهود بالهدايا وسألوه الأمان، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم، فلما دخل بيت المقدس شكا إليه النصارى ما لقوا من اليهود وكيف مالوا عليهم مع الفرس وسألوه قتل اليهود، فقال: كيف أقتلهم وأنا أمّنتهم؟ فقالوا: نحن نصوم عنك جمعة فى أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك، وندع أكل اللحم فى الصوم ما دامت النصرانية، ونعلن من يخالف ذلك ونكتب به إلى الآفاق، وهذا من باب التلاعب فى الدين.

فضيحة أخرى:

أن للنصارى عيدًا[٢] يسمونه «عيد ميكائيل» ليس له أصل فى شريعتهم بل هو مما ابتدعوه، وسبب ذلك أنه كان بالأسكندرية صنم، وكان أهلها وأهل مصر

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) الأعياد هى:

أ- الأعياد السّيّدية السبعة الكبيرة - و قد سميت سيّدية نسبة إلى السيد المسيح - وهى:

١- عيد البشارة.

٢- عيد الميلاد.

٣- عيد الظهور؛ ويُعرف بعيد الغطاس.

٤- عيد الشعانين.

٥- عيد القيامة المجيد.

٦- عيد الصعود بعد عيد القيامة بأربعين يومًا.

٧- عيد الخمسين. =

يجعلون له عيدًا عظيمًا ويذبحـون له الذبائح، فولى بطركة الأسكندرية رجل يقال له «الإكسندروس» فرام إبطال العيـد وتعطيل الصنم فلم يقدر من عوام النصارى، فقال: إن تعـبيدكم لصنم لا ينفع ولا يضـر لضلال وكفر، فلو جعلتـم هذا العيد لميكائيل وذبحـتم له هذه الذبائح كان نافـعًا وشافعًا عند الله، فـأجابوه، وكـسروا الصنم واتخذوا منـه صلبانا، وسمى الهـيكل «كنيسة مـيكائيل» وعيـده إلى اليوم بمصر، ولا أصل له فى زمن المسيح ولا الحواريين.

فضيحة أخرى:

أن للنصارى عيدًا آخر يعرف بـ «عيد الصليب» لا أصل له ألبتة إنما أحدثوه بعد رفع المسيح، كـعيد ميكـائيل وعيد النور وغيـره، قال بعض العلماء: ومن مـيلاد المسيح إلى أن وجد الصليب ثلثمائة وثمانية عشر سنة.

وسبب إحـداثه أن اليهود اتخـذوا المقبرة التى دفن فيـها الشبـه مَزْبَلَة يطرحون عليها[1] الكناسات والأوساخ تحقيـرًا لشأن المصلوب، فأقامت المزبلة نحو هذه المدة إلى أن جاءت زوجة قسطنطين الملك واسمها أشمونى فأمرت بالكشف عن المقبرة، فظهرت لها، فإذا فـيها ثلاثة [صُلْبان: صليبا اللصـين وصليب الشبه][2] فقالت: كيف لنا أن نعلم خشبة ربنا التى صُلب عليـها؟ فكان هناك مريض قد أشرف على

= ب ـ الأعياد السيِّدية السبعة الصغيرة وهى:

١ـ عيد الختان.

٢ـ عيد عُرْس قانا الجليل.

٣ـ عيد دخول الهيكل.

٤ـ عيد خميس العهد قبل عيد الفصح بيومين.

٥ـ عيد أحد توما فى الأحد التالى ليوم القيامة.

٦ـ عيد دخول المسيح أرض مصر.

٧ـ عيد التجلى.

جـ ـ أعياد القديسين والشهداء.. اهـ.

(موسوعة تاريخ الأقباط ـ ج ١ ـ ص ٧٤ ٢ـ للأستاذ زكى شنودة المحامى).

(١) فى المخطوط: فيها.

(٢) ناقصة من المخطوط.

الموت فأمرت بوضع الصلبان عليه، فوضع عليه صليب فلم يقم، فأمسته الثالثة فلم يقم، فأمسته الثانى فقام وبرأ من علته كأن لم يكن به بأس.

قالت النصارى: فعلمت أنه صليب الرب، فغلفته بالذهب، وبعثت به إلى الملك واتخذت عيداً.

فهذا جرى بعد المسيح بهذه المدة فكيف يُعد مأخوذا عن المسيح، وهذه الأعياد لو كانت معتبرة كانت مُسطرة فى الإنجيل أو مأخوذة من التلاميذ، فنقول لهم: أخبرونا بم استحق الصليب عندكم هذا التعظيم حتى صرتم تقبلونه وتصلّبون على وجوهكم، فمنكم من يُصلب على وجهه بأصبع واحد وهم القبط، ومنهم بأصبعين وهم الروم، ومنهم بالخمسة والعشرة وهم الفرنج، أفهذا دين تعلمونه عن الأنبياء أو اتخذتموه من شرائع الرسل؟ فأرونا ذلك فى توراة موسى ونبوات إشعيا وأرميا ومزامير داود، وقد كان الصليب - لو كنتم تعقلون - بالمقت والبغض، فإن قلتم شَرُفَ بصعود المسيح عليه، قلنا: فلم لا تعظمون الحُمُر وتقبلونها وتسجدون لها؛ لأن لوقا وغيره أخبر أن المسيح ركب حماراً عند دخوله المدينة والصبيان بين يديه ينادون مبارك الآلة باسم الرب، فكان ركوبه الحمار فى تعظيمه أولى بالتعظيم من ركوبه الصليب فى حال تصغيره وإهانته.

فضيحة أخرى:

أن النصارى مختلفين فى السجود للصور، فمنهم من يؤثره ويهواه، ومنهم من يكرهه، وأكثرهم على المذهب الأول بدليل أن كنائسهم لا تكاد تخلو من الصور، وهذا مما أحدثوه بعد المسيح وأصحابه، وهذه الأناجيل التى فى أيديهم ليس فيها شيء يدل على انتحال ذلك ألبتة بل صرحت بالتوحيد فى غير موضع، والتوراة شدَّدت وغلَّظت على من يفعل ذلك، والمسيح صرح فى إنجيله أنه لم يأت لنقض التوراة بل لإكمالها؛ فهى تكفر عابد الصور صريحًا ولم يبق إلا المجاهرة والعناد وعبادة الأنداد.

فضيحة أخرى:

أن للروم كنيسة ببعض بلادهم مشهورة يحجّون إليها فى يوم من السنة فيشاهدون صنمًا بها إذا قرىء الإنجيل بين يديه دَرّ ثدياه وخرج منها اللبن،

فيشاهده من حضر ويحدّث به من غاب ويعدها آية بينة ودلالة على الدين، ويحصل للسَّدنة بسبب ذلك مال عظيم، فبحث ملكهم عن ذلك فوجد القيّم قد نقب من وراء الجدار طاقه لطيفه وهندمها حتى وصَلَها بثديى الصنم وجعل فيها أنبوبة من نحاس وأصلحها بالجير، وأخفى أمرها، فإذا كان يوم العيد فتحها وصبَّ فيها لبنًا فيخرج من ثديى الصنم ويسقط نقطة نقطة على تدريج، فلا يشك من حضر أنها آية ظهرت عند تلاوة الإنجيل، فلما انكشف له وجه هذه الحيلة ضرب عنق القيّم وأقسم[1] أن لا يبقى فى كنائس بلده صورة، فوقع بينهم اختلاف فى ذلك، وكَفّر بعضهم بعضًا وبدَّعه وتبرأ منه

فضيحة أخرى:

كان للنصارى صنم بالقسطنطينية له عيد فى السنة يحج إليه النصارى من كل وجهة فى يوم مشهود، فإذا تلى الإنجيل بين يديه يبكى بدموع غزيرة[2]، فيشاهد ذلك من حضر فيكثرون البكاء ويعجّون بالدعاء، فاجتمع عند القيم مال عظيم، فاحتاج الملك إلى قرض فأبى عليه القيم، فحضر الملك إلى الكنيسة بنفسه وقال للأسقف: إقرأ الإنجيل الساعه حتى نرى كيف يبكى الصنم؟ فقال: إنما يبكى فى يوم واحد من السنة، فعلم الملك أن هذه مخرقة، فتقدم وحفر ما تحت الصنم فوجد حفرة مصنوعة والصنم مجوف من أسفله تجويفًا ضيقًا، فإذا كان ذلك اليوم وضع الأسقف فى تلك الحفرة قربة ماء وجعل فيها أنبوبة رقيقة مستطيلة متصلة برأس الصنم، وستر الحفرة سترًا محكمًا، وجعل الماء يصير إلى الأنبوبة ثم إلى رأس الصنم وقد حشى رأسه بقطن، فإذا تشرَّب القطن الماء سالت منه دمعات وسقطت من عينى الصنم بالتدريج، فلما اطلع الملك على ذلك أمر بالصنم فأُخْرِج وأَخَذَ ما وجد فى الكنيسة من المال، وأدب القوم وشردهم.

فضيحة آخرى:

ترك بعض طوائف النصارى أكل اللحم فى صيامهم وحرموه وذلك مما أحدثوه

---

(١) فى المخطوط: وتقدم.

(٢) فى المخطوط: غزار.

بالرأى بعد المسيح وتلاميذه فانتحلوا مذهب المانوية[1] أصحاب مانى الزنديق، قال الشاعر فى المانوية:

تركنا اللحمَ للإفلا ... سِ والقِلّةِ والضيقِ
فقالوا مانويين ... بقول غير تحقيقِ
ولو مرَّ بنا مانى ... أكلناهُ على الريقِ

وقد أكل الأنبياء والنجباء من عباد الله اللحم واغتذوا به فلو كان لتحريمه أصل معتبر لذكر فى نبواتهم.

فضيحة أخرى عظيمة:

جوّز النصارى أكل لحوم الخنازير وأحلوها وذلك مما أحدثوه بعد المسيح، وإن الخنزير لحرام فراغموا التوراة والإنجيل، أما التوراة فقال الله فيها:

«الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه»[2] وهذا نص لا يحتمل التأويل.

وأما الإنجيل فقد حكى مرقس فى إنجيله «أن المسيح أتلف الخنازير، وغرق منهم فى البحر قطيعًا كبيرًا وقال لتلاميذه: لا تعطوا القدس الكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير»[3] فقرنها بالكلاب، فمن أحلَّ الخنزير فقد كفر بموسى والمسيح.

---

(١) المانوية: أصحاب «مانى بن فاتك الحكيم» الذى ظهر فى زمان «سابور بن أردشير» وقتله «بهرام بن هرمز بن سابور» وذلك بعد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ أحدث دينًا بعد المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة عيسى ـ عليه السلام ـ ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام.

حكى محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى الوراق، وكان فى الأصل مجوسيًا عارفًا بمذاهب القوم: أن الحكيم مانى زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما: نور، والآخر: ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا، وأنكر وجود شىء الا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين داركين سميعين بصيرين، وهما مع ذلك فى النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان.. اهـ.

(الملل والنحل ـ الشهرستانى ـ ص ٢٤٥ ـ نشر دار الفكر).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«والخنزير لأنه يُشق ظلفًا ويقسمه ظلفين، لكن لا يجتر فهو نحس لكم» (لا ١١ : ٧).

(٣) النص الصحيح هكذا: «وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى فطلب إليه =

فإن قالوا: إن بطرس رأى فى اليوم صحيفة نزلت من السماء فيها صور الحيوانات وصورة الخنزير وقيل له: يا بطرس كل منها ما أحببت.

قلنا لهم: الشرائع والأحكام، لا تنسخ بالمنام والأحلام ونحن نحاشى بطرس أن يخالف التوراة.

اعلم أن الأناجيل التى بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر صريح وأكاذيب كثيرة لم يصدقهم عليها أحد من الأمم، وأكثرهم يهرعون[1] إلى أحكام المسلمين لخلّو أكابرهم عن معرفة الحلال والحرام، وأى شىء استحسنوا بعقولهم شرعوه وحكموا به، فمن نازعهم من أهل ملتهم حرموه ومنعوه من دخول الكنائس، فيحكمون فيهم بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان، وكل ما اشتمل ديوانهم عليه من فقه ـ وهو خمسمائة فرع ـ ليس مأخوذًا عن المسيح.

فضيحة أخرى:

قال النصارى: المسيح لم يتكلم فى المهد ولم ينطق ببراءة أمه مريم صغيرًا بل أقام ثلاثين سنة واليهود والناس تقذف أمه بيوسف النجار وتحكم بأنه وَلَد زنا. فعلى سياق قولهم لم تلق أمٌ بسبب ولدها من الشر مَا لقيت مريم من المسيح لأنه فضحها وهتك سترها ودعا إلى رميها بالزنا ولم يدفع عنها بحجة تقطع شغب اليهود، وهو قادر على ذلك، ثم إنه كلفها عبادته فأوجب عليها الصوم والصلاة وألزمها بترك الشهوات، فالتزامها إما خوفًا من عقابه أو رغبة فى ثوابه، ثم قضى عليها الموت وجرعها غصصه وسلط على جسدها البلاء، وهذا لم يعرف فى برّ الأولاد، وما سمعنا بعاقٍ بلغ هذا المبلغ من أمه، فعلى قولكم يكون مشئومًا عليها، والله تعالى يقول عنه:

﴿وجعلنى مباركًا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا * وبرًّا بوالدتى ولم يجعلنى جبارًا شقيًا﴾ [مريم: ٣١ ـ ٣٢].

= كل الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها، فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة ودخلت فى الخنازير، فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر وكان نحو ألفين فاختنق فى البحر» (مره: ١١/ ١٤).

(١) فى المخطوط: يفرعون.

فضيحة أخرى:

قال النصارى: لا يفعل الله سوى الخير وأما الشر فهو من الشيطان لا من عند الله، فالتزموا مذهب الثنوية(١) القائلين بأن الخير من النور والشر من الظلمة، فيلزم أن يكون مراد الله أقل وقوعًا من الشيطان و [أن إرادة الشيطان](٢) أنفذ من إرادة البارى، فالله يضل من يشاء ويهدى من يشاء، وقد شهدت التوراة والإنجيل والكتاب العزيز بذلك، فقالت التوراة فى عِدة مواضع: «وقسى الله قلب فرعون فلم يؤمن»(٣) وفى الإنجيل: «إنى لم أعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلنى»(٤).

فضيحة أخرى:

إن النصارى يزعمون أن المسيح أراد بقتل نفسه تطهيرهم من خطاياهم، فيقال لهم: يُطهر من آمن به أو من كفر؟ فإن قالوا من كفر به، قلنا لهم: يطهرهم من خطاياهم بأعظم من خطاياهم كمن غسل البول بالغائط فإنه لا يزيد المحل إلا نجاسة، فعلى هذا ينبغى أن يكون اليهود الذين قتلوه والإسخريوطى الذى نمّ عليه وفرعون ومن شاكله قد طُهروا من خطاياهم وكذا كل كافر.

وإن قالوا: يُطهر من آمن به واتبعه، قلنا: [وما ذنبهم](٥) وإيمانهم مُطهرهم فلا

---

(١) فى المخطوط: المانوية وهى خطأ، وقد تقدم ذكرها.

والثنوية: هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيّز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح.

(الملل والنحل - الشهرستانى - ص ٢٤٥ - نشر دار الفكر).

(٢) سقطت من الناسخ فأتممناها ليستقيم المعنى.

(٣) النص الصحيح هكذا:

«فاشتد قلب فرعون، فلم يسمع لهما كما تكلم الرب» (خر ٧: ١٣).

(٤) النص الصحيح هكذا:

«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا، لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (يو ٥: ٣٠).

(٥) سقطت من الناسخ فأكملناها.

حاجة إلى قتله!.

وإن قالوا: أراد تطهير الحواريين، قلت: وما ذنبهم الذى لا يطهرهم إلا قتل الله، فهم إذًا أشر خلق الله، وأنتم تقولون انهم خير من جبرائيل وميكائيل والأنبياء والمرسلين.

وإن قالوا: أراد بتسليمه أن يُعلم الناس الصبر على الشدائد وأن يثبتوا تحت مجارى الأقدار، قلنا: إصلاحه لقلوبهم بخلق الصبر فيها مع بقاء عظمته وجلاله أَلْيَق بمقام الربوبية،ثم أى صلاح ظهر فى العالم بقتله وأى فساد زال، أليس العالم كما كان عليه قبل مجيئه؟ أليس أسواق المعاصى قائمة وعين الشيطان عن الخلق غير نائمة؟ وإن كابرتم وزعمتم أن الخطيئة قد ارتفعت بمجىء المسيح وقتله صرتم أضحوكة[1] بين العقلاء، وأنتم كذلك تقرءون بعد الفطر بجمعتين: «بصلبوت ربنا المسيح بطل الموت وارتفعت وأنطفأت فتن الشياطين واندرست آثارها».

ألستم تقرءون يوم الأحد فى الصوم التسبيحة المشهورة أن المسيح هو الذى أنقذ رعيته من الفتن والكفر وغلب بصلبه الموت والخطيئة؟ ألستم تقرءون بعد كل قربان: يا ربنا يسوع الذى غلب بوجعه الموت الطاغى.

وفى ثانى جمعة من الفطر: إن فخرنا إنما هو بالصليب الذى بطل به سلطان الموت وصرنا إلى الأمل والنجاة بسببه. وهذه التسابيح التى لكم مما يضحك من تأملها فنقول: كيف بطل الموت بقتل المسيح وفمه فاغر[2] لا يشبع، والشيطان مقيم على الإضلال والإغواء لا يقلع، وأنّى يغلب الموت من مات وغلب، ويقهر الشيطان من قهر وصلب؟! وقد تقدمت فضائحهم فى قراءتهم فى صلواتهم فى الساعة الأولى والثانية والثالثة والسادسة والسابعة وفى صلاة الغروب وفى صلاة النوم وفى صلاة نصف الليل وهى الثامنة فأغنى عن ذكرها ههنا.

وقد قلت:

قبائحهم لا تنقضى فنعدّها   وأقبح منها أن يروها فضائلا

---

(١) فى المخطوط: ضحكة.

(٢) فى المخطوط: فارغ.

اذا زيّن الرحمن أعمالهم لهم فلا القول يهديهم إذا دمت قائلا

سؤال مُوَجّه إلى النصارى:

نقول لهم: أخبرونا ما الذى صنعـه الله تعالى بالمسيح حتى صار ابنًا له؟ إذ لم يقولوا بالنبوة المتحدة من الزوجة والسُرية».

فإن قالوا: مَسَحه فصار مسيحًا وابنًا، قلنا: هل مسحه بدهن؟ فإن قالوا: نعم. ساووا بينه وبين داود وغيره وغيره، إذ قال داود فى مزاميره: «صبيًا كنت فى غنم أبى فأخذنى ربى ومسحنى بدهن مَسْحَة»[1].

وفى السفـر الثالث من التوراة ويسمى سـفر الكهنة[2]: «إن الحبر المـسوح من أولاد هارون هو الذى يتولى القرابين ورش الدم على زوايا المذبح»[3].

وفى الإصحـاح الخامس من هذا السفـر: «قال الله تعـالى لموسى: قدم هارون وألبسه لبـاس الكهنة وكلّله بإكليل من ذهب وصب على رأسه من دهن المسيـحية وقدّسه، ففعل موسى ذلك بهارون»[4].

فأى مـزية للمسـيح على داود وهارون، يا لله العجب، جـبرائيل فى إنجـيلكم يقول عن الله إنه ابن داود، وأنتم تقولون: كلا ولكنه رب داود.

وإن قالوا: ذلك بتسميه سماه بها إبنًا وسمى نفسه أبًا قلنا: وكذلك فعل بيعقوب

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«وجدت داود عبدى بدهن قدسى مسحته» (مز ٨٩/ ٢٠).

(٢) سفـر الكهنة: هو سفـر اللاويين، ودُعى بهذا الاسم؛ لأنه يتـضمن الشرائـع والنظامات المختصة باللاويين والكهنة والذبائح واليهود يدعونه شريعة الكهنة».. اهـ.
(انظر: مـرشـد الطالبـين إلى الكتـاب المقدس الـثمـين ـ بدون مـؤلف ـ مـخطوط بدير الدومنيكان).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«يضع يده على رأسه ويذبحـه قدام خيمـة الاجتمـاع، ويرش بنو هارون دمه على المذبح مستديرًا» (لا ٣: ١٣).

(٤) لم أعثر على النص فى سفر اللاويين.

إذ حكيتم فى التوراة: «إن الله تعالى قال لموسى ابنى بكرى إسرائيل»[1] والبكر أجل قدرًا عند والده فهّلا عبدتموه واتخذتموه إلهًا؟!

وإن قالوا: إنما سُمى ابنًا للتربية وحسن التأديب، فلعمرى لئن كان الله قد غذاه بغير رضاع، وقوّته بسوى الطعام المألوف، وألبسه غير الثياب المعهودة، وبعث إليه ملكًا يؤدبه، واختلفت الملائكة إلى بيت أمه لزيارته وامتثال أوامره فى جميع أحواله، كنا نقول: وأنتم تقولون لم يظهر له آية فى صباه ولم يتكلم فى المهد ولا زاد إلى أن بلغ ثلاثين سنة على رجل من بنى آدم، فما وجه إدّعاء ربوبيته وألوهيته؟

ولو أن النصارى قالوا: إنه تكلم فى المهد وخلق من الطين كهيئة الطير كما تقول فيه المسلمون لوجدوا شعيًا يستريحون إليه.

وإن قالوا: إنما صار مسيحًا وابنًا بمعمودية يوحنا، فقد اعترفوا أن مريم لم تلد الابن المسيح فى الحقيقة وإنما ولدت طفلاً من أطفال بنى آدم، وحينئذ تكون بنوة المسيح مجرد تسمية لا غير، وتسوى حاله بحال من تقدمه من بنى إسرائيل.

فإن قالوا: إنما اتخذه مسيحًا وابنًا لأنه أطاعه طاعة لم يطعها أحدًا قبله، قلنا: إنما ذلك لَمّا بلغ مبلغ الرجال وذلك دون العشرين سنة، وقد حكيتم لنا فى التوراة أن موسى عمر مائة سنة، وعشرين سنة فإذا طرحنا سن الصبى كان عمر المسيح خُمس عُمر موسى فقد زادت أعمال موسى وطاعاته فى المائة سنة.

وقد حكيتم لنا أن موسى واصل أربعين يومًا وأربعين ليلة، وقتل عوجًا مبارزه، ورفق بقومه وساسهم مع كثرة تلونهم وجهلهم، ولم يهب جبارًا وإن عظم قدره، ولا نكل عن عدو وإن تفاقم أمره، حتى فتح الشام ودوخ البلاد، وأخبرتمونا فى الإنجيل أن المسيح مذ بلغ الحلم إلى أن ناهز الثلاثين [وكان][1] مشتغلا بتعلم التوراة واقتباس العلم، فلم يحارب كما حارب موسى، فكيف اتخذه الله ابنًا لتقدمه فى الطاعات؟ وتقدّمه على من تَقَدَّمه تشهد المزامير بخلافه، قال داود مثنيًا على المسيح: «أقسم الرب ـ ولا يكذب ـ بأنك أنت الكاهن المؤيد تشبه ملكى

(١) انظر سفر الخروج ٤/ ٢٢.
(٢) ساقطة من الناسخ.

صادق»[١] فشبه المسيح برجل كـاهن كان فى زمن إبراهيم الخليل، وأقصى درجات الشبه أن يُشبه المُشَبَّه المُشَبَّه به فى الفضل، فدرجته أحط من إبراهيم وداود وموسى إذ لا خلاف بين أهل الكتاب فى فضل إبراهيم وموسى عليـهما السلام، فقد بطل جميع ما تمسّك به النصارى فى بنوة المسيح واستوت حاله وحال أحبار بنى إسرائيل فى المسيحية والبنوة، وقد كسرنا حججهم وهدمنا أباطيلهم.

* * *

(١) قد تقدمت ترجمة «حياة ملكى صادق» فاطلبها بين ثنايا الكتاب.

الباب العاشر

فى البشائر الإلهية بالنسمة المحمدية

وهو يشتمل على قسمين يذكر فى القسم الأول ما نصت عليه الأنبياء من لدن إبراهيم إلى المسيح عليهما السلام، من أنه لو لم يبعث محمد ﷺ لاختلفت أقوال الأنبياء وردت شهاداتهم وعكر ذلك على نبوتهم بالإبطال، وقد بالغوا فى ذكر أرضه وصلاح أمته، وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة.

اعلم وفقك الله أن اليهود نسخوا من توراتهم ما كان فيه اسم محمد والشهادة بنبوته ورسالته صريحًا وكذلك النصارى من إنجيلهم، وأما ذكر «الفارقليط» الذى هو اسم محمد ﷺ فلم يثبت إلا فى إنجيل واحد وخلت منه بقيه الأناجيل، وهم لا يطلقونه على نبينا محمد ﷺ حسدًا وبغيًا، فلم يبق مما هو فى أيديهم من بشائر إبراهيم ومزامير داود وغيره من الأنبياء إلا رموز لم يفهموها لبلادتهم وجفو طباعهم وعدم فهمهم، أغفلهم الله تعالى عنها، ولو فهموا الإشارة فيها لأسقطوها، لكن نقلوها من كتبهم حماية ورعاية لمنصب هذا النبى الكريم حتى جاء من استخراج الدر من معدنه، أما قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ [الأعراف: ١٥٧] فأمر محقق لا شبهة فيه، غيّره أهل الضلال وبدّلوه بالمحال، إذ لو أثبتوه كما هو مكتوب بصريح اسمه لزمهم امتثال أمره واجتناب نهيه فكان ناسخًا لما فى أيديهم شاهدًا بالتبديل عليهم، فقيّض الله تعالى من علماء هذه الأمة فاستخرجوا من التوراة دلائل فيها بشائر تقطع حججهم وتخيب عملهم وأملهم، لا يفهمها إلا ذو لب، نوّر الله تعالى بصيرته لفهم معانى بشائر الأنبياء من العلماء الأصفياء.

* * *

(بشائر التوراة)

البشرى الأولى:

قالت التوراة فى الفصل العاشر من السفر الأول: «إن الله تعالى قال لإبراهيم: إن فى هذا العام يولد لك ولد يسمى إسحاق، فقال إبراهيم: ليت إسماعيل هذا يحيى بين يديك يمجدك فقال الله تعالى: قد استجبت لك فى إسماعيل، وإنى أباركه وأنمّيه وأعظمه جدًا جدًا، قد استجبت فيه، وأصيره لأمة كبيرة، وأعطيه شعبًا جليلاً، وسيلد اثنى عشر عظيمًا»(١).

وهم أجداد النبى ﷺ، قالت العلماء: قد علم الموافق والمخالف أنه لم يكن فى ذرية إسماعيل من ظهرت بركته ونمت أمته وأُعْطى السيف(٢) الجليل سوى محمد ﷺ، فلقد ملؤا الأرض برحبها، وطبقوا من شرق الدنيا إلى غربها، ودوخوا الآفاق، وأربوا فى العدد على ولد إسحاق، وهذا بالغ فى شرف إسماعيل، إذ الولد يكسب الوالد فخرًا ورفعة دنيًا وأخرى، وناهيك بمن وصفه الله بالبركة واليُمن والجلالة، وبأقل من ذلك يثبت الفضل على جميع المخلوقات، والبشرى من العظيم عظيمة، فلولا أمة محمد ﷺ وجلالتها وكثرتها لما قال وأعطيه الشعب الجليل، والجلالة لا تكون إلا بالتوحيد والإسلام، ولا جلالة لمن كان من أولاده يعبد الأصنام، فلو لم يكن ذلك لضاعت البشرى، وبشرى الله حق.

وأما الاثنا عشر عظيمًا فهم أجداده ﷺ الذين كان هو نورًا فى أصلابهم إلى أن أظهره الله للعالم، فكان أعظم العظماء وأكرم الكرماء، وفى التوراة آيات

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك لا تدعوا اسمها ساراى بل اسمها سارة، وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنًا، أباركها فتكون أممًا وملوك شعوب منها يكونون، فسقط إبراهيم على وجهه، وضحك وقال فى قلبه: هل يولد لابن مائة سنة، وهل تلد سارة وهى بنت تسعين، وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأنحره وأكثره كثيرًا جدًا اثنى عشر رئيسًا يلد، وأجعله أمة كبيرة». (تك ١٧/ ١٥: ٢٠).

(٢) فى النسخة المطبوعة: الشعب.

بالعبرانى، ففى السفر الأول منها: «أن إبراهيم عليه السلام لما نُجّى من نار النمرود تجلى له ربه قائلاً له باللسان العبرانى: قُوْم هَتْ هِلاَخ بأرض لا ركـه وأرحاه فى لحا أمسانا» وتفسيره: قم فاسلك فى الأرض طولاً وعرضًا لولدك نعطيها.

فلما قصّ إبراهيم الوحى على سارة علمت أن وعد الله حق فسألته أن يخرج بهاجر وولدها إلى الحجاز، فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أقبل من سارة ما أمَرَتْك به، فأرسلهما وظن أن الولد يكون من إسحاق فأوحى الله إليه باللسان العبرانى: «لى لى إسحاق سارى سحا درع» تفسيره: إن إسحاق يكون منه نسل، وأما إسماعيل فإنى باركته وعظمته وجعلت ذريته كنجوم السماء فإن منه محمد ﷺ.

وفى التوراة: «أن الله تعالى أرسل إلى هاجر ملائكة لما خرجت إلى الحجاز وحصل لها العطش ورمت[1] الطفل عن كتفها، فأنبعوا لها الماء، فشربت وسقت ولدها[2]، وأن الله جل جلاله خاطبها باللسان العبرانى قائلاً: «يا هاجر قومى سى هاعر وهاجر يقى إن ناوح يولى لفى دل انهى مايو» وتفسيره: قومى احملى هذا الطفل واحتفظى به فإن منه محمداً ﷺ وذريته كنجوم السماء.

وفى التوراة: «كلم الله موسى تكليمًا قل لبنى إسرائيل: سنرسل إليهم نبيًا من أقاربهم مثلك يا موسى سأجعل نطقى بفيه وإياه فاتبعوه»[3].

* * *

(١) فى المخطوط: وأرمت.

(٢) النص الصحيح هكذا:
«فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر؟، لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومى أحملى الغلام وشُدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام» (تك ٢١/١٧ : ٢٠).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (تث ١٨ :١٨).

البشرى الثانية:

قالت التوراة فى الفصل العشرين من السفر الخامس: «قال موسى: أقبل الله من سيناء وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران معه الربوات الأطهار عن يمينه»(١).

فسيناء جبل التجلى الذى كلّم الله فيه موسى، وساعير جبل الخليل بالشام وكان المسيح يتعبد فيه ويناجى ربه، وفاران جبل بنى هاشم الذى كان النبى ﷺ يتعبد فيه، فقد خص نبينا بزيادة على موسى وعيسى حيث قال: معه الربوات الأطهار عن يمينه؛ وذلك كناية عن اصحابه ﷺ يعنى بالربوات: الجماعات من الأكابر والمعظمين فى الدين على تسمية العظيم ربا، فجمع الرب على ربوات، ويحتمل أن يكون أراد جماعة الملائكة وهو الأقرب لأن الربوات الجماعات واحدها ربوة.

قال داود فى المزمور الثالث: «الرب ناصرى لا أخاف من ربوات الشعوب المحيطين بى»(٢).

وفى التوراة: «أن إسماعيل سكن بريّة فاران ونشأ بها وتعلم الرمى»(٣) وذلك كله بمكة، وهو يؤيد ما حملناه عليه من ظهوره من فاران إذ لم يأت منها ما ظهر من أمره إلا سيدنا محمد ﷺ فإن لم يكن هو فكيف ظهر من فاران ومعه الربوات؟! فمن أظهر أحكامه ونشر أعلامه وشرع الدين القويم ونهج للأمم الطريق المستقيم ومهّد [سبيل](٤) الحج وعمر الأندية وعمّ رؤس الجبال وبطون الأودية بالتلبية سوى محمد رسول ﷺ.

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«فقال جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من بعيد، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم» (تث ٣٣: ٢/ ٣).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«... لأن الرب يعضدنى لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفين علىّ من حولى» (مز ٣: ٥/ ٦).

(٣) النص الصحيح هكذا:
«وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن فى البرية، وكان ينمو رامى قوس، وسكن فى برية فاران». (تك ٢١/ ٢٠).

(٤) غير موجودة بالنص الأصلى وأثبتناها لإتمام الفائدة.

البشرى الثالثة:

قالت التوراة فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس: «يا موسى إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبيًا من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه، ويقول لهم ما آمره به، والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا انتقم منه ومن سبطه»[1].

اعلم أن فى هذه البشرى إشـارات لسيدنا محمد ﷺ فقـوله: اجعل كلامى فى فيه، يشيـر إلى حفظه وحفظ أمته لكلام الله فهو فى فـيهم لا يقرءونه من الكتب كما تفعل أهل الملل، ولذلك دخل التبديل فى كتبهم إذ لا يقرءونها عن ظهر قلب كهذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جَمْعَهُ وقرآنه﴾ [القيامة:١٧].

فهـو فى أفواهـهم وقلوبهم لا فى دفاترهم وكـتبـهم، حتى [أمـر أبو بكر] أن يدونوه، فتوقفوا فى ذلك أولاً ثم شرح الله صدورهم لذلك.

وقوله: ويقول لهم ما آمره به، مبنى على لفظ قل، كقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، وقل للمؤمنين، فكل آية بعد أخرى غالبًا مصدرة بقول: قل، فقال الله تعالى، فيقول ما آمره به فى القرآن هو قوله تعالى: قل.

وأخوة بنى إسرائيل هم ولد إسمـاعيل ولا يجوز أن يكون من بنى إسرائيل لأن الله تعـالى يقول لموسى مـثلك، ولم يبعث نبى من لدن مـوسى بكتـاب مستـقل وشريعة مستقلة إلا سيدنا محمد ﷺ، ولم يكن من ولد إسماعيل نبى ولا رسول إلا هو عليه أفـضل الصلاة والسلام، فلـو لم يبعث لاختلفت الأقـوال، وحاشى خبره تعالى فإنه منزه عن الخلف، قوله الحق ووعده الصدق.

البشرى الرابعة:

قالت التوراة فى هذا السفر: «قال موسى لبنى إسرائيل: لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين فسيقيم لكم الرب نبيًا من إخوتكم مثلى فأطيعوا ذلك النبى»[2].

---

(١) انظر الصفحة السابقة لهذا النص الصحيح وهو (تث ١٨ :١٨).

(٢) يؤخذ هذا النص على سابقه، فهو يتحدث عن النبى الذى مثل أخوة بنى إسرائيل، والذى سيـخرج منهم وهو من ذرية إسمـاعيل، والنبى المشـار إليه هو محـمد ﷺ، راجع (تث ١٨/ ١٤ :١٨).

فهارون توفى فى حياة موسى عليهما السلام، والرب يقول: من أخوتكم، ولم يقل من أنفسكم، والتوراة سَدّت هذا الباب فقالت: ومات موسى فكان بنو إسرائيل يسمعون من يوشع، ولم يقم منهم مثل موسى بعده، ولا يصح أن ينزل على المسيح بإجماع الأمم لأن النصارى واليهود فيه على طرفى نقيض منهم المكذب ومنهم مُدَّعى الربوبية، وهو من بنى إسرائيل لا من إخوتهم، فإن رجع النصارى وقالوا: إنه مثل موسى فقد تناقض قولهم، فتعين أن يكون سيدنا محمد ﷺ، وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام أخًا لموسى، وقد ذكره موسى عليه السلام فى آخر خطبة خطبها لبنى إسرائيل قرب وفاته ـ وهم فى التيه ـ عدد عليهم فيها مواطن نِعَمه عليهم، وقبيح أفعالهم ومخالفاتهم، وأخبرهم بعاقبة أمرهم من الكفر ونقض عهد ربهم، وحذرهم من قوم كَذَبَة يدعون ما ليس لهم فارجموهم بالحجارة، ثم قال: وبعد ذلك سيبعث الله تعالى نبيًا من قرابتكم، يريد من ولد إسماعيل سَمّاه أخًا مرة وسَمّاه قرابة أخرى، وهذا أصرح، ثم قال: يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر، ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث، ويضع عنكم الآصار والأغلال التى عليكم، فأى رجل خالفه منكم له خزى فى الدنيا، وفى الآخرة له عذاب عظيم.

* * *

البشرى الخامسة:

لما حضرت إسرائيل الوفاة وهو بمصر عند يوسف دعا أولاده فحضروا بين يديه، وباركهم واحدًا واحدًا، ودعا لهم. فلما انتهت النوبة إلى ابنه يهوذا قال فيه: «لا يعدم سبط يهوذا ملك مسلط وأفخاذه بنو إسرائيل حتى يأتى الذى له الكل»[1] أى يبعث إلى كل الأمم فتكون الناس جميعًا أمته، فقد صان الله هذه البشائر عن التحريف لسخافة فهمهم الضعيف.

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«يهوذا إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك، لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجلين حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب» (تك ٤٩/٨ـ ١٠).

(بشائر مزامير داود)

البشرى السادسة:

من مزامير داود، قال داود فى مزمور له: «سبحوا الله تسبيحًا جديرًا، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له من أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منه بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شرفتين، ينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه»(١).

فقوله: يكبرون الله بأصوات مرتفعة إشارة إلى ما يفعله الحجيج من التلبية والتكبير فى الأعياد، وهذه كلها صفات النبى محمد وأمته.

* * *

البشرى السابعة:

قال داود النبى عليه السلام: «من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد، فتقلد أيها الجبار بالسيف لأن البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك، اركب كلمة الحق، وسمت التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك»(٢).

فليس متقلدًا بالسيف من الأنبياء بعد داود سوى سيدنا محمد ﷺ، وهو الذى

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته فى جماعة الاتقياء ليفرح إسرائيل، بخالقه ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه، يرقص بدف وعود ليرنموا له؛ لأن الرب راض عن شعبه يُجّمل الودعاء بالخلاص، ليبتهج الاتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم تنويهات الله فى أفواههم، وسيف ذو حدين فى يدهم ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب» (مز ١٤٩/ ١: ٨).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«أنت أبرع جمالاً من بنى البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاءك وبجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك، شعوب تخنك يسقطون» (مز ٤٥/ ٢: ٥).

خرَّت الأمم تحته، وقُرنت شرائعه بالهيبة؛ فأما الجزية وأما السيف وتصديقه: «نُصِرْت بالرعب» فهو جبار على الكافرين رحيم بالمؤمنين، وقد شهد له بالنبوة صَريحًا إذ أخبر أن له ناموسًا وشرائع وقال: إن دينه يظهر على كل دين فلم يحُرم ما أخبر به.

* * *

البشرى الثامنة:

قال داود فى مزمور له : «إن ربنا عظيم محمود جدًا وفى قرية إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض»(١). وسمى قريته ـ وهى مكة ـ قرية الله تعالى.

* * *

البشرى التاسعة:

قال داود فى مزمور له: «إن الله أظهر صهيون إكليلاً محمودًا»(٢) فهو محمد وأحمد والمحمود، ووصفه بأنه إكليل يشير إلى أنه رئيس الأنبياء عليهم السلام لأن الأكليل يُجْعلَ على الرأس.

* * *

البشرى العاشرة:

قال داود فى مزمور له: «لترتاح البوادى وقراها، ولتصير أرض قيدار مروجًا، ولتسبح سكان الكهوف(٣) ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه فى

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«عظيم هو الرب، وحميد جدًا، فى مدينة إلهنا جبل قدسه جميل الارتفاع، فرح كل الأرض جبل صهيون» (مز ٤٨/ ١ : ٢).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«إله الآله الرب تكلم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها، من صهيون كمال الجمال، الله أشرق، يأتى إلهنا ولا يصمت نار قُدامه تأكل وحوله عاصف» (مز ٥٠/ ١ : ٣).

(٣) النص الصحيح ليس من مزامير داود ولكنه من نبوءة إشعياء هكذا:

«غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون فى البحر وملؤه =

الجزائر» إشارة إلى أمته ﷺ، وقيدار بن إسماعيل: جد النبى، وسكان الكهوف والجبال: العرب.

* * *

(بشائر إشعياء)

البشرى الحادية عشر:

من نبوات إشعياء، قال إشعيا مثنيًا على مكة: «ارفعى إلى ما حولك[1] بصرك فستبتهجين وتفرحين من أجل أن الله يصير إليك ذخائر البحرين وتحج إليك عساكر الأمم حتى تعم بك قطر الإبل المؤبلة، وتضيق أرضك من القطرات التى تجتمع إليك، ويساق إليك كباش مدين للهدايا وللأضاحى، وتأتيك أهل سبأ، وتسير إليك أغنام فاران، وتخدمك رجال مأرب»[2] يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مأرب بن إسماعيل وهذه الصفات كلها حصلت بمكة.

* * *

البشرى الثانية عشر:

قال إشعيا يخاطب الناس عن[3] سيدنا محمد ﷺ: «تفهمى أيتها الأمم أن الرب

= والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدتها، صوتها الديار التى سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رءوس الجبال ليهتفوا» (إش ٤٢/ ١٠ ـ ١٢).

(١) النص الصحيح هكذا:
«ارفعى عينيك حواليك وانظرى قد اجتمعوا كلهم، جاءوا كلهم، جاءوا إليك، يأتى بَنَوكِ من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدى حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتى إليك غنى الأمم» (إش ٦٠: ٤/ ٦).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«تفرح البرية والأرض اليابسة، ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس، حينئذ تنفتح عيون العُمْى وآذان الصم، تنفتح حينئذ، يقفز الأعرج كالإبل، ويترنم لسان الأخرس؛ لأنه قد تفجرت فى البرية مياة وأنهار فى القفر ويصير السراب أجمًا والمعطشة ينابيع ماء فى مسكن الذئاب» (إش ٣٥/ ١: ٧).

(٣) فى المخطوطة: على.

أهاب بى من بعيد، وذكر اسمى وأنا فى الرحم، وخاطبنى بظل يمينه، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته، وخزننى لسره وقال لى: أنت عبدى وصرفى وعدلى حقا قدام الرب وأعمالى بين يدى إلهى وصرت محمداً عبد الرب، فبإلهى حولى وقوتى»(١).

فقد صرح باسمه وأعرب عنه ولم يُعجم فلا حاجة مع بيانه إلى مترجم، وقوله: أهاب بى من بعيد يريد أنه لم يكن من بنى إسرائيل ولا من بلدهم بل من غيرهم، فليرون آخر اسمه محمد جاء بشريعة حتى تنصرف هذه البشارة إليه.

* * *

البشرى الثالثة عشر:

قال إشعيا يُنَوه على محمد ﷺ: «عبدى الذى ترضى نفسى أعطيه كلامى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيها بالوصايا، لا يضحك ولا يصخب، يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيى القلوب الميتة، وما أعطيه لا أعطيه غيره، أحمد، يحمد الله حمداً حديثًا، يأتى من أفضل الأرض فتفرح به البرية وسكانها، ويحمدون الله على كل شرف، ويعظمونه على كل راية، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقضيب الضعيف، بل يقوى الصديقين المتواضعين، وهو نور الله الذى لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفه»(٢) يشير إلى خاتم النبوة.

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«اسمعى لى أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد، الرب من البطن دعانى، من أحشاء أمى ذكر اسمى وجعل فمى كسيف حاد، فى ظل يده خبأنى وجعلنى سهمًا مبريًا فى كنانته أخفانى، وقال لى: أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد، أما أنا فقلت عبثًا تعبت باطلاً وفارغًا أفنيت قدرتى، لكن حقى عند الرب وعملى عند إلهى» (إش ١٩ :١/ ٤).

(٢) النص الصحيح هكذا:

«هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سُرّت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته، قصبه مرضوضة لا يقصف، وفتيله خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» (إش ٤٢ :١/ ٤).

البشرى الرابعة عشر:

قال نبى الله إشعيا منوّهًا باسم رسول الله ﷺ: «لتفرح البادية العطشاء» ولتبتهج البرارى والفلوات، ولتزهو أزهارها، فإنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان حتى تصير كالدساكر والرياحن، وسترون جلال الله وبهاء إلهنا»[1] فذكر أن البرارى والقفار تصير بأحمد مأهولة معمورة محجوجًا إليها، فلا يصح الإيمان بإشعياء مع رد أخباره وتكذيب شهادته والقدح فى روايته، وأى شك بقى يختلج فى صدر لبيب بعد سماع إشعياء ينص على اسمه وأرضه.

* * *

البشرى الخامسة عشر:

قال إشعياء حاكيًا عن الله تعالى: «يا آل إبراهيم خليلى الذى قويته ودعوته من أقاصى الأرض لا تخف ولا ترهب فأنا معك ويدى العزيزة مهدت لك، جعلتك مثل الجرجر الحديد يَدق ما يأتى عليه دقًا ويسحقه سحقًا حتى يكون هشيمًا يلوى به هوج الرياح وأنت تبتهج وترتاح وتكون محمدًا»[2] هؤلاء الأنبياء الأطهار والأصفياء الأبرار يصرحون باسم محمد فلا حاجة بعد ذلك إلى الاستنباط والاستخراج.

* * *

البشرى السادسة عشر:

قال إشعياء ـ النبى ـ مُعْلِنًا باسمه عليه أفضل الصلاة والسلام: «إنى جعلت اسمك محمدًا يا محمد قدوس الرب اسمك موجود إلى الأبد»[3] وقول إشعياء إن

---

(١) راجع النص الصحيح للبشارة الحادية عشرة.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«وأما أنت يا إسرائيل عبدى يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى الذى أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته وقلت لك أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك، لا تخف لأنى معك، لا تتلف لأنى إلهك...» (إش ٤١ :٨/ ١٠).

(٣) لم يرد اسم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام صريحًا فى التوراة أو الإنجيل ولكن هناك من الشواهد والأدلة والصفات الدالة على شخصه الكريم.

اسم محمد موجود من الأبد، موافق لقول داود الذى حكيناه أن اسمه موجود قبل الشمس، وقوله: يا قدوس الرب يريد يا من طهره ربه وخلصه من شوائب بشريته واصطفاه لنفسه.

* * *

البشرى السابعة عشر:

قال إشعياء ـ النبى ـ ينص على خاتم النبوة: «وُلِدَ لنا غلام يكون عجبًا وبشيرًا والشامة على كتفه أركون السلم إله جبار سلطانه سلطان السلامة، وهو ابن عالمة يجلس على كرسى داود»[1].

قال بعض العلماء: الأركون هو العظيم بلغة الإنجيل، والأراكن المعظمون، وسَمّاه إلهًا على نحو قول التوراة: إن الله تعالى جعل موسى إلهًا لفرعون أى حاكمًا عليه متصرفًا فيه، وقول داود للعظماء: إنكم آلهة، فقد شهد إشعياء بصحة أمره ووصفه بأخص علاماته وأوضحها وهى الشامة التى على كتفه ولم تكن لسليمان ولا للمسيح، ووصفه بالجلوس على كرسى داود يريد أنه سيرث بنى إسرائيل ونبوتهم وملكهم ورئاستهم.

* * *

البشرى الثامنة عشر:

قال إشعياء النبى حاكيًا عن الله تعالى: «أشكر لحبيبى وابنى أحمد»[2] فسمّاه حبيبًا وابنًا، وخصه بالشكر والنبوة والمحبة ليبين قدره ومنزلته عنده، وتلك منقبة [لم ينلها][3] غيره من المرسلين.

* * *

(١) النص الصحيح هكذا:
«لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام» (إش ٩: ٦).

(٢) لم يرد اسم النبى ﷺ أحمد صريحًا كما قلنا آنفًا.

(٣) ساقطة من الأصل.

البشرى التاسعة عشر:

قال إشعيا: «إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد» فليرنا أهل الكتاب نبيًا نصت الأنبياء على اسمه صريحًا سواه.

* * *

البشرى العشرون:

قال إشعياء وسَمَّى رسول الله محمدًا ربًا وإلهًا كتسمية موسى فى التوراة: «إن الرب الإله سيظهر بالعز والحول والقوة أجره معه وعمله أمامه كالراعى الذى يحفظ غنمه ويذودهم عن مراتع[1] الهلاك»[2] والدليل على ذلك أنه جعل الرب والإله إنسانًا له أجر وعمل فأجره الغنائم التى أحلت له وصفاياها، وقد وصفه بالجهاد فى سبيل الله واستيلائه على أعدائه بالحول والقوة والعز، وكذلك كان عليه أفضل الصلاة والسلام هو وأمته الذين قهروا الجبابرة وأبادوا الفراعنة والقياصرة واستولوا على ممالك العالم.

* * *

البشرى الحادية والعشرون:

قال إشعياء يُنَبّه على دعاء محمد الكافة ويُخْبر أن رسالته عامة إلى الناس أجمعين: «إنى أقمتك شاهدًا للشعوب ومدبرًا[3] وسلطانًا للأمم، لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتيك الأمم الذين يعرفونك هرولة وشدًا من أجل الرب إلهك قدوس بنى إسرائيل هو الذى أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب واستجيبوا له، وليرجع الخاطىء عن خطيئته، والفاجر عن فجوره، وليتب إلىَّ لأرحمه» فهذه نبوة مصرحة باسمه.

---

(١) فى المخطوط: مواقع.

(٢) لم أعثر على هذا النص بلفظه.

(٣) النص الصحيح هكذا:

«هو ذا قد جعلته شارعًا للشعوب رئيسًا وموصيًا للشعوب؛ ها أمة لاتعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك، وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك، اطلبوا الرب ما دام يوجد، ادعوه وهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران» (إش ٥٥: ٤/ ٨).

بشائر حيقوق النبي:

وسَمّاه مرتين في نبوته فقال: «إن الله جاء من اليمن والقدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، شعاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزة تسير المنايا أمامه، وتصحب الطير أجناده، قام فمسح الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابى وترعرعت ستور أهل مدين، ولقد حاز المساعى القديمة، ثم قال: زجرك فى الأنهار، واحتدام صولتك فى البحار، ركبت الخيول وعلوت مراكب الأنقاذ، وستنزع فى قسِّيك أغراقًا ونزعًا، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواءً، ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانجرف عنك شؤبوب السبيل، ونفرت المهادى نفيرًا ورعبًا، رفعت أيديهما وجلاً وخوفا، وسارت العساكر فى بريق سهامك ولمعان نيازكك تدوخ الأرض غضبًا وتدوس الأمم زجرًا، لأنك ظهرت بخلاص أمتك وإنقاذ تراب آبائك»[(١)].

فهذا أعظم ما فى نبوته عليه أفضل الصلاة والسلام حيث سماه باسمه مرتين، ووصفه بقوة أمته، وسيَّر المنايا أمامهم، واتباع جوارح الطير آثارهم، فهذا لا يليق إلا به وبأمته.

* * *

البشرى الثانية والعشرون:

قال ضفنيا النبى عليه السلام يُنبِّه على كلمة التوحيد؛ وهى شهادة أن لا إله إلا الله: «أيها الناس ترجو الذى أقوم فيه للشهادة، فقد حان أن أظهر حكمى لحشر الأمم كلها: هنالك أجدد لهم اللغة المختارة ليعلنوا باسم الرب جميعًا ويعبدوه فى ربقة واحدة، ويأتوا بالذبائح فى تلك الأيام من مغائر أنهار كوش»[(٢)].

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران سلاة جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور له، من يده شعاع وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم مسالك الأزل له» (حب ٣: ٣/ ٧).

(٢) النص الصحيح هكذا : «لذلك فانتظرونى يقول الرب إلى يوم أقوم إلى السلب لأن =

واللغة المختارة هى لغة العرب، ومغائر أنهار كوش هى نواحى اليمن والحجاز، وهى التى يساق منها أغنام الهَدى إلى بيت الله الحرام.

* * *

البشرى الثالثة والعشرون:

قال زكـريا النبى عليه السلام يُنبّه على جمع كلمة التـوحيد وصـيرورة الدين واحدًا: «إنه يكون الرب حـينئذ ربًا واحدًا ويكون اسمه اسـمًا واحدًا ويكون اسم الرب القدوس على كل شىء حتى على لجام الفرس»(١).

فقد تمت هذه النبوة ببعثـه عليه أفضل الصلاة والسلام [حيث](٢) صار اسم الله على كل شىء من السلاح والذهب والفضة.

* * *

البشرى الرابعة والعشرون:

قال أرميا النبى مخاطبًا به مـحمد ﷺ حاكيًا عن الله: «مِنْ قَبْلِ أن أُصورك فى الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من الرحم قدستك، وجعلتك نبيًا للأمم لأنك بكل ما آمـرك تصدع وإلى كل من أرسلتك تتـوجه، وأنا معك لخـلاصك، يقول الرب: أفـرغت كلامى فى فـمك إفراغًا، فـانظر فـقد سلطتك اليـوم على الأمم والممالك تنسف وتهدم وتسحق وتغرس وتبنى ما رأيت»(٣).

= حكمى هو يجمع الأمم وحشر المماليك لأصب عليـهم سخطى كل حمو غضبى؛ لأنه بنار غيرتى تؤكل كل الأرض؛ لأنى حـينئذ أحول الشعوب إلى شفة نقـية، ليدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتف واحدة، من عبر أنهار كوش...» (صف: ٣: ٨/ ١٠).

(١) لم أعثر على هذا النص بلفظه فى سفر زكريا.

(٢) سقطت من الناسخ.

(٣) النص الصحيح هكذا:

«فكانت كلمة الـرب إلىَّ قائلاً: قبلمـا صورتك فى البطن عرفـتك، وقبلمـا خرجت من الرحم قدسـتك، جعلتك نبيًا للشـعوب فقلت: آه يا سيـد الرب إنى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد فقـال الرب لى: لا تقل إنى ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليـه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به» (إرا: ٤/ ٨).

فانظر قوله: «بكل مـا آمرك به تصدع» تجده موافـقًا لقوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ وقوله: سلطتك على الأمم والممالك وجعلتك نبيًا للأمم هو إخبار برسالته العامـة لجميع الأمم وليس ذلك إلا له، وقـوله: أفرغت كلامى فى فـمك إفراغًا نظير التوراة أجعل كلامى فى فيه، وهذه نبوات متوافرة[1] إشارة إلى أنه أمى لا يقرأ فى صحف ولا يأخذ من كتب، قال تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أى إفراغه فى فيك، وقرآنه أى أن تقرأه بفيك من غير مطالعة بل بمجرد وحينا إليك.

* * *

البشرى الخامسة والعشرون:

قال أرمـيا أيضًا مشيـرًا إلى نصر الأمة على اليـهود والنصارى وغـيرهم: «إنى مُهيج عليكم يا بنى إسرائيل من البـعد أمة عزيزة قديمة لا تفهمـون لسانها وكلها مخرب جبار»[2] فهذه الأمة الحنيفية العـربية التى سلطها الله على من كفر به وعبد عجلاً ووثنًا واتخذ من دونه آلهة أخرى.

* * *

البشرى السادسة والعشرون:

قال أرميا مثنيًا على أمة محمد ﷺ: «إنى جـاعل شريعتى فى أفواههم واكتبها فى قلوبهم، وأكون لهم[3] إلهًا، ويكونون لى شعبًا، ولا يحـتاج الرجل أن يتعلم من غيره الدين والملة ومعرفة الله بل يصير الكل عـارفين بالله صغيرهم وكبيرهم، وأنا أغفر حينئذ ذنوبهم ولا أقرعهم بخطاياهم»[4].

فهـذه النبوة شاهدة بأن هذه الأمـة هى أمة الله وأن هذا الشـعب شعبـه فإنا لا

---

(١) فى المخطوط: متنافرة.

(٢) النص الصحيح هكذا:

«قد صعـد الأسد من غابتـه وزحف مهلك الأمم، خرج من مكانه ليجـعل أرضك خرابًا تخرب مدنك فلا ساكن» (إر ٤:/٧:٨).

(٣) فى المخطوط: عليهم.

(٤) لم أعثر على هذا النص نهائيًا فى الإصحاح التاسع عشر كما جاء فى كتب البشارات مثل كتاب «الدين والدولة فى إثبات نبوة النبى ﷺ» لعلى بن ربَّن الطبرى.

نعلم أمة تقرأ كتاب الله عن ظهر قلب سوى هذه الأمة المحمدية ومن عداها فإنما يقرأون من الصحف ويسمعون من غيرهم.

* * *

البشرى السابعة والعشرون:

قال دانيال ذاكرًا محمد ﷺ باسمه: «ستنزع من قسيك أغراقًا ترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء»(١).

فإن نازعك فى ذلك منازع فليجد لنا شخصًا آخر اسمه محمد له سهامٌ تُنْزَع وأمرٌ مطاعٌ لا يُرفع.

* * *

البشرى الثامنة والعشرون:

قال دانيال: «سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد عليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك فى غيرهم؟ قال دانيال عليه السلام: فظهر لى الملك فى صفة شاب حسن الوجه فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله تعالى يقول: إن بنى إسرائيل أغضبونى وتمردوا علىَّ، وعبدوا من دونى آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، سلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم، وكذلك أفعل من بعده بهم، وأنا غير راضٍ عنهم ولا مُقيلهم عثرتهم، فلا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى ابن العذراء البتول فأختم عليهم بعد ذلك باللعن، فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبيًا من بنى إسماعيل(٢) الذى بشرت به هاجر، فأُوحى إلى ذلك النبى وأُعلمه السيما(٣)، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى

(١) لم يأت ذكر اسم محمد عليه الصلاة والسلام صريحًا فى سفر دانيال أو غيره كما أشرنا من قبل.

(٢) فى المخطوطة: إسرائيل وهى خاطئة لأن النبى المشار إليه فى النبوءة المفروض أن يكون من بنى إسماعيل.

(٣) السيما والسيمياء: العلامة يعرف بها الإنسان فى الخير والشر. (المعجم الوجيز ص٣٣٠).

ضميره، والوفاء طبيعته، والصدق[1] سيرته، والرشد سنّته، أخصّه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها، من أُسْرِىَ به إلىّ، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عـليه وأوحى إليه، ثم أرده إلى عبادى بالسرور والغبطة، حافظًا لما أستودع صادعًا[2] بما آمر، يدعو إلى توحـيدى باللين من القول والموعظة الحسنه، لا فظ ولا غليظ ولا صـخاب[3] فى الأسواق، رؤف رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومـه إلى توحيدى وعبادتى، ويخبرهم بما رأى من آياتى فيكذبونه ويؤذونه»[4].

ثم سرد دانيال قصة رسول الله حـرفًا حرفًا مما أملاه عليه الملك حتى وصل إلى آخر أيام أمتـه بالنفخة وانقضـاء الدنيا، ونبوته كبيـرة، وهى الآن فى يد النصارى واليهود يقرءونها، وفيها ما وصفنا من إشارة الله، يذكر فيها هذه الأمه ويذكر نبيها واتصال مملكتهم بالقيامة، ولكن الحسد صارف عن قبول السعادة.

* * *

(١) فى النسخة المطبوعة: القصة.

(٢) فى المخطوطة: صادرًا.

(٣) فى المخطوطة: سحاب.

(٤) بحثنا عن مظان وجود هذا النص فى سفر دانيال فوجـدنا نصًا أقرب إليه بنسبة كبيرة وهو هذا:

«فوجـهت وجهـى إلى الله السيـد طالبًا بالصلاة والتـضرعـات بالصوم والمسح والـرماد، وصليت إلى الرب إلهى، واعتـرفت وقلت: أيها الرب الإله العظيم المهوب حـافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصـاياه، أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وأحكامك. . . وفهـمنى وتكلم معى وقال: يا دانيال، إنى خـرجت الآن لأعلمك الفهم فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب» (دا ٩: ٣/ ٢٣).

فصل فى الفارقليط

قال يوحنا الإنجيلى فى الفصل الخامس عشر من إنجيله قال يوسع: «إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى يعلمكم كل شىء»(١).

وقال يوحنا التلميذ: قال يسوع لتلاميذه: «إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم فارقليطًا آخر يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتامًا لأنى سأتيكم من قريب»(٢).

وقال يوحنا أيضًا: قال المسيح: «من يحبنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه وإليه يأتى وعنده يتخذ المنزلة، كلمتكم بهذا لأنى عندكم مقيم، والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم كل ما قلت لكم، استودعكم سلامى، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فإنى منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبونى كنتم تفرحون بمضيتى إلى الآب، فإن أنتم ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم كان لكم ما تريدون؛ وبهذا يمجد أبى»(٣).

وقال يوحنا أيضًا فى الفصل السادس عشر من إنجيله: قال المسيح: «إن خيرًا لكم أن أنطلق لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لى كلامًا كثيرًا أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى

(١) النص الصحيح هكذا:
«ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى» (يو ١٥: ٢٦).

(٢) النص الصحيح هكذا:
«ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه... لا أترككم يتامى، إنى آتى إليكم» (يو ١٤: ١٥/ ١٨).

(٣) لم أعثر على هذا النص بلفظه.

جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للآب»[١] فانظر أرشدك الله إلى هذه الفصول وما فيها من الفارقليط الذى هو روح الحق وتارة روح القدس، المعلم كل شىء، وهو محمد رسول الله؛ لأن النصارى اختلفوا فى تفسيرها على أقوال، فقيل: إنه الحماد، وقيل: الحامد، وقيل: المُخلّص، فإن فرَّعنا عليه فهو مخلص الأمم من العذاب ومن الكفر والمعاصى.

وقال المسيح: «إنى لم آت لأدين العالم بل لأخلّص العالم» فالله يرسل مخلصًا آخر فهو قد ذكره بلفظ المضارع وقال: فارقليطًا آخر يثبت معكم إلى الأبد، فشريعته باقية إلى الأبد، وليس ذلك سوى نبينا محمد ﷺ.

وإن كان على حمّاد وحامد فذلك اشتقاق اسمه عليه الصلاة والسلام، فالنصارى إما أن يعترفوا به عليه السلام وإما أن يقولوا أن المسيح أخلف وعده وتركهم أيتامًا بغير نبى ولم يأتهم عن قريب.

وبعض النصارى يزعمون أن الفارقليط إشارة إلى ألسنة نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا الآيات والعجائب، وذلك خلاف ما أخبر به المسيح لأنه يقول: فارقليطًا آخر، وذلك فيه إشارة إلى أول تقدم لهم والألسن لم يتقدم مجيئها، ثم ذلك كذب من قائله لأن التلاميذ امتهنوا وقتلوا تقتيلاً وعذبوا بأنواع العذاب فما أيدتهم نار نزلت ولا نجتهم[٢] آية ظهرت، فقد وضح أن الموعود به على لسان المسيح هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وهو الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه لما يغلب عليهم من عبادة الأوثان وتعظيم الصلبان وسحرِ النيران، وعلى ذلك تألفت قلوبهم فلذلك لم يقبلوه لأنهم لم يعرفوه، وقد أتى لهم بما لا يألفونه، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون، وفى الحقيقة ما آمن به

---

(١) النص الصحيح هكذا:

«لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة» (يو ١٦: ٧/ ٨).

(٢) فى المخطوطة: وبختهم.

إلا من رآه فأشهده الله من نبوته ما هدى به قلبه إليه، وأما من لم يره لم يؤمن به لأنه لم يعرفه وأتى له بما لم يألفه.

وقوله: فإن أنتم ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم كان لكم كل ما تريدون وبهذا يمجد أبى، فأخبرهم أنهم إن ثبتوا على ما أمرهم فى تعظيم هذا المخلص الثانى والتزام أوامره ونواهيه والحث على اتباعه كان لهم ما أرادوا ونظيره.

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

وذلك مما يدفع الشكوك عن أمته فى مجىء المُخلص لهم بعده وهو محمد ﷺ وعن ضعفاء اليقين من هذه الأمة لأنه إذا اتصل بهم شهادة الأنبياء قبله به وبنبوته ورسالته إلى سائر الأمم قوى يقينهم وثبت دينهم، وأما من لم يؤثر عنده شهادة المسيح ولم يقابل بُشْراه بعقل ذكى وفهم صحيح فهم المرادون بقول الكتاب العزيز. **﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار﴾** [الزمر: ١٩].

وقد قال بطرس صاحب المسيح: «لقد كان خيراً لهم أن لا يعرفوا طريق الحق من أن يعرفوه ثم ينصرفوا إلى خلافه».

وقوله: إذا جاء روح الحق الذى يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

وقوله: إنه يوبخ العالم على الخطيئة، فوبخ المجوس على عبادة النار، واليهود على عبادة عُزَيْر، والنصارى على عبادة الثالوث، والصائبة[1] على عبادة الكواكب،

---

(١) الصابئة: فى المخطوطة: الصابئية.

وفى اللغة: صبأ الرجل إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة.

وهم يقولون: الصبوة هى الانحلال عن قيد الرجال.

وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين.

والصابئة تدعى أن مذهبها هو الاكتساب، والحنفاء تدعى أن مذهبها هو الفطرة.. اهـ.

(الملل والنحل ـ للشهرستانى ص ٢٥٩ ـ نشر دار الفكر).

والكفار على عبادة الأوثان.

وقوله: هو المخبر بكل ما يأتى، فقد خبرنا بأشراط الساعة وما يأتى من أسبابها، وما يأتى من الفتح المبين على يد أمته المؤمنين.

قال البوصيرى رحمه الله:

بينته توراتُهم والأناجـ ـيلُ وهم فى جحودهِ شركاءُ
إن يقولوا ما بينته فما زا لت بها عن قلوبهم غشواءُ
من هو الفارقليط والمنحمنا وبالحق تشهد الخصماءُ
أخبرتكم جبال فاران عنه مثل ما أخبرتكم سيناءُ
وصفت أرض نبوة إشعيا فاسمعوا ما يقوله إشعياءُ
أرض بدو عطشا حكت أرض لبنان ناسب الرواةَ الرواءُ
عرفوه وأنكروه وظلمًا كتمته الشهادةَ الشهداءُ
أو نورُ الإله تطفئه الأفو اهُ وهوَ الذى به يستضاءُ

* * *

البشرى التاسعة والعشرون:

قال يحيى بن زكريا عليهما السلام لأصحابه: «إن الذى يأتى بعدى أقوى منى وأنا لا استحق أن أجلس مقعد خفه»[1] وما ذاك إلا محمد ﷺ لأن المسيح جاء مع يحيى لا بعده فيحيى أكبر منه بسته أشهر خاصة كمانطق بذلك الإنجيل.

* * *

اعلم رحمك الله تعالى أن ما ذكرناه فى هذا الكتاب إنما هو مما غَفَلَ اليهود والنصارى عن إسقاطه من كتبهم أو حملوه على غير محمله بغضًا وعنادًا، ولكن ما كان فى كتبهم فى أيام مبعثه عليه أفضل الصلاة والسلام كان كما شهد الله:

---

(١) النص الصحيح هكذا:
«أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى، الذى لست أهلاً أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (مت ٣/ ١١).

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ [البقرة:١٤٦].

وفريق آخر آمن به واتبع النور الذى أنزل معه مُصدقًا لما فى أيديهم من التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم والزبور فكان ذكره صريحًا وكذلك ذكر أمته من غير إشارة ولا إجمال، ولنذكر نبذة من ذلك ليعلم أن ما فى أيدينا إنما هو ما غفلت أذهانهم عنه ولو علموا به لأسقطوه من كتبهم على عوائد كفرهم فى التحريف والتبديل لما فيه من ذكر الرسول مما شهدت به التوراة والإنجيل.

منها ما روى الواقدى أن هرقل كان يبعث إلى النجاشى شمامسة، وكان النجاشى من أعلم الناس بكتب الله فى عصره، فإذا تعلموا ما يريدونه رجعوا إلى هرقل وبعث غيرهم للقراءة على النجاشى، وأن قيصر قال لعلماء دينه: أههنا أحد ممن قرأ على النجاشى؟ قالوا نعم: عشرة من الشمامسة، فأحضرهم ثم سألهم عن أعلمهم فأشاروا إلى أعلمهم، وقال له: ألا تخبرنى عن النجاشى؟ قال: بلى أيها الملك، أنا آخر من قفل من عنده بعد مقام أربعة أعوام، وقد عرفت أمره كله، فعن أى شىء يسألنى الملك من أمره؟ قال قيصر: هل يذكر هذا العربى الذى يشير إليه أنه نبى؟ قال: نعم. إنه وضع الإنجيل أمامه وليس عنده غيرى فقرأ: أحمد النبى العربى، يركب البعير، ويجتزىء بالكسرة، يخرج من مكة إلى يثرب، وهو خير الأنبياء، يقوم بين عيسى والساعة، فمن أدركه واتبعه فقد رشد، ومن خالفه فقد هلك. ورأيته يعلم هذا ابنًا له، وحضرت أصحاب محمد يتكلمون عنده فخاطبه ابن عم محمد خطابًا أبكاه حتى بلّ لحيته بدموعه، وقال: أشهد أن هذا النبى العربى وهو خير الأنبياء.

قال قيصر: صدق النجاشى، ولولا أنى أضن بملكى ولا يتابعنى الروم إن خالفت دينهم لأظهرت تصديقه، وسيظهر دينه على منتهى الخف والحافر، ثم قال للشماس: على أى دين أنت؟ قال: لولا أنى أكره خلاف الملك لاتبعت محمدًا ﷺ.

فقال له قيصر: لا تخفنى واكتم أمرك عن الروم، وتوجه حيث شئت أو أقم، فقال الشماسى: إنى أريد اللحاق به، قال: اذهب، فذهب متوجهًا إلى النبى ﷺ

فلما كان بالبلقاء اغتاله قوم، وبلغ ذلك قيصر فأرسل إلى عامله بها أن اطلب الذين قتلوا عبدى فاقتلهم به، وطلبهم فظفر بهم وقتلهم وصلبهم.

ومنه ما روى عن عبد الله بن مالك أنه قال: قدمت اليمامة فى خلافة عثمان رضى الله عنه، فجلست فى ناد بحجر - وهى قصبة اليمامة - فقال رجل من النادى: بينا أنا يومًا عند هوذة ذى التاج، دخل حاجب هوذة، فقال له: هذا راهب دمشق يستأذن، فأُذن له، فدخل فرحب به هوذة وتحادثا فقال له الراهب: ما أطيب بلاد الملك؟ قال هوذة: ريف العرب وأصح بلادها، قال الراهب: أين بلاد محمد هذا الذى يدعو إلى دينه من بلاد الملك؟ قال هوذة: هو منا قريب بيثرب، وقد جاءنى كتابه يدعونى إلى دينه فلم أجبه إلى ما سأل، قال الراهب: لم؟ قال: ضننت[1] بملكى وخفت أن يذهب إذ صرت تبعًا له، فقال الراهب: لو اتبعته لملكك والخير لك فى اتباعه فإنه النبى الذى بشر به عيسى ووصفه فى الإنجيل بصفته، فقال هوذة للراهب: فمالك لا تتبعه؟ فقال: أجدنى أحسده وأحب الخمر وهو يحرمها، فقال هوذة: ما أرانى إلا متبعه. فشعر به قومه وقالوا: إن اتبعته خلعناك، ومكث الراهب عنده فى كرامة.

وقد روى عن وهب بن منبه أنه قال: قرأت فى كتب الله المنزلة على نبى من بنى إسرائيل: إنى ربيتهم بنعمتى وآثرتهم بكرامتى واخترتهم لنفسى، وإنى وجدت بنى إسرائيل كالغنم الشاردة التى لا راعى لها فرددت شاردها وجمعت ضالتها وداويت مريضها وجبرت كسيرها وحفظت سمينها، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها. فقتل بعضها بعضًا، فويل لهذه الأمة الخاطئة، وويل لهؤلاء القوم الظالمين؛ إنى قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء حتمًا وجعلت له أجلاً مؤجلاً لابد منه، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى يكون ذلك الزمان فإنى مظهره على الدين كله، فليخبروك متى يكون هذا ومن القيم به ومن أعوانه وأنصاره إن كانوا يعلمون؟ فإنى باعث بذلك رسولاً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب[2] فى الأسواق ولا قوّال بالجهر والخَنَا[3]، أسدده بكل حال،

---

(١) فى المخطوط: ظننت.

(٢) فى المخطوط: سخاب.

(٣) خنا: فلان خنواً، وخنا: أفحش فى منطقه (المعجم الوجيز - ص ٢١٤).

وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة على لسانه، والتقوى ضميره، والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والإسلام ملته، وأرفع به من الوضيعة، وأغنى به من العيلة، وأهدى به من الضلالة، وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة، وأجعل أمته خير الأمم إيمانًا بى [. . . . . .][1] وبما جاء به رسولى، ألهمهم التسبيح والتحميد[2] والتمجيد فى مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم، يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى، يقاتلون فى سبيلى صفوفًا، ويصلون لى قيامًا وركوعًا وسجودًا، ويكبرون على كل شرف، رهبان الليل أسد النهار، ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

ومنه ما روى أن عليًا رضى الله عنه نزل إلى جانب دير فأتاه قيم الدير فقال: يا أمير المؤمنين! إنى ورثت من أبى كتابًا قديمًا كتبه أصحاب المسيح عليه السلام فإن شئت قرأته عليك. قال: نعم، هات كتابك، فجاء بكتاب فيه: الحمد لله الذى قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، يبعث فى الأمبين رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الجنة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون لله فى كل هبوط ونشر وصعود، تذلل ألسنتهم بالتكبير والتهليل، وينصر دينهم على كل من ناوأه[3].

وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً جاء إلى كعب الأحبار[4] من بلاد اليمن فقال له: إن فلانًا الحبر اليهودى أرسلنى إليك برسالة، فقال كعب:

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس فى المخطوطة.

(٢) فى المخطوط: التوحيد.

(٣) ناوأه: عاداه «مرجع سابق».

(٤) كعب الأحبار: هو ابن إسحاق كعب بن ماتع من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم فى زمن أبى بكر، وقدم من اليمن فى دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وأخذ هو الكتاب والسنة عن الصحابة، وتوفى فى خلافة عثمان، وروى عنه جماعة من التابعين مرسلاً، وله شىء فى صحيح البخارى وغيره». . اهـ.
(تذكرة الحفاظ - الإمام الذهبى ج ١ ص ٥٢ - ترجمة ٣٣ . له ترجمة وافية فى حلية الأولياء - لأبى نعيم الأصبهانى ج ٥ ص ٣٦٤ ترجمة ٣٢٥).

هاتها، فقال الرجل: إنه يقول لك: ألم تكن فينا سيدًا شريفًا مطاعًا فما الذى أخرجك من دينك إلى دين أحمد؟ فقال له كعب: أتراك راجعًا، قال: نعم، قال: فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك، وقل له يقول لك كعب: بالذى رد موسى إلى أمه، وأسألك بالذى فرق البحر لموسى، وأسألك بالذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها كل شيء: ألست تجد فى كتاب الله أن أمة أحمد ثلاثة أثلاث، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله تعالى، وثلث يحاسبون حاسبًا يسيرًا؟ فإنه سيقول لك: نعم، فقال له: يقول لك كعب: فى أى الثلاثة أجعلنى، وقد علمت أن موسى بن عمران تمنى أن يكون فى أيامه.

ومنه ما روى أن عمر رضى الله عنه قال لكعب الأحبار: أدركت النبى ﷺ فلم تسلم على يده، ثم أدركت أبا بكر وهو خير منى فلم تسلم على يديه، ثم أسلمت فى أيامى! فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ فإنى كنت أتثبت حتى أنظر كيف الأمر فوجدته كالذى هو فى التوراة، قال عمر: وكيف هو فيها؟ قال: رأيت فى التوراة أن سيد الخلق الصفوة من بنى آدم يظهر من جبال فاران من منابت القرظ من الوادى المقدس، فيظهر التوحيد والحق، ثم ينتقل إلى الطيبة فيكون حروبه وأيامه بها، ثم يقبض فيها ويدفن.

قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يأتى بعده الشيخ الصالح، قال عمر: ثم ماذا؟ قال: يموت متبعًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلى بعده القرن الحديد ثم يقتل شهيدًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال: ثم يلى صاحب الحياء والكرم، قال عمر: ثم ماذا؟ قال: ثم يقتل مظلومًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلى صاحب المحجة البيضاء والعدل والسماء صاحب الشرف التام والعلم الجام، قال عمر هذا أبو الحسن، ثم ماذا؟ قال كعب: يموت شهيدًا سعيدًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم ينتقل الأمر إلى الشام، قال: حسبك يا كعب.

وروى عن كعب الأحبار أنه قال: أجد فى التوراة: أحمد عبدى المختار، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة لكن يعفو ويصفح ويغفر، أمته الحمَّادون يحمدون الله تعالى على كل حال، ويسبحونه فى كل

منزلة، ويكبرونه على كل شرف، يأتزرون على أوساطهم، ويوضئون أطرافهم وهم رعاة[١] الشمس، ومؤذنهم ينادى فى جو السماء، وصفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء، رهبان فى الليل أُسْدٌ فى النهار، ولهم فى الليل دوىٌّ كدوى النحل، يُصلون الصلاة حيثما أدركتهم من الأرض، مولده بمكة ومهاجره طابة، ولكن ما يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله الا الله، فيفتح الله به أعينا عُميًا وآذانا صمًا وقلوبًا غُلفًا.

ومنها ما رواه الواقدى عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبا مالك ثعلبة بن هلال ـ وكان من أحبار اليهود ـ فقال: أخبرنى بصفات النبى فى التوراة، فقال: إن صفته فى توراة بنى هارون التى لم تغير ولم تبدل أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبى العربى الذى يأتى بدين إبراهيم الحنيف، يأتزر على وسطه، ويغسل أطرافه[٢]، فى عينيه حُمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، ليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة[٣]، ويجتزىء بالبلغة[٤]، ويركب الحمار، ويمشى فى الأسواق، سيفه على عاتقه ولا يبالى من لقى من الناس معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة، يولد بمكة ومنشؤه وبدء نبوته ودار هجرته يثرب بين لابتى حرة[٥] ونخل وسبخة، وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وهو الحماد يحمد الله على شدة ورخاء، سلطانه بالشام، وصاحبه من الملائكة جبريل، يلقى من قومه أذى شديدًا، ثم يدال عليهم ـ بمعنى تكون له الدولة ـ فيحصدهم حصدًا، تكون الوقعات بيثرب منها له ومنها

---

(١) فى المخطوط: عبادون وهى خطأ.

(٢) يقصد بغسل الأطراف الوضوء.

(٣) الشملة: شُقة من الثياب ذات خَمْلٍ يُتَوشح بها ويُتَلَفح، وغطاء من صوف أو شعر يُتَغطى به ويُتلفف به (ج) شِمَال.. اهـ. (المعجم الوجيز ـ ص ٣٥١).

(٤) البُلغة: ما يكفى لسدِ الحاجة ولا يَفْضُل عنها (مرجع سابق ص ٦٢).

(٥) اللاَّبتان: تثنية لابة؛ وهى الحرّة، وجمعها (لاب) وفى الحديث: «أن النبى ﷺ حرم ما بين لابتيها» يعنى المدينة لأنها بين الحَرَّتين.
(معجم البلدان ـ يا قوت الحموى. ج ٥ ص ٣ ـ نشر دار صادر).

عليه ثـم له العاقبـة، معـه قوم هم أسرع إلى الموت من الماء مـن رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم[1]، وقربانهم دمـاؤهم، ليوث النهـار رهبان الليل[2]، يرعب عدوه منه مسيـرة شهر، يباشر القتال بنفسـه، ثم يخرج ويكلم لاشُرْط معه ولا حرس، الله يحرسه.

ومنه ما روى محمد بن الدّبال عن بعض الأحبار أنه قال: أوحى الله تعالى إلى عيـسى عليه السـلام: يا عيسى اسـمع قولى وأطع أمـرى، أيا ابن الطاهرة البكر البتول، فإنى خلقـتك من غير فحلٍ وجعلتك آية للعـالمين، وإياى فاعبده، وعَلَىَّ فتـوكل، فخذ الكتـاب بقوة، وفَسِّر لأهل سوريا، وأبلغ من بين يديك وأخـبرهم أنى أنا الله البديع الدائم الـذى لا يزول، صدقت النبى الأمى الذى أبعثـه فى آخر الزمان [صاحب][3] الجـمل وصـاحب النسـاء والنسل، الكثـيـر الأزواج، القليل الأولاد، نسله من المبـاركـة التى مـع أمك فى الجنة له منهـا ابنة لهـا فـرخـان[4] يستشهدان، دينه الحنيفية، وقـبلته يمانية، وهو رحمة للعالمين، له حوض من مكة إلى مطلع الشمس، فيه آنية مـثل نجوم السماء وله لون كل شراب فى الجنة وطعم كل ثمار الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ بعـدها، يصف الله قدميه كما تصف الملائكة[5].

يخشع له قلبه، النور فى صدره والحق على لسانه، تنام عيناه ولا ينام قلبه، له تُدَّخر الشفاعة، وعلى أمته تقوم الساعة.

قلت: فدلالته فى القيامة عليه ليشفع للناس فى تعجيل الحساب إنما هو لقوله: له تدخر الشفاعه، فأخبرهم به على علم ووحى من الله.

ومنهـا ما أخبـر به بعض الرهبان لسـائل سأله: أعنـدك فائدة؟ فقـال: نعم يا

---

(١) يقصد بالأناجيل القرآن فهو محفوظ فى صدورهم.

(٢) يقصـد برهبان الـليل؛ لأنهم قوّامـون الليل بطوله؛ فهم يصلـون صلاة الصبـح بوضوء العشاء.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) يقصد بالفرخين الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ.

(٥) يقصد الصلاة ووقوفه بين يدى الله صافًا قدميه.



أعرابى، فقال له: هاتهـا، فأخرج إليه ورقة فيهـا أربعة أسطر ذكر أنها من الكتب المنزلة:

فى السطر الأول منها: يقول الجبـار تبارك وتعالى: أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى.

وفى السطر الثانى: محمد عبدى ورسولى.

وفى السطر الثالث: أمته مؤذنون، أمته الحمادون أمته الحمادون.

وفى السطر الرابع: رُعَاة الشمس رعاة الشمس رعاة الشمس.

ومنه ما روى أن مـعاوية بن أبى سفـيان قال لكعب الأحـبار: دلنى على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمـران لأسمع كلامه معه؟ فـذكر له رجلاً من اليهود باليمن، فأشخصه إليه[1]، فجمع مـعاوية بينهما، فقال له كـعب الأحبار: أسألك بالذى فلق البـحر لموسى عليه السـلام أتجد فى كتـاب الله المنزل أن موسى نظر فى التـوراة، فقال: يا رب إنى أجـد فى التوراة أمـة مرحومـة هى خيـر أمة أخـرجت للناس يأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر، ويؤمنون بالكتـاب الأول ويؤمنون بالكتـاب الآخر، ويقاتلون أهل الضـلال حتى يقـاتلوا الأعور الكذاب[2] فاجعلهم يا رب أمتى؟ فقال الرب عز وجل: هم أمة أحمد، فقال الحبر: نعم أجد ذلك، ثم قال كعب للحـبر: أنشدك بالذى فلق البحر لموسى، أتجـد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فـى التوراة، فقـال: يا رب إنى أجد أمة إذا أشـرف أحدهم على شرف كبَّر الله، فإذا هبط واديا حـمد الله، الصعيد[3] لهم طهور يتطهرون به من الجنابة كطهورهـم بالماء حيث لا يجدون الماء، حـيث كانوا فلهم مسـجد، غرٌّ محجلون من الوضوء فاجعلهم أمتى، قال: هم أمة أحمد! قال: نعم أجد ذلك، ثم قال له كعب: أنشدك بالله الذى فلق البحر لموسى، أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التـوراة؟ فقال: يا رب إنـى أجد فى التوراة أمـة إذا هم أحد منهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها، وإذا عـملها ضعفت له بعشر أمثالها إلى

(١) فأشخصه إليه: أى وصفه إليه بملامحه ليتعرف عليه.

(٢) يقصد المسيح الدجال فإنه أعور العين.

(٣) الصعيد هو التراب.

سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإذا عملها كتبت عليه بسيئة مثلها، فاجعلها أمتى. قال: هم أمة أحمد. فقال الحبر: نعم أجد ذلك.

ومما هو مكتوب فى الكتب السالفة: يأكلون قرابينهم فى بطونهم أى يطعمونها المساكين ولا يحرقونها كما كان غيرهم من الأمم السالفة يفعل ذلك، والمراد بالقرابين الضحايا والهدايا.

وروى عن كعب الأحبار أنه قال: كان لأبى سِفْر من التوراة يُدْخله تابوتًا ويختم عليه، فلما مات أبى فتحته فإذا فيه أن نبيًا يخرج فى آخر الزمان هو خير الأنبياء وأمته خير الأمم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، يكبّرون الله على كل شرف، ويصفون فى الصلاة كصفوفهم فى القتال، قلوبهم مصاحفهم، يأتون يوم القيامة غُراً محجلين، اسمه أحمد وأمته الحمادون، يحمدون الله على كل شدة ورخاء، مولده مكة ودار هجرته طَيْبَة[1]، لا يَلْقون عدواً إلا ولىّ، وبين أيديهم الملائكة ومعهم رماح تحنن الله عليهم كتحنن الطير على أفراخها، يدخلون الجنة تأتى ثُلة[2] منهم يدخلون الجنة بغير حساب، ثم تأتى ثلة منهم بذنوب وخطايا فيغفر لهم، وتأتى ثلة منهم بذنوب وخطايا عظام، فيقول الله تعالى: اذهبوا بهم فزنوهم وانظروا إلى أعمالهم، فيزنوهم فيقولون: ربنا وجدناهم قد أسرفوا على أنفسهم ووجدنا أعمالهم من الذنوب أمثال الجبال غير أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى لا أجعل من أخلص لى الشهادة كمن كفر بى، قال كعب: فأنا أرجو أن أكون من هذه الثلاثة إن شاء الله.

ومنه ما روى أن رجلين جلسا يتحدثان وكعب الأحبار قريب منهما، فقال

---

(١) طَيْبَة: هى اسم لمدينة رسول الله ﷺ، يقال لها: طيبة، وطابة، من الطيب: وهى الرائحة الحسنة لحسن رائحة تربتها فيما قيل، قال الخطابى: لطهارة تربتها، وقال فيها الفضل بن العباس اللهبى:

وعلى طَيْبَة التى بارك الله   عليها بخاتم الأنبياء

(انظر: معجم البلدان ـ لياقوت ـ ج ٤ ص ٥٢).

(٢) الثلة: الجماعة من الناس.

وفى المخطوط: ثلاثة.

أحدهما: رأيت فيما يرى النائم كأن الناس حشروا فرأيت النبيين كلهم لهم نوران، ورأيت لأتباعهم نورًا نورًا، ورأيت محمدًا ﷺ وما من شعرة فى رأسه ولا فى جسده إلا وفيها نور، ورأيت أتباعه ولهم نوران نوران. فقال كعب: اتق الله يا عبد الله وانظر ماذا تحدث به، فقال الرجل: إنما هى رؤيا منام فأخبرت بها، فقال كعب: والذى بعث محمدًا ﷺ بالحق وأنزل التوراة على موسى بن عمران إن هذا لفى كتاب الله المنزل على موسى بن عمران كما ذكرت.

وروى عن وهب بن مُنَبِّه قال: قرأت فى بعض الكتب القديمة، قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لأُنزِلَنَّ على جبال العرب نورًا يملأ ما بين المشرق والمغرب، ولأخرجن من ولد إسماعيل نبيًا أميًا عربيًا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الأرض كلهم مؤمن بى ربًا وبه رسولاً، يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها، قال موسى عليه السلام: سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبى وشرفته، قال الله عز وجل: يا موسى وإنى أنتقم من عدوه فى الدنيا والآخرة وأظهر دعوته على كل دعوة، وسلطانه ومن معه على البر والبحر، وأخرج له من كنوز الأرض، وأذل من خالف شريعته، يا موسى بالعدل ربيته وبالقسط أخرجته، وعزتى لأستنقذن به أممًا من النار، فتحت الدنيا بإبراهيم وختمتها بمحمد، مثل كتابه الذى يجىء به ـ فاعقلوه يا بنى إسرائيل ـ كمثل السقاء المملوء لبنا يمخض فيخرج زبدًا، بكتابه أختم الكتب وبشريعته أختم الشرائع، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل فى شريعته فهو من الله برىء، أجعل أمته يبنون فى مشارق الأرض ومغاربها مساجد إذا ذكر اسمى فيها ذكر اسم ذلك النبى معه لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول.

ومنه ما روى معمر عن الزهرى أنه قال: استحضرنى هشام[1] بن عبد الملك إلى الشام فلما كنت بالبلقاء[2] وجدت حجرًا مكتوبًا عليه بالخط العبرانى، فطلبت من

---

(١) ساقطة من المخطوط.

(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل، وذكر هشام بن محمد عن الشرقى بن القطامى أنها سميت البلقاء لأن بالق من بنى عمان بن لوط ـ عليه السلام ـ عمرها. =

يقرأه، فـأُرْشِدْتُ إلى شيخ، فـانطلقت به إليه، فـضحك، فقلـت: مم تضحك؟ قال: أمر عجيب مكتوب على هذا الحجر: باسمك اللهم جاء الحق من ربك لسان عربى مبين، لا إله إلا الله، محمد رسول الله وكتبه موسى بخط يده.

ومنه ما روى عن عبد الله بن عبـاس رضى الله عنهما أن كتاب رسول الله ﷺ لما بلغ قيـصر ملك الروم جـمع بطاركته وعظمـاء دينه وعرض عليـهم الإسلام، فأنكروا ذلك إنكارًا شـديدًا، فقال لهم: إنما أردت إخـباركم فقـد علمت حفظكم لدينكم، فقـام راهب كان عظيم القـدر فيهم فـقال أيها الملك إنـك لتعلم أن هذا العربى العظيم هو النبى الـذى بشر به عيسى، وأنه راكب الجـمل الذى يجىء بعد راكب الحمار[1]، وذكر كلامًا طويلاً فى هذا الفن ثم إنه شهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدًا رسول الله، فوثب إليه القـوم فقطعوه بسيوفـهم، وفى رواية أخرى أنه لما ناوله دُحية الكتاب الذى بعـثه معه رسول الله ﷺ إليه قبل خـاتمه فضة وقرأه، ثم وضعه على وسادة أمامه، ثم دعا بطارقته وزعماء دينه فقام فيهم على وسائد بنيت له ـ وكذلك كـانت ملوك الفرس والروم إنما توضع لهم وسائد ـ ثم خطبـهم فقال لهم: هذا كتاب النبى الذى بشَّرنا به عيسى بن مريم وأخبر أنه من ولد إسماعيل، فنخروا نخـرة عظيمة وصاحوا، فـأومأ إليهم بيده أن أمـسكوا، إنما جربتكم لأرى كيف عصبـتكم على دنيكم ونصركم له، فصرفهم، ثم استـدعانى من الغد وخلا بى وآنسنى بحديثه، ثم أدخلنى بيتًا عظيمًا فيـه ثلثمائة وثلاثة عشر صورة فإذا هى صور الأنبيـاء والمرسلين فقال: انظر لى من صاحـبك من هؤلاء؟ فنظرت فإذا هى صورة النبـى كأنما تنطق، فقـلت: هو هذا. قال: صدقت، ثـم أرانى صورة عن يمينه فقال: من هذا؟ فقلت: هذه صورة رجل من قومه اسمه أبو بكر، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره فقلت هذه صورة رجل من قـومه يقال له عمر، فقال: إنا نجد فـى الكتاب أن بصـاحبـيه هذين يتم الله أمـره، فلما قـدمت على النبى ﷺ

= وقال قوم: وبالبلقاء مدينة الشراة، شراة الشام أرض معروفة وبها الكهف والرقيم.

وأما اشتقاقها: فهى من البَلَق وهى سواد وبياض مختلطان (انظر لمزيد من الاطلاع: معجم البلدان ـ لياقوت الحموى ـ ج ١ ص ٤٨٩).

(١) راكب الحمار هو السيد المسيح عليه السلام.

أخبرته فقال: صدقت وصدق، بأبى بكر وعمر يتم هذا الأمر.

ومنه ما روى عن حكيم بن حزام أنه دخل الشام بتجارة قبل أن يسلم، ورسول الله ﷺ بمكة، فأرسل قيصر إلينا فجئناه ومعنا أميه بن أبى الصلت الثقفى، فقال: من أى العرب أنتم وما قرابتكم من هذا النبى الذى أرسل فيكم؟ فقال حكيم: أنا ابن عمه يجمعنى أنا وإياه الأب الخامس، فقال: هل أنتم صادقىّ فيما أريكموه وأسألكم عنه وأعرضه عليكم؟ فحلفنا له وأعطيناه من المواثيق ما أرضاه، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله ﷺ فأخبرناه بها، ثم نهض واستنهضنا معه، فأتى كنيسة فى قصره فأمر بفتحها، فدخل ونحن معه، وجاء إلى ستر فأمر بكشفه فإذا صورة رجل فقال: أتعرفون من هذه صورته؟ قلنا: لا. قال: هذه صورة آدم عليه السلام، ثم تتبع أبوابًا يفتحها وكشف لنا عن صور الأنبياء عليهم السلام ويقول لنا: هذا صاحبكم - عن كل صورة -، فنقول: لا، حتى فتح بابًا وكشف لنا عن صورة محمد ﷺ فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، هذه صورة صاحبنا، فقال: أتدرون منذ كم صورت هذه الصورة؟ قلنا: لا، فقال: منذ أكثر من ألف سنة وإن صاحبكم نبى مرسل فاتبعوه ولوددت أنى عنده فأشرب ما يغسل به قدميه.

وفى رواية أخرى عنه أن الذى أراه الصور عظيم الأساقفة وأنه رأى صورة محمد ﷺ، وإذا صورة أبى بكر وهو آخذ بعقب النبى، وإذا صورة عمر وهو آخذ بعقب أبى بكر، فقال: هل رأيت صاحبك؟ قلت: نعم هو، فقال: أتعرف الآخر الآخذ بعقبه؟ قلت: نعم هو ابن أبى قحافة، قال: وهل تعرف الآخذ بعقبه؟ قلت: نعم هو ابن الخطاب، فقال: أشهد أن هذا رسول الله وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا.

ومنه ما روى أن يهوديًا قال لعبد المطلب: يا سيد البطحاء[1] إن المولود الذى كنت حدثتكم به وُلِدَ البارحة، فقال عبد المطلب: لقد وُلد لى البارحة غلام، قال اليهودى: فما سميته؟ قال: سميته محمدًا، فقال: هذه ثلاثة يشهدون على نبوته

---

(١) البطحاء: الأبطح وهو المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار (المعجم الوجيز ص ٥٤).

إحداهن: أن نجمه طلع البارحة، والثانيـة: أن اسمه محمد، والثالثة: أن يولد فى حياة خيار قومه، وأنت يا عبد المطلب صبابتهم ـ وصبابتهم: خالصتهم ـ وحميمهم وخيارهم.

ومنه ما روى أبو البـختـرى عن بعض بنى قُريظة أنه قال لجلسـائه: أتدرون ما سبب إسلام ثعلبة بن سعيد وأسَيْد بن سعيد وأسد بن عبيد؟ قالوا: لا، قال: قدم علينا رجل من يهود الشـام يقال له الهيبـان فحلٌ [١] بين ظهرانينا فـما رأينا رجلاً يصلى الخمس كان أفضل منه، وكنا إذا قحطنا سألناه يسـتسقى لنا، فيأمر بإخراج صدقة فنخرجها، ثم يظهر بنا إلى ظاهر حرّتنا فيستسقى لنا، فما يبرح مكانه حتى يطلع السحاب ونُسقى، فلمـا حضرت وفاته قال: يا معشـر اليهود ما تظنون الذى أخرجنى من أرض حمير[٢] إلى أرض الجـوع؟ قالوا: أنت أعلم، قـال: إنى إنما قدمت هذا البلد لأنى كنت أنتظر خروج نبى قد أظل زمانه فلا يسبقنكم إليه أحد، يا معشر اليهود إنه يبعـث بسفك الدم وسبِّى الذرية والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه. فلما بُعث النبى قال هؤلاء النفر ـ وكـانوا شبابًا ـ: يا بنى قريظة إن هذا النبى الذى عهـد إلينا فيه الهيبـان ما عهد، قـالوا: لا ليس به، فنزل هؤلاء النفر فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم.

ومنه مـا روى أن حسـان بن ثابت قـال: والله إنى لعلى أطم[٣] فى السـحر إذ سمعت صوتًا لم أسمع قط أنفذ منه، فإذا صوت يهودى على أطم من آطام اليهود معه شعلة نار، فاجتمع الناس وأنـكروا صوته، وقالوا: مالك ويلك! قال حسان: فسمـعته ينادى يقول: هذا كوكب أحـمر وهو لا يطلع إلا بالنبوة، ولم[٤] يبق من الأنبياء إلا أحمـد. قال حسان: فجعل الناس يضحكون مـنه ويعجبون لما أتى به، وكان أبو قيس قد ترهـب ولبس المسوح، فقيل له: انظر فيمـا قاله هذا اليهودى،

(١) الفحل: الذكر القوى من كل حيوان، والمقصود أنه أقوى رجل بين أظهرنا.
(٢) حِمْيَر: بالكسر ثم السكون وياء مفـتوحة وراء، قال ابن ابى الدمنة الهمذانـى: حمير بن الغوث بن سـعد ومنازلهم باليمـن بموضع يقال له حمـير غربى صنعـاء، وهم أهل غُتْمة ولُكْنة فى الكلام الحميرى. . اهـ. (معجم البلدان ـ ياقوت الحموى ـ ص ٣٠٧ ـ ج ٢).
(٣) الأطم: الحصن (ج) آطام.
(٤) فى المخطوط: لا.

قال: صدق إن انتظاره هو الذى فعل بى ما ترون ولعلى أدركه فأومن به، فلما بلغه ظهور النبى بمكة جاء له وآمن به ﷺ.

ومنه ما روى أن صفية بنت حُيى بن أخطب قالت: كنتُ أحبّ الناس عند أبى وعمى فأتيا النبى بقباء ثم رجعا من عنده ثقيلين لا يلتفتان نحوى ولا ينظران إلىّ، فسمعت عمى يقول لأبى: هل تعرفه؟ قال: نعم، قال: فماذا عندك فيه؟ قال: عداوته آخر الزمان، قال عمى لأبى. أنشدك بالله أن تطيعنى يا أخى فى هذا ثم اعصنى فيما سواه، هلم نتبعه، فقال أبى: لا والله ولا أزال له عدوًا، فقال عمى: إنك تهلكنا وتهلك نفسك إن هذا نبى السيف، وجعل عمى يكلمه وهو يأبى إلا كلامه الأول، قالت صفية: فلما جاء الليل وجدت نسوة من بنى النضير جالسات يقلن: والله ما أحسن حيى بن أخطب بخلافه لأخيه وإنا لنعلم أن هذا نبى مذكور فى الكتب، وقالت عجوز منهن: سمعت أبى يقول لأخوتى: إن نبيًا من العرب يقال له أحمد، مولده بمكة ودار هجرته يثرب، وهو خير الأنبياء، فإن خرج وأنتم أحياء فاتبعوه، قالت صفية: وإذا كلهن يزرين على أبى وينعين فعله، قالت: فلما تزوجنى رسول الله ﷺ جعلت أحدثه بذلك ويتعجب.

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: خرجت إلى اليمن بتجارة فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب، وأتى عليه من السنين ثلثمائة وتسعون سنة، فلما تأملنى قال: أحسبك حرميًا؟ فقلت: نعم، فقال: أحسبك تيميًا؟ فقلت: نعم، قال: بقيت لى فيك واحدة، قلت: ما هى؟ قال: اكشف لى عن بطنك، قلت: لا أفعل أو تخبرنى لم ذاك؟ قال: إنى أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيًا يبعث فى الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل، فأما الفتى فجواص غمرات[1] وكشاف معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة، فما عليك أن ترينى ما خفى، فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرّتى، فقال: أنت هو ورب الكعبة، ثم قال له: إياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق المثلى وخف الله عز وجل فيما أعطاك وخولك، قال: فقضيت فى اليمن أربى ثم أتيت الشيخ أودعه فقال: أحمّالاً أنت منى هذه الأبيات

(١) الغَمْرَة: الماء الكثير و: الشدة (ج) غمرات (المعجم الوجيز ص ٤٥٤).

إلى ذلك النبى؟ قلت: نعم، فأنشأ يقول أبياتًا منها:

ألم تر أنى قد سئمت معاشرى ... ونفسى وقد أصبحت فى الحى راهنا
حييت وفى الأيام للمرء عبرة ... ثلاث مئين ثم تسعين آمنا
فصاحبتُ أحبارًا أبادوا بعلمهم ... غياهبَ جهلٍ ما ترى فيه طابنا
وكلهم لما تعطشتُ قال لى ... بأن نبيًا سوف تلقاه دائنا
بمكة والأوثان فيها عزيزة ... فيركسها حتى تراها كزامنا
فلا زلت أدعو الله فى كلِّ حاضرٍ ... حللت به سرًا وجهرًا معالنا
فحيى رسول الله عنّى فإننى ... على دينه أحيا وإن كنت راهنا
عليه سلام الله ما ذرّ شارق ... فألق مضحاكًا من النور هاتنا

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: فحفظت وصيته وشعره، وقدمت مكة، فجاءنى أبو جهل بن هشام وأبو البخترى وعقبة بن أبى معيط ورجالات قريش مُسَلِّمين، فقلت: هل حدث أمر؟ فقالوا: حدث أمرٌ عظيم، هذا محمد بن عبد الله يزعم أنه نبى أرسله الله إلى الناس ولولا أنت ما انتظرت به، فأظهرت تعجبًا وصرفتهم، وذهبت أسأل عن رسول الله ﷺ فقيل لى هو فى منزل خديجة، فقرعت الباب عليه، فخرج إلىّ، فقلت: يا محمد، فقدت من نادى قومك وتركت دين آبائك؟! فقال: يا أبا بكر إنى رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فآمن بالله، قلت: وما آيتك؟ قال: الشيخ الذى لقيته باليمن الذى أخبرك عنّى وأفادك الأبيات؟ قلت: ومن أخبرك؟ قال: الملك الذى كان يأتى الأنبياء قبلى، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فانصرفت وما أحد أشد سرورًا من رسول الله بإسلامى.

وبالجملة: فقد شهد برسالته الهواتف من الجان وسطيح وسائر الكهان مثل: شافع بن كليب، وشق، وسطيح، وسواد بن قارب، وخناقر نجران، وجدل بن جدل الكندى، وابن خلص السورى، وسعد بن أبى بنت كريز، وفاطمة بنت النعمان، وما سُمع من الأصنام ونطقت به هواتف الجان ووجد مكتوبًا على الحجارة المدفونة بالقلم الأول والخط القديم، وما ظهر عند مولده من الآيات مما

حكته أمه والنسوة الشقاة؛ من رفع بصره إلى السماء حين بروزه وتدلّى النجوم ونورٌ معه أضاءت به قصور الشام حتى ملأ الأرض، وارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته، وخمود النيران، وحراسة السماء بالشهب، وكل ذلك من خصوصياته إذ لم يبد لنبى قبل الولادة الإعلام به وعندها ماله من الآيات.

قال البوصيرى:

بَعَثَ الله عند مَبْعَثه الشُّهـ ـب حُرَّاسًا وضاق عنها الفضاءُ

تطردُ الجنّ عن مقاعدَ للسـ ـمع كما تطرد الذئابُ الرِّعاءُ

فَمَحَتْ آيةُ الكهانةِ آيا ت من الوحى ما لهنَّ انقضاءُ

ففى هذه النبذة من التصريح بنبوته والشهادة برسالته ما فيه كفاية لمن سبقت له العناية.

* * *

القسم الثانى

فى آياته عليه السلام الباهرة للعقول
الشاهدة من الله بأنه النبى الرسول

اعلم أن بعض العلماء ذكر أن له ﷺ ألف معجزة فمنها أنواع المغيبات التى من ضمنها ما أخبر به مما مضى فى العصور المتقادمة من شأن آدم وحواء ومن بعدهم مثل شيث وإدريس ونوح وإبراهيم ويوسف والأسباط وموسى والمسيح وذكر مشاهير الملوك الجبابرة والفراعنة وما اتفق للأنبياء معهم وكان عربيًا أميًا لا يحسن الكتابة ولا القراءة ولا سمع كتابًا قط ولا رُبى بين أقوام علماء فقهاء يعلمون ذلك بل نشأ بأرض قفراء[1] منقطعة الأطراف عن العمران فوافق خبره ما فى صحف الأولين، ومن ذلك: ما أخبرنا أنه سيقع بعد موته فوقع كما أخبر ذلك مُودَع فى كتابه[2] وسنته، وقال: أوتيت القرآن ومثله معه يريد سنته، وسيأتى فى ذلك مزيد بيان وتفصيل.

وقد اشتهر عند أهل التواتر[3] أنه كان عليه الصلاة والسلام أميًا عربيًا ناشئًا بقوم لا علوم لهم، وبأرض لا معارف فيها ولا كتب، فلم يفجأهم أن تلا عليهم كتابًا من الله فيه مائة وأربعة عشر سورة، وقد قال لهم: آية صدقى أنه من جاء منكم بعشر آيات أو بآية من مثله فلست صادقًا فى أن الله أرسلنى، وهم فرسان ميدان الفصاحة ومالكو أزِمّة البلاغة، فأحجموا ولم يقدموا، وأصموا ولم يتكلموا، هذا مع تقريعهم إن لم يأتوا بمثله وسبّ آلهتهم وتسفيه أحلامهم وإظهار تعجيزهم على الملأ نيفًا وعشرين سنة، ومن بعد وفاته إلى هلم نحو تسعمائة واثنين وأربعين سنة.

---

(١) فى المخطوط: قفار.

(٢) يقصد بكتابة القرآن الكريم.

(٣) التواتر: واتر الشىء: تابعه. والمتواتر من الخبر أو الحديث: ما رواه جمع لا يخشى تواطؤهم على الكذب. (المعجم الوجيز ـ ص ٦٥٩).

وقد أخبر أنهم لا يأتون بمثله فكان كما جزم وختم، فكلما زادهم تقريعًا زادهم خضوعًا وذلاً، فبذلوا نفوسهم وسبوا أولادهم، وأحلوا دماءهم وأموالهم، فلم يقدروا على الفداء من ذلك بإتيان سورة مثله، وبالجملة فأمره عجيب، وأسلوبه غريب، نطق فيه بالمغيبات وذكر ما هو آت فكان، كما ذَكَرَ على الوجه الذى أخبر؛ كدخول المسجد الحرام آمنين، واستخلاف المستضعفين فى الأرض والفتح والتمكين فى الدين، وهذا القدر كاف فى إثبات النبوة والرسالة وإيضاح الدلالة، لكن تأيد بعد ذلك بمعجزات عظيمة وآيات؛ فمنها انشقاق القمر فرقتين لَمَّا سُئِل أن يأتى بآية، قال ابن مسعود: ولقد رأيت الجبل بين فرقتى القمر فقال عليه الصلاة والسلام: «اشهدوا» وقد شهد بذلك الكتاب العزيز بقوله: **﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾** [القمر: ١].

وجاء الناس من الآفاق فأخبروا بانشقاق القمر، فقال الكفار هذا سحر مستمر.

ومنها: حبس الشمس له إذ كان يوحى إليه ورأسه فى حِجْر عَلِىّ فلم يُصَلِّ العصر حتى غربت الشمس، فقال: «أصليت العصر يا عَلِىّ؟» قال: لا، فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» فقالت أسماء: فرأيتها غربت ثم طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال، وذلك بخيبر والصهباء[1].

ومنها: نبع الماء العذب من بين أصابعه لما حانت الصلاة فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى عليه الصلاة والسلام بوضوء فوضع يديه فى الإناء فتوضئوا عن آخرهم، وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل.

وعطشوا يوم الحديبية وبين يديه رِكْوَة فتوضأ بها، وأقبل الناس نحوه فقالوا له: ليس عندنا إلا ما فى ركوتك، فوضع يده فيها فجعل الماء يفور كأمثال العيون، فقيل للراوى: كم كنتم؟ فقال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

ومنها: لما عُدموا الماء فى سفر فوجدوا أعرابية معها قربتا ماء، فأسقى الجيش وملأ كل إداوات السفر، والقربتان بحالهما لهم ينقصا، ثم زودها وأحسن إليها

(١) الصهباء: بلفظ اسم: الخمر وسميت بذلك: لصهوبة لونها، وهو حمرتها أو شقرتها، وهو اسم موضع بينه وبين خيبر رَوْحة.. اهـ. (معجم البلدان لياقوت ص ٤٣٥ ـ ج٣).

وردّ عليها قربتيها. وقال لها: إنما سقانا الله تعالى، وذلك سترا للحال وإلا فَمَنْ نَبَعَ الماء من بين أصابعه كأمثال العيون فينبع الماء فى قبضته حيث يكون من غير احتياج إلى تلك القضية، لكنه أراد بذلك الإحسان وبذل المعروف لتلك الأعرابية.

وبالجملة: فالأحاديث فى مثل ذلك كثيرة، نذكر من كل صنف نبذة يسيرة، فهذه أعجب من نبوة سيدنا موسى إذ كان ينبع الماء من حجر لقومه فَنَبْعُ الماء من اليد أعجب.

ومن معجزاته: كلام الشجر وتسليم الحجر، فالشجر يسعى إليه، ويشهد له بالرسالة بين يديه، والحجر يسلم عليه.

وقد قلت:

تحنُّ باغصانها لتستره   حُنو أهل النُّهى على الولد
وما استجابتْ من قبله أبدًا   على ممر المدى إلى أحدِ

قد شهد له بالرسالة الضب والجمل والذئب والغزالة ولم يشهدوا قبله لأحد من الأنبياء بها إلا له عليه الصلاة والسلام، قال ابن عمر رضى الله عنهما: كنا فى سفر فدنا منا أعرابى فقال له رسول الله ﷺ: إلى أين تريد؟ فقال: إلى أهلى. قال: أدلك على خير، قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله، قال: من يشهد لك؟ قال: هذه الشجرة التى بشاطىء الوادى، قال: ادعها، فأقبلت الشجرة تَخد(١) الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها النبى ﷺ فشهدت لله ورسوله بأن قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم رجعت إلى مكانها.

وقال بُرَيْدة، سأل أعرابى النبى ﷺ آية فقال له: قل لتلك الشجرة: [رسول الله يدعوك، قال: ففعلت، فمالت الشجرة](٢) عن يمينها وعن شمالها وبين يديها وخلفها، ثم جاءت تَخدّ الأرض حتى وقفت بين يدى النبى ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله، فقال الأعرابى: مرها فلترجع إلى موضعها، فأمرها فرجعت

(١) خَدَّ الأرض: خدًا، حفرها. يقال: خَدّ السيل الأرض (المصدر سابق ص ١٨٦).
(٢) سقطت الجملة بتمامها من الناسخ.

حتى استوت بمكانها كما كانت، فقال الأعرابى: مرنى أن أسجد لك، فأبى عليه رسول الله ﷺ.

وفى الصحيح عن جابر بن عبد الله فى حديثه الطويل: ذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فلم يجد شيئًا يستتر به فإذا بشجرتين بشاطىء الوادى، فأخذ بغصن إحدى الشجرتين وقال: انقادى بإذن الله تعالى، فانقادت معه كالبعير الذلول، وفعل بالأخرى مثل ذلك، ثم قال: إلتئما عَلَىّ بإذن الله تعالى، فالتأمتا، وفى رواية أخرى: قال: يا جابر اذهب فقل لهذه الشجرة تلحق بصاحبتها، فخرجت حتى لحقت بصاحبتها، فجلس خلفهما فقضى حاجته، وكذلك حكى أسامة بن زيد عن النخلات والحجارة أنه دعاهن إلى رسول الله ﷺ فأقبلن حتى قضى عليه السلام حاجته ثم رجعن يتعادين إلى أماكنهن.

وقال يعلى بن مرة: رأيت شجرة من الطلع جاءت فأطافت برسول الله ﷺ ثم رجعت إلى منبتها، فقال عليه الصلاة والسلام: إنها استأذنت فى السلام.

قال ابن فورك: بينا رسول الله ﷺ سائر ليلاً اعترضت له شجرة فانفرجت له نصفين حتى دخل بينهما ومَرّ وبقيت السدرة على حالها، وذلك بالطائف، وهى تعرف بسدرة النبى ﷺ تحترمها الناس.

فالنبى ﷺ دعا الأشجار فأجابت وشهدت، والمسيح قصد شجرة فلم يجد فيها ما قصده فدعا عليها فيبست، فقد حقق الله دعوتيهما؛ لكن دعاؤه ﷺ دعاء الرحمة ودعاء المسيح دعاء النقمة.

وقد تقدم حنين الجذع لفراقه حتى ارتجّ المسجد بخواره، وفى رواية: حتى تَصَدَّع وانشقّ حتى وضع يده عليه وقال له: اسكت، فسكت. وفى رواية: لولا التزمته لم يزل هكذا تحزنًا على رسول الله ﷺ.

وحكى الإسفراينى أنه ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ دعاه إلى نفسه، فجاء يخترق الأرض، فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه. وقد بلغ حديث حنين الجذع مبلغ التواتر.

ومنها: تسبيح الطعام بين يديه، قال الصحابة رضى الله عنهم: كنا نسمع تسبيح الطعام بين يدى رسول الله ﷺ وهو يأكل.

ومنها: تسبيح الحصى فى يديه، قال أنس: أخذ رسول الله ﷺ كفًا من حصى فسبحن فى كفه حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن فى يدى أبى بكر فسبحن، ثم فى يد عمر فسبحن.

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

وقال جابر بن عبد الله: لم يكن رسول الله ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له.

[وفى حديث العباس بن عبد المطلب إذ اشتمل عليه النبى وعلى](١) أهل بيته بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته، فأمَّنت أسكفة الباب وجدران البيت.

وكل هذا النطق مما لا ينطق ولا يقبل النطق إنما هو باكتساب حياة للنطق إذ من شرط النطق الحياة، وهو أعجب إذ كان من غير آلة النطق، وذلك لما كان عليه الصلاة والسلام أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء، وكتابه معجز الإنس والجن عن الآتيان بمثل سورة منه لأنه فى أعلى طبقات [البلاغه](٢)، كان من معجزاته أن نطق له بالرسالة كل شىء مما لا يقبل النطق، فشهد له بالحق المبين، وليس ذلك لأحد غيره من الأنبياء والمرسلين.

ومنها: سجود الأشياء له تعظيمًا، قال بُحيرَا الراهب حين رأى رسول الله ﷺ: هذا سيد البشر يبعثه الله رحمة للعباد، فقال أشياخ من قريش: ما علمك بذلك يا بحيرا؟ فقال: إنه لم يبق شجر ولا مدر إلا سجد له وخرَّ بين يدية ولا يسجد إلا لنبى.

وقال أنس: دخل رسول الله ﷺ حائط رجل من الأنصار هو وأبو بكر وعمر وفيه غنم فسجدت له، فقال له أبو بكر: نحن أحق بالسجود لك منها يا رسول الله.

---

(١) سقطت من الناسخ.

(٢) ساقطة من الأصل وأثبتناها لاتمام العبارة.

وفى حديث آخر: أن النبى ﷺ دخل حائطًا فجاء بعير فسجد له.

ومن خصوصياته: أيضًا عليه الصلاة والسلام: إظلاله بالغمامة إذ كانت تظله من الشمس.

ومن خصوصياته ﷺ: أنه رأى شجرة فأراد الجلوس فى فيئها، فلما دنا منها وجد القوم قد سبقوه إلى الفىء، فجلس، فمال الفىء[1] إليه.

ومن خصوصياته: أنه إذا مشى فى الشمس والقمر كان لا ظل له لأنه نور والنور لا فىء له أو لإكرام ظله أن يقع على الأرض.

وكان لا يسقط الذباب على جسده وثيابه.

وكان عرقه أذكى من المسك الأذفر.

وكان إذا مشى مع القصير طاله ومع الطويل ساواه.

وكان ضحكه التبسم ومشيه الهوينا كأنما ينحط من صببٍ[2]، وكذلك من مزاياه وخواصه بين كتفيه خاتم النبوة.

وكان أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من هيبته، ورآه أعرابى فأرعد فقال له: خفض عليك فإنما أنا ابن آمرأة من قريش كانت تأكل القديد، أو كما قال كعب ابن زهير:

لقد أقيم مقامًا لو يقوم به　　　أرى وأسمع ما لم يسمع الفيلُ
لظلّ يَرْعَدُ إلا أن يكون له　　　من الرسولِ بإذن الله تنويلُ

لم يعرف صفته من أصحابه إلا أنس بن مالك وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ـ لأنه رباهما صغيرين ـ وأم معبد لأن هيبته تمنع عن تحقق رؤيته ﷺ.

مفرد:

له هيبة لولا تبسم ثغره　　　وحسن مُحَيَّاه لَشُقَّتْ مَرائِرُ

وللبوصيرى:

وتخالُ الوجوه إن قابلتهُ　　　ألبَسَتْهَا ألوانها الحِرْبَاءُ

---

(١) الفىء: الظل.

(٢) كأنه ﷺ نزل وانحدر من مكان عالٍ.



وإذا شمت وجهه ويداه | أذهلتك الأنوارُ والأنواءُ

ومنها: تزلزل الجبل من هيبته حتى قال: اسكن حراء فإنما عليك نبى وصديق وشهيد.

قال ابن عمر قرأ رسول الله ﷺ على المنبر: ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ [الأنعام: ٩١].

ثم قال: «يُمجد الجبار نفسه فيقول: أنا الجبار أنا الجبار أنا الملك الغفار» فرجف المنبر حتى قلنا ليخر عنه.

ومنها: سقوط الأوثان بإشارته من حول البيت وكانوا ثلاثمائه وستين صنمًا مثبتة الأرجل بالرصاص، فلما دخل المسجد عام الفتح جعل يشير إليها بقضيب كان فى يده ويقول: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا**﴾ فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع على قفاه، وإلى قفاه إلا وقع على وجهه.

وكان ينظر من خلفه كما ينظر أمامه.

وقلت:

إذا ما ضحا محا نوره الظِّل | وإذا مَالَ ظَلَّلته غَمَامَهْ
وإذا ما كرامة قد تبدت | فمن مُعجزاته تلك الكرامهْ
من يُصلى أو من يُسلم عليه | ردَّ فى قبرِه الشريف سلامهْ
صلِّ يا خالقى عليه وسلِّم | كل آنٍ إلى يومِ القيامهْ

وقد تقدم إيمان الضب به وشهادة الغزالة والذئب وكل ذلك من خصوصياته ﷺ.

ومنها: أن ناقته بعد وفاته لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت غمًا.

وجاء أن حماره يعفور بعد وفاته جاء إلى بئر فرمى نفسه فيها.

ومن خصائصه ﷺ: أنه أرسل رسلاً إلى الملوك يدعونهم إلى الدين والإيمان بالله فخرجوا متوجهين وأصبحوا فى يوم واحد وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين أرسل إليهم.

ومن خصائصه ﷺ: أن أبا جهل قطع يد معوذ بن عـفراء يوم بدر، فجاء إلى رسول الله ﷺ يحمل يده، فبصق عليها ولصقها فلصقت وصَحّت.

ومن خصائصه ﷺ: أنه انكسـرت سـاق على بن الحكم يوم الخندق، فتـفل عليها رسول الله ﷺ فبرأ مكانه، ولم ينزل عن فرسه.

وأصيب شق حبيب بن ساعده بن يساف يوم بدر حتى مال فرده رسول الله ﷺ بيده ونفث عليه فبرأ.

ومنها: أنه كان فى كف شرحبيل الجعفى سَلْعَة تمنعه القبض على السيف وعنان الفرس، فشكاها إلى رسول الله ﷺ، فما زال يمسحها بكفه المباركة حتى رفع كفه وقد زالت ولم يبق لها أثر.

ومنها: أنه سألتـه جارية طعـامًا ـ وهو يأكل ـ فأعطاها من يده، وكـانت قليلة الحيـاء فقـالت: إنما أريد من الذى فى فـيك، فأعطاها من فـيه ـ ولم يكن علـيه الصلاة والسلام يسأل شيئًا فيمنعه ـ فلما استقر فى جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينه أشد حياءً منها ببركة رسول الله ﷺ.

ومنها: لما كان يوم أحـد أصيـبت عين قتـادة حتى وقـعت على وجنتيـه فردَّها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه.

ومنها: أنه أبرأ علة الاستسقاء بقبضة من تراب الأرض تفل عليها وأرسلها لابن مُلاَعِب الأسنة مع رسوله، فأخـذها متعجبًا يرى أنه قـد هزىء به، فأتاه بها وهو على شفا، فشربها، فشفاه الله تعالى.

ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد فى نحره فتفل عليه رسول الله ﷺ فبرأ.

وتفل على ضربة بساق سلمة بن الأكوع وفى عين علىّ رضى الله عنه وقد كان أرمد فبرئت من وقتها.

وفى ذلك قلت:

وبتفلةٍ صارت تبوك حديقـة	لما بها قد فاض ماء العينِ
كم أبرأت عينًا وكم عين بها	رُدّت كما هو قُرَّة العينينِ
وإذا مشى فى الرملِ لا أثر له	لما يُخص براحة القدمينِ

وإذا مشى فى الصخر لأنَ لمسّه فله المفاخر فى كلا الحالينِ

ومن خصائصه ﷺ: ما بدا فى مولده من المعجزات الباهرات والآيات البينات؛ من خمود النيران، وإضاءة الأكوان، وارتجاج الإيوان[1]، وسقوط الشرفات وظهور الآيات، وتدلى النجوم، وتجلى الحى القيوم، وظهور قصور الشام، وسقوط الأصنام.

وقد قال البوصيرى:

ليلة المولد الذى كان للدّ ين سرور بيومهِ وازدهاءُ
يوم نالتْ بوضعه ابنةُ وهبٍ من فَخَارٍ ما لم تنلهُ النساءُ
وأتتْ قومها بأفضل ممَّا حملتْ قبلُ مريمُ العذراءُ
وتدلت زُهْرُ النجومِ إليهِ فأضاءتْ بضوئها الأرجاءُ

وقلت:

تدلَّت إنْ كان مِنْ نور وجهه سَنَاها ومِنْ نورِ النبى ضِياهَا
فما الشمس ـ وهى الشمس ـ إلاّ جماله تجلّى فأبدى نورها وسَنَاهَا
فهذى نجوم الأفق ألقت بنفسها بمولدهِ كى يستقر ولاها
وتجعل مرمى للشياطين بعد ذا وتكسب منه نورها وهُدَاهَا
أضاءت به الأرجاءُ فيه إشارة إلى أنه يُرجى لدفع بَلاَهَا
ويكسبها نورًا ومجدًا ورحمةً ويدفع عنها غيّها وعَمَاهَا

وأما إجابه الله سبحانه لنبيه ﷺ دعاءه فباب متسع جداً.

فمن ذلك: فى استهلال الغيث والاستسقاء ورفعه، ولأم أبى هريرة ـ وقد نالت منه ـ فأسلمت من ساعتها، وقصتها مشهورة.

وشكا إليه أبو هريرة النسيان وقلة الحفظ فأمره ﷺ ببسط ثوبه، وهو يحدث، فلما فرغ من حديثه ضم الثوب إلى نفسه، قال: فما نسيت شيئًا سمعته بعد، وهذا دون عناء وتضرع.

---

(١) يقصد به: تَصَدُّع إيوان كسرى أنوشروان.

ودعا على مُضَر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لها فسقوا وأخصبوا.

ودعا على كسرى أن يمزق ملكه ففعل الله به ذلك، وقتله ابنه سيرى، ولم يقم بعدها للفرس قائمة وذلك لما مزَّق كتاب رسول الله ﷺ، ولما عظَّم قيصر كتاب رسول الله ﷺ جعلوه فى أعز مكان تفاؤلاً منهم أن يدوم ملكهم ما دام كتابه معظمًا عندهم.

وأخبر عليه الصلاة والسلام فيروز ـ عالم كسرى ـ بقتل كسرى فى الليلة التى قُتِلَ فيها ـ وهو بالمدينة ـ فكان الأمر كما أخبر، فأسلم فيروز ومن معه.

وقطع إنسان عليه صلاته فدعا عليه فأقعد.

وقال لرجل آخر: كل بيمينك، فقال: لا استطيع، قال له: لا استطعت فلم يرفعها بعد إلى فيه.

وقال لعتبة بن أبى لهب: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، فأكله الأسد بعد أن حرسه أهله وداروا حول رَحْله فتخطاهم حتى التقطه من بينهم.

ودعا على النفر الذين وضعوا عليه السَّلا ـ وهو ساجد ـ وسمَّاهم واحدًا واحدًا فقتلوا يوم بدر.

وكان أُبىّ بن العاص يختلج[1] بوجهه فى مسجد رسول الله ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: «كذلك فكن» فابتلى بهذه العلة إلى أن مات. وهو أحق بذلك من شجرة التين التى دعا عليها المسيح فيبست.

ودعا على محلم بن جثامة فهلك، فلفظته الأرض، فواروه فلفظته أيضًا دفعات فجعلوه بين جانبى الوادى ثم رَضَوه بالحجارة.

وجحد رجل بيع فرس وهى التى شهد بها خزيمة فقال: اللهم إن كان كاذبًا فلا تبارك له فيها، فأصبحت من ليلتها على ثلاث قوائم.

ودعا لابن عوف بالبركة قال: فلو رفعت حجرًا لظننت أن تحته ذهبًا حتى مجلت[2] من حفر الذهب فى تركته بالفؤوس أيدى الرجال.

---

(١) خلج الشىء: تحرك واضطراب، ويقال خلجت عينى.

(٢) مَجِلَت يده مجلاً: تقرحت من العمل، وتكون بين الجلد واللحم فيها ماء بإصابة نار أو =

ودعا للمقداد بالبركة فصار عنده غرائر من المال.

ودعا لعروة بن الجعد قال: صرت أقوم بالسوق فما أرجع حتى أربح أربعين ألفًا، فكان لو اشترى التراب لربح فيه.

ودعا لعليّ رضى الله عنه أن يُكفى الحرّ والبرد فكان يلبس ثياب الصيف فى الشتاء ولباس الشتاء فى الصيف.

ودعا لفاطمة أن لا يجيعها الله فما جاعت بعدها أبدًا.

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أنها أخرجت جبة من أطلس كان رسول الله ﷺ [يلبسها][1] فكانت تُلبسها للمرضى فيشفون ببركتها.

وكانت قصعته يُجْعَل فيها الماء للمرضى فتشفى ببركتها.

وأخذ جهجاه الغفارى القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبتيه، فصاح الناس به، فأخذته الأكلة فقطعها ومات بها قبل الحول.

وسكب من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزحت بعد أبدًا.

ومرَّ على بئر فسأل عنه فقالوا: اسمه بيان وماؤه ملح، فقال عليه الصلاة والسلام: بل هو نعمان وماؤه طيب، فصار كذلك.

وكان لأم مالك عكّة[2] تهدى للنبى سمنًا فيها، فكانت أبدًا تجدها مملوءة سمنا فكانت تقيم بآدامهم.

وغرس لسلمان الفارسى ثلاثمائة ودية فلم تخب منها واحدة، وأطعمت من عامها خلا واحدة غرسها غيره فلم تطعم، فنزعها ثم وضعها فلحقت بأخواتها.

وأعطى سلمان قدر بيضة من الذهب وقال: اذهب فأده فيما عليك، فقال: أين يقع هذا مما على؟! فأخذها عليه أفضل الصلاة والسلام فقلبها على لسانه فوفى منها أربعين أوقية كانت عليه وبقى له مثل ذلك.

= مشقة أو معالجة الشىء الخشن.. اهـ. (المصدر سابق - ص ٥٧٣).

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) العكة بالضم، آنية السمن وجمعها (عُكَك) وعكّة اسم بلد فى الثغور. اهـ.. (مختار الصحاح. ص ٣٩٥ - مكتبة لبنان).

قال البوصيرى:

أفلا يعذرون سلمان لما　　　أن عراه من ذكره البرحاء

ومن معجزاته ﷺ: انقلاب الأعيان له، وهذا باب متسع جدًا، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه نزل فزع بالمدينة فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبى طلحة كان به قطان[1]، وكان بطيئًا، فلما رجع عليه الصلاة والسلام قال: «إنما وجدناه لبحرًا» فكان بعد لا يُجَارَى.

وخفق فرس لجعيل الأشجعى بمخفقة كانت فى يده وبرّك عليها فلم يملك جعيل عليها نفسه نشاطًا، وباع من بطنها بإثنى عشر ألفًا.

وركب حمارًا قطوفًا لسعد بن عبادة فرده هملاجًا[2].

وكانت شعرة من شعراته فى قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالاً إلا ورُزِقه النصر.

وصلَّى معه قتادة بن النعمان العشاء الأخيرة فى ليلة مظلمة فأعطاه عرجونًا[3]، وقال: «انطلق فإنه سيضىء لك من بين يديك عشرًا ومن خلفك عشرًا» فأضاء له العرجون حتى دخل بيته.

ودفع لعُكَّاشة بن محصن جزل[4] حطب حين انكسر سيفه، وقال: اضرب به، فصار سيفًا صارمًا طويلاً أبيض شديد المتن، وذلك فى يوم بدر، فقاتل به وشهد المشاهد كلها إلى أن استشهد فى قتال أهل الردة، وكان يسمى «العون».

ودفع لعبد الله بن جحش يوم أحد ـ وقد ذهب سيفه ـ عسيب[5] نخل فرجع فى يده سيفًا. وذلك عجيب، وأعجب منه بقاؤه على الحالة التى قد انقلب إليها

(١) القيطان: نسيج من الحرير أو القطن أو غيرهما يُبْرَم فيكون كالحبل الرقيق تزين به الثياب. (المعجم الوجيز: ص ٥٠٩).

(٢) هملاَج: هملجت الدابة سارت سيرًا حسنًا فى سرعة (المصدر سابق ص ٦٥٣).

(٣) العرجون: العِزْق وهو من النخل كالعنقود من العنب (ج) عراجين. (المصدر سابق: ص ٤١٢).

(٤) الجَزْل: ما عَظُم من الحطب ويَبُس. (مختار الصحاح ص ٩١).

(٥) العسيب: جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها (ج) عُسيان. (المعجم: ص ٤١٨).

لم يتغير عند الاستغناء عن القتال مثلاً فقد دام على الحقيقة الثانية، وأما عصا موسى فانقلبت حية ثم عادت إلى حالها الأول.

ومن خصوصياته ﷺ: بركة يده فى إمرارها على ضروع الشياة الحوامل ـ كشاة أم معبد ـ فتدر ألبانها، وشاة معاوية بن ثور، وشاة أنس،وغنم حليمة ـ مرضعته ـ وشاة عبد الله بن مسعود ـ وكانت لم ينزل عليها فحل ـ، وشاة المقداد.

وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه عطش فى بعض أسفارة وكانوا ثلاثمائة رجل، فجاءته عنز فحلبها فاروى الجيش، وهو على غير ماء، ثم قال لرافع: املكها وما أراك تقدر، فربطها فوجدها قد ذهبت، فقال عليه الصلاة والسلام: الذى جاء بها هو الذى ذهب بها.

ومن معجزاته ﷺ: تحويل الماء لبنًا وهو أعجب من تحويل الماء خمرًا وزيتًا كما حكى أهل الكتاب عن آيتى الإنجيل وسفر الملوك؛ لأن اللبن لا يوجد إلا من ضرع، فوجوده من غير ضرع عِوَضًا عن الماء أعجب بخلاف الخمر والزيت فإنهما يوجدان من حيوان يخرجان منه فهما من الماء أسهل فى الانقلاب.

قال حماد بن سلمة زودت رسول الله سقاء من ماء بعد أن أوكأه ودعا، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فوجوده لبنًا طيبًا ووجدوا فى فمه زبدًا.

ومسح بيده الشريفة رأس عمير بن سعد وبرَّك عليه فعاش ثمانين سنة لم يشب رأسه، وفعل ذلك بغير واحد من المسلمين منهم: السائب بن يزيد ومدلوك.

ومسح على بطن عتبة بن فرقد وظهره فكان يوجد له طيب نسائه، وما ذلك إلا أن ليده الشريفة رائحة كرائحة المسك أو أغلب كما صرح بذلك بعض من صافحه.

وكان ربما قَالَ عند أم أنس فتتحيل على أخذ شىء من عَرَقه لتجعله فى الطيب لمكان عرقه، وكانت يده تكسب الطيب وتفعل كل عجيب.

فيكسب طيبها طيبًا عميمًا ... يفوح ذكاء ما مرت عليهِ
فكم بذلت وكم أغنت فقيرًا ... فإسداء المكارمِ من يديهِ

وجُرِحَ عائذ بن عمرو يوم حنين فسال الدم من وجهه، ودعا له، فكانت له ثمرة كغرة الفرس ببركة مس يده الشريفة.

ومسح بيده وجه قتادة بن ملحان فكان له بريق حتى أنه لتنظر فى وجهه كما تنظر فى المرآة.

ووضع يده على رأس حنظلة بن خديم وبرَّك عليه، فكان موضع كفه عليه أفضل الصلاة والسلام شفاء لمن مَسّه من آدمى أو دابة إذا وضع وجهه أو شيئًا من أعضائه وبه ألم فيحصل ببركة مس مكان كفه الشفاء، وكذلك البقرة إذا ورم ضرعها لمس مكان كفه فيذهب الورم من كل ما مسه ويحصل له الشفاء فى الحال.

ونضح فى وجهه زينب بنت أم سلمة فما يعرف كأن فى وجه امرأه من الجمال ما فى وجهها.

ولم يصدر فى جميع ما تقدم من المعجزات الباهرات لأحد من الأنبياء مثل ذلك.

ومسح على رأس امرئ به عاهة فبرىء واستوى شعره، ومسح بأصبعه أذن نعجة فكان فى أذنها وأذن نسلها ميسم نور، وفعل ذلك بكثير من المجانين والمرضى فشفوا وصَحّوا.

وعند هذه الآيات صح قول إشعياء النبى مثنيًا على سيدنا محمد ﷺ: «روح الرب علىّ من أجل هذا مسحنى وأرسلنى لأنذر العميان بالنظر والمأسورين بالتخلية وأبشر بالسنة المقبولة».

فقد أنذر العميان وأطلق الأُسَارى من أيدى ملوك فارس مثل كسرى وغيره، وكانت العرب فى أسراهم يؤدون لهم الأيادى والخراج، وبشر بالسنة المقبولة، وأطلق المجانين من أيدى الشياطين، وقد كان ﷺ أحلم الناس وأكرم الناس وأحسن الناس.

مفرد:

قد جُمعت له أشتات المحاسن كلّها ... إن لم يكن أهلاً لذلك من لها؟!

وما أحسن ما قاله البوصيرى رحمه الله تعالى:

سيد ضحكه التبسم والمـ ... ـشى الهُوينا ونومة الإغفاءُ

ما سِوى خُلقهِ النسيم ولا غيـ ... ـرَ مُحَيَّاهُ الروضةُ الغناءُ

رحمةٌ كلّه وحزمٌ وعزمٌ ووقارٌ وعصمةٌ وحياءُ
لا تحلُّ البأساءُ منه عُرى الصـ ـبر ولا تستخفُّهُ السَّراءُ
كرمتْ نفسهُ فلا يخطر السـ ـوءُ على سره ولا الفحشاءُ
عظمتْ نعمةُ الإلهِ عليه فاستُقِلَّتْ لذكرِه العظماءُ
جهلتْ قومهُ عليه فأغضى وأخو الحلم شأنه الإغضاءُ
وسعَ العالمين علمًا وحلمًا فهو بحرٌ لم تُعْيِهِ الأعباءُ

وقلت:

ماذا أقول وما أوتيه أصغره لم يؤته قبله فيما مضى بشرُ
ولا يُحيط به وصف فيدركه وليس يحصيه فى أسماعنا خبرُ
الله أكبر لا شيءٌ يماثله وليس يشبهه شمسٌ ولا قمرُ
الشمس يسترها غيمٌ، وطلعته جمالها فى المُحيا ليس يستترُ
فكلّ حسنٍ وإحسانٍ فمنه، فقل ما شئته فيه إلا أنه بشرُ
قد جمع الله فيه كل مفترقٍ من المحاسن ما يُطوى ويَنْتَشِرُ
ماذا أقول وعجزى عن مدائحهِ مدحٌ لما فيه قد حارتْ به الفِكَرُ

وبالجملة: فأوصافه تعجز عن حصرها الأفكار، ومعجزاته تتعاقب فينا تعاقب الليل والنهار، فمنها غير ما تقدم سأمليها، وإن ذكرت ما ذكرت لا أحصيها، ولكن ترتاح القلوب بذكر مبانيها واجتلاء شموس معانيها، وتتزكى النفوس بأسرار ما ذكر فيها.

فمنها: أنه أتاه رجل به أدرة فأمره ﷺ أن ينضحها بماء من عين ـ كان عليه الصلاة والسلام قد مجَّ فيها ـ فذهب الرجل وفعل ذلك فشفى من أدرته.

وهذا أعجب من قول اليسع لنعمان الأبرص: اذهب إلى عين كذا وانغمس فيه سبع مرات ففعل فبرىء إذ النضح أخف.

وألطف وأعجب من قول موسى لإخته مريم وقد برصت: اخرجى من عسكرنا وابعدى عنه سبعة أيام، ففعلت ما أمرها به وبقيت بعيدة حتى عوفيت.

وأعظم من آية الإنجيل التى حكوها فى صاحبة النزيف.

وعن طاووس قال: لم يؤت النبى بأحد به جنون فصك فى صدره إلا ذهب الجنون عنه.

وهذا ألطف مما فعل المسيح إذ ما أخرج الجنى من الصبى الذى كلمه أبوه فيه حتى صُرِع وكاد أن يموت، وأما رسول الله ﷺ فبمجرد مس المجنون يذهب جنونه.

ومن معجزاته: أن رسول الله ﷺ أخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها وجوه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه» فلم تبق عين إلا دخلت فيه، فانهزموا يمسحون التراب عن أعينهم، فعادت عليهم المسلمون ـ بعد أن هزموا ـ بالقتل والأسر، فقتلوا وأسروا، وكانت لهم الدولة، فعملت بهم ما لم تعمل عصا موسى فى فرعون وسحرته عند إلقائها لأنها دخلت فى جميع عيونهم فأمسكتهم عن نيل مطلوبهم.

وقد قلت فى ذلك:

فكانت نتيجتها فيهمُ ... فرارًا وقتلاً لمجموعهمْ
وسبى الذرارى وهتك الحريم ... جميعًا وخيبة مطلوبهمْ
فهل كان ذلك شأن العصا ... وشأن اللقى على سحرهم؟!

وقلت أيضًا:

فطورًا يُسبِّحُ فى كفه ... وطورًا رجومًا لأعدائه
أكانت نجومًا فصارت رجومًا ... وذلك من مس أعضائه

وقال البوصيرى رحمة الله:

لا تقسْ بالنبى فى الفضل خلقًا ... فهو البحرُ والأنامُ إضاءُ
كلُّ فضلٍ فى العالمين فمن فضـ ... ـلِ النبيِ استعارهُ الفضلاءُ
شقّ عن صدره وشقّ له البد ... رُ ومن شرط كلّ شرط جزاءُ
ورمى بالحصا فأقصد قومًا ... ما العصا عنده وما الإلقاءُ



وكان جرير بن عبد الله لا يثبت على الخيل، فضرب رسولُ الله ﷺ فى صدره ودعا له، فكان أثبت العرب وأفرسهم.

ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ـ وكان دميمًا قصيرًا ـ فصار من أطول الرجال وأتمهم خلقًا وجمالاً.

فانظر إلى عجائب يده الشريفة بمسها تارة تمنع الشيب، وتارة تكسب الطيب، وتارة تورث الوجه الجمال، وطورًا تكسب القصير الذميم الطول والاعتدال، وتارة تكسب المعروف، وتارة تهزم الألوف، وتارة تذهب الجنون، وتارة ترد العيون، وتارة تكسب الشباب، وتارة تغنى الطلاب.

وفى ذلك قال البوصيرى:

تتقى بأسها الملوكُ وتحظى ... بالغنى من نوالها الفقراءُ
دَرّت الشاةُ حين مرَّت عليها ... فلها ثروةٌ بها ونماءُ
نبعَ الماءُ أثمرَ النخلُ فى عا ... مٍ بها سبحت بها الحصباءُ
أحيت المُرملين من موت جهد ... أعوز الناسَ فيه زادٌ وماءُ
فتغذّى بالصاع ألفٌ جياعٌ ... وتروى بالصاعِ ألفٌ ظماءُ
وأزالت بلمسها كلّ داء ... أكبرته أطبةٌ وإساءُ
وعيونٌ قَرّت بها وهى رُمْدٌ ... فأرتها ما لم تر الزرقاءُ
وأعادت على قتادةَ عينًا ... فهى حتى مماته النجلاءُ

ومن خصائصه ﷺ إمداد الله له بالملائكة فى وقعة بدر وحُنين والأحزاب وكما هو مذكور فى الكتاب العزيز أن الله تعالى أمدهم به.

ومنها: إطاعة الجن له وإيمانهم على يديه واستماعهم منه ومصافحتهم له والإسلام على يديه وإنذار قومهم، وقد شاهد ذلك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وثبت ذلك بالكتاب العزيز:

﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وقد شاهد أصحاب رسول الله ﷺ جبريل حين سأل النبى عليه أفضل الصلاة

والسلام عن الإيمان والإسلام والإحسان، وشهد أصحابه جبريل وميكائيل عن يمينه ويساره فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض، ورأى حمزة جبريل فى الكعبة فخرَّ مغشيًا عليه.

وأما ما ظهر من أعيان أمته رضوان الله عليهم أجمعين مثل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأولياء العارفين من الإخبار بالمغيبات، وإحياء الأموات، وتكثير الطعام القليل، وشفاء العليل، والنفقة من الغيب، والبراءة من كل عيب فكثير جدًا لا يمكن حصره فى مجلدات عديدة فضلاً عن هذا المختصر، والطيران فى الهواء، وسقيهم الماء فى الأودية المعطشه من غير سحاب ولا ماء فى تلك الأودية، وقد ألقى أبو هريرة رضى الله عنه إداوته عند الماء ثم عاد لأخذها فلم يجد هناك ماء أصلاً فسقاهم الله تعالى ببركته، وكذلك استجابة الدعاء، وإبراء الأكمه والأبرص، وإبصار العيون، وإذهاب الجنون، وخوض البحر ولم تُبَل حوافر خيلهم، واحتساء السُّم ولم يضرهم، وكل ذلك معجزة لنبيهم.

وقال البوصيرى رحمه الله:

وكل آى أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم

وكل ما جاء من آثار أمته من الكرامات هو مما أسدى إليهم من الكرم، ووالاهم به من النعم.

ومن خصائصه ﷺ: الشفاعة العظمى يوم القيامة لتعجيل الحساب إذا انقطعت الأسباب، وذهلت الألباب، وبلغت القلوب الحناجر، وافتقر إلى جوده وشفاعته الأوائل والأواخر، وأشفق الرسل الكرام فى ذلك المقام عن الكلام، وكان الدليل على جنابه الكريم وجاهه العظيمة عيسى، المقر بالرسالة له، الآتى لنصر دينه وملّته، المدفون بجبال تربته، فله الفخر على كل من أوتى الرسالة بتلك الدلالة، ولسيد الأولين والآخرين السيادة العظمى على من تقدم من المرسلين لافتقارهم فى ذلك المقام إليه، ودلائلهم من سيد إلى سيد حتى انتهت الدلالة لعيسى عليه السلام.

وفى ذلك قلت:

وأنت ملى بالشفاعة للورى ... إذا أوثقتهم فى الحساب ذنوبهمْ



وقد علموا أنْ لا ملاذَ لخائف ... سواكَ ومن يوم المعادِ مُجيرهمْ

إذا أشفق الرسل الكرام تأدبًا ... فأنت إذًا خير الأنامِ عظيمهمْ

فَمَنْ سيد يُرجى الخلاص بفضلهِ ... سواكَ لمن ضاقت عليهم نفوسهمْ

نعم هو سيد الأولين والآخرين كما ثبت عنه فى الحديث الصحيح، فآدم ومن دونه تحت لوائه، والوجود بما حواه من جزيل عطائه، لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما غير اتباعه إذ أُخِذَ عليهما بذلك العهد والميثاق من العزيز الخلاق.

لولاه لم تخلق الأكوان، ولولا مبعثه لما حصل للأنام الأمان، أنقذ أمته من الضلالة التى عمت أرباب الجهالة فعبدوا مع الله إلهًا سواه، فسبحانه وتعالى وتقدست صفاته وأسمائه، وصفوا صفاته العليا بسمات المخلوقين فكيف تحل صفة الحق المبين فيمن جبلت ذاته من طين؟! فكفى ما حل بهم من الهوان، وما خالط قلوبهم من سآمة الإيمان.

فنسأل الله الكريم المنان أن يُرّقينا بفضله الجسيم إلى مقام الإحسان، وأن يحرس قلوبنا وأفهامنا من موارد الطغيان ومكايد الشيطان، وأن يرينا الحق حقًا فنتبعه إيمانًا وصدقًا والباطل باطلاً فيلهمنا اجتنابه لطفًا ورفقًا، إنه على ما يشاء قدير وبإجابة الدعاء جدير، وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير، السراج المنير، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* * *

قال مؤلفه الأستاذ العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أبو الفضل المالكى السعودى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته: كان الفراغ من تأليفه فى الخامس عشر من شهر شوال المبارك سنة اثنين وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

* * *

فهرس الأعلام


٣٣٥

فهرس الأمكنة والبلدان

فهرس المذاهب والفرق

فهرس المراجع التى اعتمدنا عليها فى التحقيق

١ - القرآن الكريم.
٢ - مختار الصحاح - الرازى - مكتبة لبنان.
٣ - لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف.
٤ - المعجم الوجيز - طبعة وزارة التربية والتعليم.
٥ - المعجم العربى الأساسى - مؤسسة لاروس.
٦ - قاموس الكتاب المقدس - د. جون طمسون - دار الثقافة.
٧ - فهرس الكتاب المقدس - د. جورج يوسف - دار الثقافة.
٨ - دائرة المعارف الكتابية - نخبة من رجال اللاهوت.
٩ - موسوعة تاريخ الأقباط - الأستاذ زكى شنودة المحامى.
١٠ - محاضرات فى النصرانية - الشيخ محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى.
١١ - مقارنة الأديان - دكتور محمد عبد الله الشرقاوى - دار الصحوة.
١٢ - مروج الأخبار فى تراجم الأبرار - مطبعة الآباء اليسوعيين.
١٣ - اللآلئ النفيسة فى شرح معتقدات الكنيسة - القمص يوحنا سلامة.
١٤ - الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة - الأب إيسيدوروس.
١٥ - الكتاب المقدس - للبروتستانت.
١٦ - الكتاب المقدس - للآباء اليسوعيين.
١٧ - الكتاب المقدس (العهد الجديد) المطبعة الكاثوليكية.
١٨ - الكتاب المقدس (العهد الجديد) المكتبة البولسية.
١٩ - العبادات المسيحية - دراسة نقدية - دكتور محمود حماية - دار المعارف.
٢٠ - أسرار الكنيسة - الأرشيد ياكون حبيب جرجس - مكتبة المحبة.
٢١ - تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب - عبد الله الترجمان - دار المعارف.
٢٢ - كتب الشريعة الخمسة - دار المشرق - بيروت.
٢٣ - التوراة بين الوثنية والتوحيد - سهيل ديب - دار النفائس.
٢٤ - رسالة فى اللاهوت والسياسة - سبينوزا - دار القلم.

٢٥ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموى (١/ ٥) ـ دار صادر.
٢٦ ـ قصص الأنبياء ـ ابن كثير ـ مطبعة الحلبى.
٢٧ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ دار الغد العربى.
٢٨ ـ الأسفار المقدسة ـ د. على عبد الواحد وافى ـ دار نهضة مصر.
٢٩ ـ الأناجيل دراسة نقدية ـ الأستاذ أحمد طاهر ـ دار المعارف.
٣٠ ـ الملل والنحل ـ الشهرستانى ـ دار الفكر ـ بيروت.
٣١ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم الظاهرى ـ دار الكتب العلمية.
٣٢ ـ الفرق بين الفرق ـ البغدادى ـ دار المعرفة.
٣٣ ـ البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان ـ السكسكى ـ دار المنار.
٣٤ ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ محمد شفيق غربال.
٣٥ ـ التعريفات ـ الجرجانى ـ دار الرشاد.
٣٦ ـ المنقذ من الضلال ـ الإمام الغزالى ـ دار المعارف.
٣٧ ـ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ـ دكتور عبد المنعم الحفنى.
٣٨ ـ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ـ أسد رستم.
٣٩ ـ إيمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ـ القس إلياس مقار ـ دار الثقافة.
٤٠ ـ عقائد النصارى الموحدين ـ حسنى يوسف الأطير ـ دار الأنصار.
٤١ ـ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ـ محمد طاهر التنير ـ دار الصحة.
٤٢ ـ الرسالة القشيرية ـ الإمام عبد الكريم القشيرى ـ مكتبة محمد على صبيح.
٤٣ ـ بستان العارفين ـ الإمام النووى ـ دار الصابونى.
٤٤ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن ـ الشيخ الزرقانى.
٤٥ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلى ـ دار العلم للملاين.
٤٦ ـ الموسوعة الصوفية ـ دكتور عبد المنعم الحفنى ـ دار الرشاد.
٤٧ ـ حياة الحيوان الكبرى ـ كمال الدين الدميرى ـ كتاب الجمهورية.
٤٨ ـ شرح البيجورى على الجوهرة ـ شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى.
٤٩ ـ مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ـ بدون مؤلف.
٥٠ ـ تذكرة الحفاظ ـ الإمام الذهبى.

51 - The Riddle of Trinity : by : A. S. K Joomal.

52 - King Jams Version.

53 - New English Bible.

54 - The Amplified Bible.

55 - The R - S - V Interlinear Greak English (N - T).

56 - R - S - V Oxford Bible.

57 - Today, s English Version.

58 - The Revised Standard Version.

59 - La Saint Bible.

60 - The Book of life.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

* * *